الباب السادس

في سياق شيء من بليغ كلامه نظماً ونثراً وفيه فصول

obeikandl.com

obeikandl.com

الأول
في تقاريظه البديعة وألفاظه السهلة المنيعة

وأقدم ما وقفت عليه:

[تقريظ كتاب نزول الغيث للدماميني]

مِنْ ذلك: ما قرَّظ به كتاب «نزول الغيث» للعلامة بدر الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المخزومي الدماميني، الذي بيَّن فيه خطأ الصلاح الصفدي في كتابه «غيث الأدب الذي انسجم في شرحه لامية العجم»، وذلك في رمضان سنة خمس وتسعين وسبعمائة رفيقاً لمشايخ عصره إذ ذاك، كابن خلدون، وابن التنسي، والغماري، والمجد الحنفي، وابن الشِّحنة، وابن الجزري، وابن مكانس، والبدر البشتكي، وغيرهم، بعد أن نسخه بخطِّه، ونصُّ ذلك، وقد نقلته من خطه من النسخة التي بخط مصنفه، وهي عند صاحبنا الإمام جمال الدين ابن السابق، دام النفع به ورحمه الله[1].

أمَّا بعد حمد الله وحده، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد عبده ورسوله، فما أشرف سيدنا وعبده، فأقول، وإن لم أكن مِنْ رجال هذا المجال المصيبين، لوفُور سهامهم في الأدب أغراض المقال، ولا ممَّن أصغى إلى حُسْنِ الاستماع، إذ لا أدبَ عندي ولا مال، ولو وقفتُ، وقفتُ عند قدري، وما زاحمتُ السَّادة والأعلام ـ مع طلاقة ألفاظهم ـ بركيك نظمي ونثري، ولكني

(١) عباوة «ورحمه الله» لم ترد في (ب).

واثقٌ مِنْ هذا المولى[1] يستُره على أهل هذا الفن، عارف بما له مِنْ إنعام على من أجاد منهم، ومن وقفت على هذا الكتاب الشاهد لمؤلفه أنه الحاكم الذي لا يقبل رِشوة، الفريد وإن كان له من مصنفاته إخوة، وتأملت أبوابه، فدخلتْ عليَّ المسرَّةُ من كل باب، ولم أعلم ـ وأطربني ـ أهو نزول الغيث أم وقع الرباب، فعوذته حين أطربني، وهو الفريد بالمثاني، وثنيته نحو القلب، وإن كان ما له في الحقيقة ثاني، وأشرقَتْ تلك الفرائدُ منه، فكَلَّ عن[2] وصفها غرب لساني، وجنيت عليه بكثرة ما اجتنيت من أوراقه ثمر الفوائد، فأنا على الحالتين جاني، وقبلته ألفاً وألفاً، فقال لي غرامي زده واضرب الألف في الألف. فتبارك الذي اطَّلع في سماء البلاغة بدراً هادياً، وأرواه مما رواه عن غيره، فأصبح صادياً[3]، وأيَّده حتى نَظم في هذا العقد الفريد ما شذر مِنْ فنون الآفاه والإفادة، وأعانه على ما جمع فيه من المحاسن، فكان جامع الحسنى وزيادة، فكل أديب أبدى إذ رام[4] مجاراة هذا الصَّدر عجزاً، وصيَّر نفسه إذ رأى بديهته وروِيَّته فُقِدا أو عَزَّا. كيف لا، وقد أنهلهم منه ندى فضلٍ مِنْ خاطرٍ وكفْ، وأعجزت فصاحتُه كلَّ واصفٍ قام في ملأ مِنَ الأدباء وصفْ، ودنا بفوائده مِنَ القُلوب، فعقل مجاريه قاصٍ قاصر، ومهر فأمهر أبكار المعاني جواهرَ لفظِه، فأكرِمْ به في الحالتين ماهر[5]! فلهذا أحجمتُ عن وصفه[6]، ولا يُنكر مِنْ مثلي، ولو كنتُ قُدَامةَ الإحجام، وقدحت زِنادَ الفكر لإسراج مطيَّة العقل، فلم أظفر إلاَّ مِنْ عيِّ لساني بالإلجام.

هذا وقد شاهدتُ مِنْ مؤلِّفه كعبةَ أدبٍ، لو حجَّها جدِّي قبلي تهيَّبَ النُّطقَ، (حتى قيل: ذا حَجَرُ)، وسمعت منه ما لو سمعه الفصحاء، لعيُّوا

---

(١) في (ط): «السيد».

(٢) في (ط): «من».

(٣) في (ط): «صافياً».

(٤) في (ب، ط): وقد رام.

(٥) في هامش (ح): كتب النواجي ما نصُّه: اسم الفاعل من «أمهر» إنما هو «ممهر» لا «ماهر»، وبذلك يعلم فساد ما قصده من الاشتراك في لفظة «ماهر» المدلول عليه بقوله: «في الحالين».

(٦) في (ط): أحجمت عنه.

عن وصفه، فكيف بمثلي، (وما عليه إذا لم يفهم البقرُ)، ورأيت[1] غرائبَ مِنْ براعته يردُّها العقل لو لم يشهد البصر، وقلت متجاهلاً مع معرفتي ببلاغته:

(أهـذه سـيـر فـي الـمـجـد[2] أم سُـوَرُ)؟!

فهو قاضي البلاغة الذي:

أقرُّوا بحق جوهر الفضل عنده ... ولا عجب للبحرِ صَوْنُ الجَوَاهرِ

والجواد البليغ الذي:

يقول لنا دُرّاً[3] ويبدي سماحة ... فما البحرُ إلاَّ بين كفٍّ وخاطرِ

وعالم المدينة الذي:

على كلِّ رأس طال كعب مبارك له ... وهو للطُّلاَّبِ أفضلُ مالكِ

وربُّ البديع الذي:

قد استخدم الأنظار إذ أصبحت لهم ... مطالبة قد طوبقت بمهالكِ

وفارس العربية الذي:

غدا قبلةً للناس صَلَّوْا وراءها ... وفاتهم سبقاً فليس يُجارى

والكاتب الذي:

إذا أبصروا في الطِّرْسِ أثر مِدادِه ... فذلك سَبْقٌ قد أثار غبارا

وضَحَتْ من سجعه المعاني من بعد، فكم به للعلوم زرقاء يمامة.

---

(١) في (ط): «وسمعت ورأيت».

(٢) في (ط): «الفضل».

(٣) في (ط): «دررا».

وأضحت تصانيفُ الأدب الجليلة كالسِّجلِّ وتصنيفه[1] هذا الدَّقيق المعاني علامة، واحتوى على دائرة الأدب، فقلنا: البدرُ قد سكن داره، وتزيَّنَتْ به المعالي، واستبشرت، ولبهنِها منه في الحالين بشارة، فلو رآه سحبان، لوافى لطلبِ آدابه مشمِّراً، فقيل له: مِنْ أين، وإلى أين؟ والخليلُ بن أحمد صاحبُ العروض، لغرق في بُحور آدابه، وقدّم له ما يملكه مِنَ «العين»، وابنُ عبدِ ربِّه، لاعترف بأنه جمع الخرز في «عقده» وابن الصَّيرفي البليغ، لما ساوى معه حبّة، مع حُسن نقده. وأبو العلاء المعري، لأنشده هذا الناقد البصير:

أنـــا الـــذي نـــظـــر الأعـــمـــى إلـــى أدبـــي

وابن الرومي، لعرف الفرق ما بين العجميِّ في الفصاحة والعربي، أو سمع فصاحتَه كلُّ بليغ، لأقرَّ أنَّه فنٌّ من اللسان محروم، ونادى في ظُلمة الغي: انظرونا نقتبس مِن نُور فصاحتكم يا بني مخزوم، فنزول الغيث قد أخجل النِّيل، والفاقد صبره للعجز عن مجاراته ينادي: كيف السبيل، ولا ريب عندَ صاحب الذَّوق أنَّ نقص خليل زاد، وأن هذا السيد هذب به من كلام الصلاح فساد، فلو صدر الصفديُّ إلى الدنيا بعد موته، لما وُجد منه إنكار وَرد، ولو رام أن يهادى هذا المولى لهدايته له إلى الصواب ببلده، لقال له: ما لنا حاجة منك بصفد.

على أنَّ هذا الصفدي كان كثيراً ما يقدم على العلوم ـ كالنحو ـ من غير مبتدأ معرفة، ويستغني بتعديله وتجريحه، وتمريضه[2] وتصحيحه، فلا يثرى من صفة منصفة، ويرى أنَّه البصير بهذا، وهو في العمى ضائع العُكَّاز، لا زال مولانا جائداً للطلبة بنقده آمناً من السرار[3]، فلا يذوق[4] مرارة فقده، ولا برح بأنوائه وأنواره يُخجل الشمس والغمام، ودام سالماً مِنَ النَّقص، فلا يخلو نعتُه ـ وهو البدر ـ مِنْ معنى الكمال والتمام، إن شاء الله تعالى.

---

(١) في (ب، ط): «وتأليفه».

(٢) في (ب): «ورد تمريضه».

(٣) في (ط): «الأشرار».

(٤) في (أ): تدوم.

[تقريظ بديعية الوجيه العلوي]

ومن ذلك ما كتب به في ربيع الأول سنة ثمانمائة بزبيد على «البديعية» التي نظمها الوجيه عبد الرحمن بن محمد بن يوسف العلوي، المسماة «بالجوهر الرفيع ودوحة المعاني في معرفة أنواع البديع ومدح النبي العدناني» ونصه:

الحمد لله الذي أتقن ما صنع أبدع إتقان، وأحسن كلَّ شيءٍ خلَقَه وخلقَ الإنسان، وصلى الله على أشرف مُرسلٍ مفرد، لم يختلف في فضله من ذوي العقول اثنان، الذي نزّه تشريعه عن المراجعة والمناقضة، وجرّد تتميمه عن الاستدراك والمعارضة، فما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يُوحى، وما ظهر من معجزاته لامعة إلاَّ وأخجلت نجماً وقمراً وبوحاً[1]، ففي محل ألفاظه إشاراتٌ خفيّات، يتلمَّح معانيها أهلُ البيان، وفي أخباره معجزات شتَّى لا يختصُّ بها أهل زمان دون أهل زمان، ومنها قوله الصادق: «إنك إن تُعطَ الإمارة عن غير مسألة، تُعَنْ عليها يا عبدَ الرحمن»، وسلَّم الله على رُوحه أتمَّ سلام، ورضي الله عن آله وصحبه البَرَرةِ الكرام الخيرة الأعلام. آمين.

فأقول وإن لم أكُن مِنْ رجال هذا المجال المصيبين بنيل نبلهم مقاتل الأقوال: وقفتُ على هذا الجوهر الرفيع، وتفيَّأتُ ظلال هذه الدوحة، واجتنيت مِنْ زهرها المريع، ووقفت عنده وما وقفت عنه، وأطال ظامئُ نظري الورود، وما ارتوى منه، ونثر[2] فكري لوصفه سهامَ الألفاظ مِن كنانته، فما أصاب الغرض، وعرض جنودَ المعاني لمدح هذا الجوهر الفرد، فما قابله لما عرض، وقدحتُ زِنَادَ ذهني الكابي، فما أورى مِنَ القادح واستشعرت معثار إنساني، فتلا عليه العجز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ [الانشقاق: ٦]، فلله درُّ منشيءِ هذه المُلحة، والمتفضل بهذه المِنحة، لقد

---

(١) البُوح: اسم الشمس. من القاموس المحيط.

(٢) في (ط): ونشر.

أطاب لما أطال، ووجد مكان القول ذا سَعَةٍ فقال، وسبق إلى غاية ما وراءها غاية، وأقام للبلغاء عند اختلاف آرائهم راية.

شعر:

إذا أبصروا في الطِّرْسِ أثر مِدادِه فذلك سَبْق قد أثار غُباراً

فصليتُ وراء هذا السابق مسلماً، وصَمَتُّ عجزاً عن وصف مجلس ذا الصدر، ولكن أبى قلبي أن يكون إلاَّ متكلماً، وقلتُ واستعنت بالعزيز القدير، ويدُ فكري جذيمة، ولسانُ التَّقصير قصير:

لله دَرُّ فاضلٍ مُبَرِّزٍ جاءَ أخيراً وتجلَّى سابقا
والبُلغاءُ عن مداه[1] قصَّروا فما رأينا للوجيه لاحقا

فلو رآه الحريري، لعقد عليه الخناصِر، لعلمه بأنه من[2] الطراز الأول، وابن أبي الأصبع، لنصَّ بإشارته إليه بأنَّ عليه في هذا الفن المعوَّل، والحلِّيُّ لحرُم عليه النظم[3] وخفي، ولما حام يوماً حول مورده الصَّفِي.

جلوت على الأسماعِ بنتَ قريحةٍ بديعةَ حُسْنٍ لا يقاومها نقدُ
فلو أبصر النَّظَّام جوهرَ لفظِها لما شكَّ فيه أنَّه الجوهرُ الفردُ

وبالجملة، فسِنَانُ قلمي عن واجب وصفِه غيرُ مسنون، وصَدَفُ كَلِمي لا أرضاها لهذا الجوهر المكنون، لا زال ناظمه في سعادة لازمة له لزوم الهمزة للاستعلاء[4] على ما ألِّف، وكان المبتدأ صدر الكلام، واللام للتعريف من قبل[5] الألف، ومنادى عيشه لا يرخَّم، وأحمدُ زمانه لا

(١) في (أ): «والبلغاء مداده»، وفي (ط) عن مناه.
(٢) «من» ساقطة من (أ).
(٣) في (ط): النظر.
(٤) في (أ): «للاستعلال»، تحريف.
(٥) في (ط): «بعد».

ينصرف، وأيَّد تصرُّفَه بحُكْمِ السُّيوف والأقلام، وأخدم مجلسه أفضل التَّحية والإكرام، والسلام.

[ما كتبه على قطعة لابن ناهض]

ومن ذلك: ما كتب به [على قطعة لابن ناهض، ومن خطه نقلت:

نظرت هذه المُذْهَبَة المعلَّقة، وقيدت النظر][1] في هذه القوافي المطلقة، واعْتَرفت بالقصور عن وصف هذه البُيوت العاليات الطَّبقة، المترفعة غرفُها عن أن تكون مستَرَقَة، فألفيتُها حُرِّرت موازينها، وقُرِّرت دواوينها، وانشرحت الصدور من شدَّة ما أطربتها تلاحينها، وأزهرت أفانين غياضها، وزخرفت بأنواع الزينة أواوينُ رياضها. يا لها آداباً، لو رام معارضة منشئُها مادح بمصر.....[2]، وتأمَّل ما يهديه فكرُه لقال: ما أشدَّ بردَه، ولو بالغ في وصف مخترعاته، لرأى نقصَها متزايداً عنده، ولو فُتِحَ له بابُ تقريظها، لحُقَّ له سدُّ بابِ القريضِ بعده ما نُوظرت هذه المحاسن، ونظر الناظر إلى آدابه، إلاَّ قال لها: أبعدي، ولا قُوبلت بأدب متأدِّب، إلا تبين في الحال حال المعتدي. لقد توحد منشئها في فنه حتى صار هو العَلَم الفرد ذَكاءً وآداباً، واستحقَّ اسمَ أبيه، فأصبح في اقتناص الشوارد ناهضاً وثَّاباً، وإذا كانت العقول مِنَحاً إلٰهية، والأفكارُ مواهبَ ربَّانيَّة، فلا بِدْعَ أن يبتدع الغريب إلى الغريب، ولا غَرْوَ أن ينشأ أديب يُنسي بما ينشئه إنشاءَ كلِّ أديب.

والليالي ـ كما علمت ـ حُبالى مُقرِّبات يَلِدْنَ كلَّ عجيبِ

[تقريظ سيرة ابن ناهض]

ومنه ما كتب به على السِّيرة التي عملها محمد بن ناهض الحلبي المذكور للمؤيد أبي النصر شيخ في سنة ثمان عشرة وثمانمائة، رفيقاً لدون ثلاثين نفساً، منهم: العز بن جماعة، والولي العراقي، والجلال البلقيني،

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

(٢) بياض في الأصول، وكتب في (أ، ب، ح) عبارة «كذا».

والشمس البلالي، والشمس البساطي، والشمس الحبتي، والبدر الدماميني، والشِّهاب القلقشندي، وناصر الدين بن البارزي، وولده الكمال، والتقي بن حجة، ونصه:

الحمد لله على كل حال. سبحتُ في هذا البحر الزَّاخر، فشاهدتُ العجائب، فسأحدِّثُ عن البحر ولا حرج، وتمتعت برؤية درِّه الفاخر، فإذا هو في درج مصون لا ينالُه من دبَّ ولا مَنْ درج، ودخلت في أبواب هذه السِّيرة السَّرِيَّة، متأملاً فيما حوته مِنَ المدائح المؤيدية، فهمتُ طرباً بمناقبها، واستعدت ممَّن أخطأ العروض والضرب وخرج، ولمحت فضل المعركة الميمون، فرمقت باب النصر، وصادفت فصل حصار[1] الحصون، فوافقتُ بابَ الفُتوح، ونظرتُ فصل الظفر بالأدب، فلحظتُ بابَ السَّعادة، وتأمَّلتُ فصل دفع الكُرَب، فشاهدت باب الفرج.

يا لها سيرةً هبَّت على راقم بُرودها وناظم سُعودها نسماتُ القَبُول، فهو يجول ويصول، ولا يبالي مَنْ هَرَج ولا مَرَج، وأسعدته بدرج الصعود، وأصعدته في مراقي السعود فعرج، ودانت له ممالكُ الكلام، فتصرَّف فيها تصرُّف المالكين، غير متقيِّد بشرطِ غيره، وانفرد أمَّةً وحده، لا يُجارى ولا يُبارى، ولا يجسُر أحدٌ أن يسير في سياق السِّير الملوكية كسَيْره، وانطاعت له عصِيَّات المعاني الشاردة، فهو يقتنصها، لا بخيله ورَجِلِهِ، بل برجوليته وخيره.

وماذا أقول ولم يُبقِ لي مَنْ تقدَّم كأساً مُترعاً، وماذا أترامى به من المعاني في الوصف، ولم أر في القوس منزعاً. نعم لست أوافق على ذكر شاعر، ولا مؤرخ في معارضة مخترعها، ولو كانت حياضهم مُترعة، ورياضُهم موشعة، إذ ليس فيهم من ينهض نهوض ابن ناهض في تصيُّد المعنى، حتى[2] يستحقَّ أن يُذكر معه، ولا يبارزه في ميدانه إلا مَنْ يرى في الحال مصرعه، ولا يقارب في تصرفاته في النظم، والشعراء فاعلمن أربعة. هيهات هيهات، كيف يمكن الترجيح وشرطه تقدم المساواة للنِّدين؟ أم متى

---

(١) في (أ): «حصان».

(٢) في (ط): «حيث».

تتهيَّأ المساواة ومُحالٌ اجتماعُ النَّقيضين من الضِّدَّين، هذا الذي طلع في سماء أوصاف الملوك هلالاً، وصرع نواحيه طيور الأفئدة، فصار ما يتخيَّله فيه الناظر محالاً، ونبغ في شريعة التاريخ، فمن رام مجاراته أنشد: يا صاحبي، ألا لا. هذا الذي أغرب، فأتى بفرائد لا تذكر معها «قلائد العقيان». وأطرب فلحن[1] السواجع لا يصغى إليه مع لحنه وإن أطربَ إنسان، وأقدم فرجع عنه النُّبلاء القهقرى، وأعلم بأن كلَّ مَنْ رامَ معارضته مِنَ الفحول، صيَّره العجزُ وراء الورى، فلقد جلَّى مِنْ هذه السِّيرة المؤيدية عروشاً تأيدت بسلطانها، فيا لعجب تأوَّدت ونطقت بفضل مخترعها الفرد في فنه، فقامت لها قلوبُ الأَلِبَّاء وقعدت، وأبدت من مفرداتها ومركباتها ما لم يطرق قبله لسامع أذُناً، وأسمعت من ألحانها المطربة في حانها ما لا يدرك المعارض له لفظاً ولا معنى.

منطق صائب وتلحن أحياناً ... وخيرُ الكلامِ ما كان لحنَا

فسبحان من أيَّد فكرته حتى أعربت عن لحن القول، وقوَّاها على البديهة حتى نادتها حوليَّات زهير لا قوَّة لي بهذا ولا حَوْل، وتبارك مَنْ أغناها عن التكلُّف[2] في التصرُّف، فما أغناها، وأراحها مِنَ التوقف عن اتِّباع كلام السِّوى، فما أهياها[3].

لقد توسَّعتْ في فنون الكلام، حتى أهملت بجواهرها كتاب «الصِّحاح»، وترصَّعت بكلِّ درَّةٍ خَفَضَ[4] كلُّ لبيب لها الجَنَاح، وترفَّعت بعزِّ سلطانها، فمن رآها نُصْبَ عينيه، قال: ليس على مخترعها مِنْ جُناح، وتنوَّعت بالفنون، فساح طَرْفُ ناظرها في معانٍ فساح.

(هكذا هكذا وإلا فلا لا)

طرق الجد غير طرق المزاح.

---

(١) في (أ): «فلحق»، تحريف.

(٢) في (أ): «التكليف».

(٣) في (ح): «السواء ما أهناها».

(٤) في (أ): «حفظ»، تحريف.

فالله تعالى يُبقي منشئها، حتى يُسلي الهموم بما يطرب ويُغرب، ويتحف النفوس من مبتكراته بما ليس في كتاب «المرقص[1] والمطرب»، إن شاء الله تعالى.

[تقريظ بديعية ابن حجّة]

ومِنْ ذلك: ما كتب به على «شرح بديعية»[2] المولى شيخ المتأدبين في عصره، التقي بن حجة:

اللهمَّ غُفراً. كيف لا أسأل المغفرة، وقد أُلزمت بكشف عواري، وأُلجِئتُ من تقريظ هذه الدُّرَّة اليتيمة إلى رفع الحُجب عن بنات أفكاري، وأنا لا أزال أغطِّي تلهُّبي على أغراض المعاني الفائقة عني وأواري، وجهدي أن أُحْسِنَ النَّظر فيما أقف عليه من اللطائف الزواهي بالزواهر والزَّواري، وكيف يضيء مصباحُ فكرٍ قليل المادَّة في مدح[3] هذه النجوم الدراري؟ وكيف أقنَعُ في موضع الإسهاب لها بالألفاظ الموجزة؟ ورَويَّتي عاجزة، وليست لي بديهة معجزة، لكن جرى القلم، فكتبتُ وتوفَّرت سهامُ الحقوق، فطرحتُ رداء العصبية، ورميت الغرض فأصبت، وطالعت هذا الشرح، فتلا، لسانُ الحال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، ورفعتُ يدَ الابتهال للاقتدار على مدحه مع قبول الاعتذار، فقيل لي: قد وضعنا عنك وزرك.

فأقول: أشهد أنَّ أبا بكر مقدَّمٌ على أنظاره، ولا أعدل في هذه الشهادة من أحمد، وأجزم برفعَةِ قدره على كل من انتصب لهذا الفن، ولا أبلغ من حاكم يشهد، لقد بلغ أشُدَّه في البلاغة واستوى، وثبت[4] رشده عند غُواةِ الأدب، لكن ما ضلَّ صاحبُهم وما غوى، ولا نطق في المديح النبوي إلاَّ

---

(١) في (أ): «المراقص»، تحريف. وهو كتاب «المرقص والمطرب في أخبار أهل المغرب» في الأدب، لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي المتوفى سنة ٦٧٣هـ. انظر كشف الظنون ٢/١٦٥٨.

(٢) في (أ): «بديعة».

(٣) في (ط): «مقابلة».

(٤) في (ح): «وبيت».

بالحق، وحاشى لهذا الصَّاحب أن ينطق عن الهوى، ولقد ظفَرَتْ حبائلُ فكرته[1] بكلِّ سانحة من ظباء البديع وبَارحة، وخطبته من «يتيمة الدهر» و«دمية القصر» كل قرينة صالحة، وأتى طرسُه بكلِّ دُرَّةٍ مونقة معجبة، وأخذ نقسه[2] ـ الذي هو أبهجُ من النَّضار ـ بمجامع القلوب، لشدة ما بينهما في اللَّون من الشَّبَه وأطنب في فَنَّي التورية والاستخدام، وهما قسما البدائع والكواكب الدراري فاستخدم فيما أطاعته من الاستخدامات رقائق الألفاظ فتمَّ وصفها بالجواري، وورّى فتوارى منه المُجاري، وحُقَّ له الهرب عند سماع تلك الاستخدامات الرائقة والتواري. فاق لما جارى ابن سرايا وابن جابر والموصلي. أما الحِلِّي، فالشيعي المسرف قاصر الرُّتبة عن السُّني التقي، وأما الأعمى، فأنَّى يستوي مع ذي النظر السَّوي، وأما العز، فأبو بكر أفضل من علي.

نعم، هذا الذي نظر الأعمى إلى أدبه، واستفاض تقدمه، فحكم القاضي الفاضل بموجبه، وزاد كمالاً نقص عنده في النظم أبو تمام، وخرق العادة في النثر، فلا كرامة لصاحب «المقامات» ولا إقدام، وأمَّا قُدامة، فحقُّه أن يدرس كتاب تأخر المعرفة، ويقول لعصريِّه نفطويه: لا شكَّ أن ابن حجة مقدَّم على ابن عرفة، وظهرت من حلاوة نظمه حموضةُ «الرُّمانية»، وشهد عبد القاهر أن «الحموية» أشهى من «الجرجانية»، وأشار ابن أبي الأصبع أن يعقد البِنصِر على إمامته، واتَّفق السَّكَّاكي والخلخالي وابن الصائغ على إتقان صياغته في صناعته، ولكن الأوْلى كفُّ العنان عن الجري في الميدان عن ذكر هؤلاء الفحول، والاقتصار على الكلم الجوامع، لئلا يُمَلَّ ما يملى، فأقول: إذا دعا هذا الإمام كل قديم ومحدث إلى الشهادة له بالإجادة في فنون النظم أجابه، وإذا ذُكر أبواب الإنشاءُ، فأبو بكر عليه الرضوان مقدم على جمع الصحابة[3]، والسَّلام.

---

(١) في (ب، ط): «فكرتي».

(٢) في (ط): وأخف نفسه. والنقس: هوالمِداد الذي يكتب به.

(٣) في (ط): جميع أصحابه.

[تقريظ آخر على بديعية ابن حجّة]

ومنه ما كتب به على «البديعية» لابن حجة أيضاً، فقال:

الحمد لله الذي أمر بتحميده، ووعد الشَّاكر لإحسانه بمزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مقرٍّ بتوحيده، معترف بكمال فضله وجوده، مخلص في الإيمان بوجوب وجوده، وأشهدُ أن محمداً المصطفى سيد عبيده، وحامل لواء مدحه وتمجيده، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره وجنوده.

أما بعد، فقد وقفتُ على هذه الجواهر المضيئة كالزواهر، والنوادر المنزهة للنواظر، وتأملت فصولها، فدخلت عليَّ المسرَّة من كل باب، وكرَّرت النَّظر في معانيها وصحة مبانيها، فما أخطأ منها شيءٌ صَوْبَ الصَّواب، فتبارك مَنْ خصَّ أبا بكر بالتَّقديم وإن تأخر زمانُ سيره، وناسب بين المادح والممدوح في هذه الخصوصية، ولا ريب أن أبا بكر أخصُّ بمحمَّد مِنْ غيره، دنا بفوائده من القلوب، فعقل مُجاريه قاص قاصر، ومهر فأمهر أبكار المعاني جواهر لفظه، فأكْرِمْ به في الحالين مِنْ ماهر، وسبق إلى غاية ما وراءها غاية، وأقام لطائفة الأدب إن اختلفت آراؤهم في البديع راية، فأمَّا الابتداء فما ألطف خبرُه، وأبهجَ ذهبه ودُرَرُه، وأمّا المخلص، فقسمه منه أوفر الأقسام، وحظُّه أتمُّ الحظوظ إذ اكتفى بمديح سيد الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام، وأما المقطع، فهو أحسنُ مِنْ كلِّ ما في دار الطراز، وأقسم أنَّه في هذا الباب مُقدَّم، وسواه على الحقيقة مجاز.

وقد تجاسر العبدُ على تقريظها طوعاً لأوامر مخترعها، وامتثالاً لإشارة مُبدعها، فقدح زناد ذهنه الكابي، فما أورى ولا قدح، واستنار معثار إنسانه فكدح، واقترح على قريحته الطواعية بما يناسب مقامه، فقالت: ومتى بلغك الحظ بعض مقترح، فصلى وراء[1] هذا السابق مسلماً، وأُصمِتَ ولو كان صدره بسيف العجز مُتكلماً. وكيف لا، وقد كان ذهنُه ولم يزل متبلداً، مع

---

(١) في (أ): «ورأى».

أنَّ نيران قلبه ذكية، ورَوِيَّتُه مثل بديهته سقيمة مما يقاسيه[1] مِنْ هذي البرية، وكان صدرُ قلمه أقسم أن لا يعود في العقد بسحر البيان نفَاثاً، وطلَّق أبكارَ هذا الفن الذي لا يلتفت إليه أحدٌ ثلاثاً، لكن لم يستطع مخالفة الإمام، لأنَّها مما وجب، وامتثال المراسم ـ كما يقال ـ مِنْ سلوك الأدب. ومع ذلك، فسِنان قلمه عن واجب وصف هذا الإمام غير مسنون، وصدر كَلِمه لا يرضاها لهذا الجوهر المكنون، فلا برح هذا الإمام متمسكاً مِنْ ولاء ممدوحه بأمتن سبب، ولا زال كنزاً لجواهر الأدب، يستغني به إلى أن يستغني عن الأدب إن شاء الله تعالى بمنِّه وكرمه.

[وقد قرض شيخنا لابن حجّة قصيدته الثانية التي امتدح بها البدري بن مزهر حسبما أشار إليه النواجي في «الحجة»، فينظر][2].

[تقريظ عجالة القرى للتَّقي الفاسي]

ومنه ما كتب به على «عجالة القرى في مختصر تاريخ أم القرى» للتقي الشريف الفاسي مما قرأته بخطه:

الحمد لله الذي جعل من تولاَّه بعنايته تقيّاً، وفضَّل بعضَ خلقه على بعض، فرقَّى منهم سعيداً، وأردى منهم شقياً، وشرَّف بعض الأمكنة على بعض، فاختصَّ البلد الحرام بالأمن والمحبة والبركة، وكفى بذلك فخراً[3] مرضياً.

وصلى الله على سيدنا محمد أرفع العالمين قدراً علياً، وعلى آل محمد وصحبه الأبرار المتقين، الذين حفظوا السُّنَنَ ونقلوها، وعرفوا معانيها وعقلوها[4]، ونظروا إلى الدنيا بعين الازدراء، فما مقلوها. صلى الله عليهم أجمعين وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) في (ب): «يناسبه». تحريف.

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب)، وأضافه المصنف بخطه في هامش (ح).

(٣) «فخراً» ساقطة من (ب).

(٤) في (أ): «وعلقوها»، تحريف.

أما بعد، فقد وقفتُ على هذا التاريخ البديع وضعاً، الغريبِ صُنعاً، فوجدتُه فاقَ المصنفات في هذا الفنِّ لصدق مغزاه، وتخصص بالشَّرف المطلق لفظه ومعناه، فهو تصنيفٌ شريف في معنى شريف لبلد شريف، اختاره الله وارتضاه. حَبَّره وأجاد في تأنيقه السيدُ الإمامُ الأوحد البارع المتفنن، ذو الأصل الزكي والذهن الوقَّاد الذكي، تقي الدين، مفتي المسلمين، حامي حمى الفقه والحديث، مع ما انضافَ إلى ذلك من تقوى صدقت لاسمه مسماه، وعبادة وزهادة وتواضع لائق بمن اصطفاه الله. فالله تعالى يلهمه شُكْرَ هذه المنّة، ويبقيه لحفظ السُّنَّة.

[تقريظ الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة للتقي الفاسي]

ومنه ما كتب به أيضاً على «الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرَّفة» للتقي المذكور:

أمَّا بعد، فقد وقفت على هذا التصنيف المفيد، والعقد الفريد، فرأيته قد أجاد تلخيصاً وتهذيباً، وفاق تبويباً وترتيباً، جمع جامعه ـ حفظه الله ـ فيه أشتات الفوائد، ومزج الأخبار التاريخية بالمسائل الحُكمية مَزْجَ العُقيان بالجواهر في القلائد، فلقد أبقى[1] بما ألَّف للبلد الأمين ذكراً مخلَّداً، وارتقى بما انتقى درجاً يعسُر على من رام اللَّحاق بها المدى، فالله المسؤول أن يحرُسَه بعينه، ويمُدَّه بعونه، ويحفظ نفسه، ويحمي حماه، ويوليه الثَّواب الجزيلَ على ما تولاَّه.

قال ذلك محبُّه الصادق في شعبان سنة عشرين وثمانمائة.

[تقريظ تحفة الكرام للتقي الفاسي]

ومنه ما كتب به أيضاً على «تحفة الكرام» للمذكور:

وقفت على هذا التأليف الشريف، وعرفت فضل ما فيه مِنَ التَّنويع

---

(١) في (ب): أتى.

والتَّصريف، فوجدته مجموعاً جامعاً، وأعجوبةً حوت الحُسن والحسنى معاً، قد حرر مؤلفه وأتقن، وغاص على الدُّرِّ من مظانِّه فأمعن، فجزاه الله عن بلده الحرام ومشاعره العظام أحسن جزاء، وكفاه جميع ما يتوقّاه مِنَ الأسواء. آمين آمين. قاله الفقير المعترف بالتقصير.

[تقريظ مجموع تقي الدين الكرماني]

ومنه ما كتب به على مجموع للإمام تقي الدين يحيى ابن شيخ الإسلام الكرماني:

وقف العبدُ أحمد بن علي بن حجر الشافعي ـ عفا الله عنه ـ على هذا المجموع، الجامع للمحاسن، المانع من طعن الطاعن، فوجدتُه اشتملَ على فنون مِنَ الجدّ والهزل، [والرقيق والجزل][1]، وعلى أنواع من العلوم القرآنية والحديثية والفقهية، وهي علوم الإسلام الشرعية، مع ما تخلَّلها مِنَ اللَّطائف التي تنشط نفس المُجدِّ في الاشتغال، وتوصله إلى غاية المجد في الحال والاستقبال. وما أحقَّه بقولي:

نظرتُ لما سطَّرتَه مِنْ فوائدٍ ... لها الفضلُ إذ راقت محاسنُها يُعزا
وقد لذَّ ما أبديتَ منها بخاطري ... ولم يكفِ طرفي منه جزءٌ ولا أجزا

[تقريظ ديوان الملك الأشرف]

[ومنه ما كتب به على «ديوان» شعر الملك الأشرف أحمد بن الملك العادل سليمان بن غازي الأيوبي صاحب حصن كيفا، حيث أحضره إليه أرغون دوادارُه في أوائل سنة إحدى وثلاثين مما غاب عني الآن.

[تقريظ ديوان الملك الكامل]

وكذا كتب على «ديوان» ولده الملك الكامل خليل، المستقرّ بعد قتل

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

والده المذكور في سنة ستٍّ وثلاثين][1].

[تقريظ الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي]

ومن ذلك ما كتب به على «الرد الوافر على من زعم أن ابن تيمية شيخ الإسلام كافر»، لحافظ الشام ابن ناصر الدين، في سنةٍ خمس وثلاثين، وحدَّث به في أواخر (السنة)[2] التي تليها بالشام، بقراءة صاحبنا النجم الهاشمي:

الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى.

وقفت على هذا التأليف النافع، والمجموع الذي هو للمقاصد التي جُمع لأجلها جامع، فتحقَّقتُ سَعَة اطِّلاع الإمام الذي صنَّفه، وتضلُّعَه مِنَ العلوم النافعة بما عظَّمه بين العلماء وشرَّفه.

وشهرة إمامه الشيخ تقي الدين ابن تيمية أشهرُ مِنَ الشَّمس، وتلقيبُه بشيخ الإسلام في عصره باقٍ إلى الآن على الألسنة الزكيَّة، ويستمر غداً كما كان بالأمس، ولا يُنكِرُ ذلك إلاَّ من جهل مقداره، أو تجنَّب الإنصاف، ممّا أكثر غلط مَنْ تعاطى ذلك وأكثر عثاره، فالله تعالى هو المسؤول أن يقينا شُرورَ أنفسنا وحصائد ألسنتا بمنِّه وفضله.

ولو لم يكن مِنَ الدَّليل على إمامة هذا الرّجل إلا ما نبَّه عليه الحافظُ الشَّهير علم الدين البرزالي في «تاريخه» أنَّه لم يُوجد في الإسلام مَنِ اجتمع في جنازته لمَّا مات ما اجتمع في جنازة الشيخ تقي الدين، وأشار إلى أن جنازة الإمام أحمد كانت حافلة جداً، شهدها مئو ألوف[3]، ولكن لو كان بدمشق مِنَ الخلائق نظيرُ مَنْ كان ببغداد، بل أضعافُ ذلك، لما تأخَّر أحدٌ منهم عن شهود جنازته. وأيضاً فجميعُ مَنْ كان ببغداد إلاَّ الأقلَّ، كانوا يعتقدون إمامة الإمام أحمد، وكان أميرُ بغدادَ وخليفةُ الوقت إذ ذاك في غاية المحبَّة له والتعظيم،

---

(١) من قوله: «ومنه ما كتب به على ديوان...» إلى هنا لم يرد في (ب)، وألحقه المصنف بخطه في (ح).

(٢) ساقطة من (ب، ط).

(٣) في (أ): ما بين مئو ألف، وفي (ب): ما بين ألوف. والمثبت من (ط).

بخلاف ابن تيمية، فكان أميرُ البلد حين مات غائباً، وكان أكثر مَنْ بالبلد مِنَ الفقهاء قد تعصَّبُوا عليه حتى[1] مات محبوساً بالقلعة، ومع هذا، فلم يتخلَّف منهم عن حضور جنازته والتَّرحُّم عليه والتَّأسُّف عليه إلا ثلاثة أنفس، تأخَّروا خشيةً على أنفسهم من العامة. ومع حضور هذا الجمع العظيم، فلم يكن لذلك باعثٌ إلا اعتقادُ إمامته وبركته، لا بجمع سُلطانٍ ولا غيره، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «أنتم شُهودُ الله في الأرض».

ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعةٌ مِنَ العُلماء مراراً، بسبب أشياء أنكروها عليه مِنَ الأصول والفروع، وعُقِدَتْ له بسبب ذلك عدَّةُ مجالس بالقاهرة ودمشق، ولا يُحفظ عن أحد منهم أنَّه أفتى بزندقته، ولا حَكَمَ بسفك دمه، مع شدة المتعصبين عليه حينئذٍ مِنْ أهل الدولة، حتى حُبس بالقاهرة ثم بالإسكندرية، ومع ذلك، فكلُّهم معترِفٌ بسعة علمه[2]، وكثرة ورعه وزُهده، ووصفه بالسَّخاء والشجاعة، وغير ذلك مِنْ قيامه في نُصرة الإسلام، والدُّعاء إلى الله تعالى في السِّرِّ والعلانية، فكيف لا ينكر على من أطلق أنه كافر[3]، بل مَنْ أطلق على مَنْ سمّاه شيخ الإسلام الكفر، وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك، فإنَّه شيخٌ في الإسلام[4] في عصره بلا ريب.

والمسائل التي أنكرت عليه ما كان يقولُها بالتَّشهي، ولا يُصِرُّ على القول بها بعد قيام الدليل عليه عناداً، وهذه تصانيفُه طافحة بالرَّدِّ على مَنْ يقولُ بالتَّجسيم والتبرؤ منه، ومع ذلك فهو بشرٌ يخطىءُ ويُصيبُ، فالذي أصاب فيه ـ وهو الأكثرُ ـ يُستفاد منه، ويُترحَّمُ عليه بسببه، والذي أخطأ فيه [لا يُقلَّدُ فيه][5]، بل هو معذورٌ؛ لأن أئمة عصره شهدوا له بأن أدواتِ الاجتهاد اجتمعت فيه، حتى كان أشدُّ المتشغِّبين عليه، القائمين في إيصال الشَّرِّ إليه ـ وهو الشيخ كمال الدين الزملكاني ـ يشهدُ له بذلك، وكذلك

---

(١) في (أ): «حين».

(٢) في (ط): فضله.

(٣) في (أ): «كان كافر».

(٤) كذا كانت في (ح)، ثم غيرت فأصبحت: «شيخ مشايخ الإسلام».

(٥) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

الشيخُ صدر الدين ابن الوكيل، الذي لم يثبُت لمناظرته غيرُه.

ومن أعجب العجب[1] أنَّ هذا الرجل كان أعظمَ النَّاس قياماً على أهلِ البدع مِنَ الرَّوافض والحُلوليَّة والاتحاديَّة، وتصانيفُه في ذلك كثيرة شهيرة، وفتاويه فيهم لا تدخُل تحتَ الحصر، فيا قُرَّة أعينهم إذا سمعوا تكفيره[2]، ويا سُرورَهم إذا رأوا مَنْ يكفِّره من أهل العلم!

فالواجب[3] على مَنْ تلبَّس بالعلم، وكان له عقلٌ أن يتأمَّل كلام الرَّجُلِ مِنْ تصانيفه المشهورة، أو من ألسِنَةِ من يُوثَق[4] به من أهل النَّقل، فيُفرد مِنْ ذلك ما ينكر، فيحذر منه على قصد النُّصح، ويثني عليه بفضائله فيما أصاب من ذلك، كدأب غيره من العلماء الأنجاب.

ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية، صاحب التصانيف النافعة السائرة، التي انتفع بها الموافق والمخالف، لكان غاية في الدلالة على عظيم منزلته، فكيف وقد شهد له بالتقدُّم في العلوم، والتميُّز في المنطوق والمفهوم أئمةُ عصره مِنَ الشَّافعية وغيرهم، فضلاً عَنِ الحنابلة.

فالذي يُطلِقُ عليه ـ مع هذه الأشياء ـ الكفر، أو على مَنْ سمَّاه شيخ الإسلام، لا يُلتفت إليه، ولا يُعوَّلُ في هذا المقام عليه، بل يجب ردعُه عَنْ ذلك، إلى أن يُراجع الحقَّ[5]، ويُذعن للصَّواب، والله يقول الحقَّ، وهو يهدي السبيل، وحسبُنا الله ونعم الوكيل.

[تقريظ شرح عقود الدرر في علوم الأثر لابن ناصر الدين]

ومنه ما كتب به قبل ذلك في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة على

---

(١) في (ط): العجائب.
(٢) في (ح): بكفره.
(٣) في (ط): «فالجواب»، تحريف.
(٤) في (أ): «يؤثر».
(٥) في (ط): «إلى أن يرجع إلى الحق».

مصنَّف المذكور «شرح عقود الدرر في علوم الأثر»، ونصُّه[1]:

أما بعد، فقد مررتُ على هذا التَّأليف البديع المثال، العزيز المنال، الجامع لما تفرَّق فيما سواه، البالغ مِنَ الإحاطة بالفن الأمدَ المتناه، فحمدتُ الله تعالى على ما مَنَّ به مِنْ وجود هذا الحافظ الفريد حتى أتحفَ بشُهرة هذا الفن الغريب، ويسَّره وقرَّبه بعد التعسير والتبعيد، ووجدتُه احتوى على كل معنى باهٍ باهرٍ، وصدَّقه قولهم: كم ترك الأول للآخر[2]، واللَّهَ تعالى أسألُه أن يبقيَه لهذا الشَّأن الذي صار جمعُ أهله في درجة القِلَّة حتى تكثَّروا ببركته، فيعز بوجودهم الملة.

وقد تجاسرتُ فيه على كتابة موتضعات على سبيل التَّذكرة، أتحقَّقُ أنَّها لدى هذا الحافظ الشهيرِ مشتهرة، وأسأله الإغضاء عمَّا لعلَّه وقع فيها مِنْ سقطٍ زلَّ به القلم مِنْ غير رويَّة، لأن مِنْ شأنه قبولَ المعذرة.

[وله أيضاً على «منظومته» في الحفَّاظ و«شرحها» ما أسلفته في الباب الذي قبله][3].

[تقريظ وجهة المختار لابن سويدان]

ومنه ما كتب به على «وجهة المختار ونزهة المحتاج نظم فرائض المنهاج» للشيخ ناصر الدين محمد بن محمد بن يوسف بن سويدان المنزلي.....[4]

[تقريظ شرح منهاج البيضاوي لابن إمام الكاملية]

ومنه ما كتب به على «شرح منهاج البيضاوي» للعلامة الكمال إمام الكاملية:

---

(١) في (ب): «ومنه».

(٢) في (ط): «والآخر».

(٣) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب). وقد تقدم ذلك ص ٦٨٤ برقم ٢٠١ عند سرد مصنفاته.

(٤) بياض في الأصول.

أما بعد، فإنني نظرتُ في هذا الكتاب الذي حَسُنَ موقعه من ذوي الأبصار والبصائر، وشَرُفَ موضعه لما اشتمل عليه مِنَ النَّفائس والذخائر، وعظُمَ موضعُه حتى صحَّ قولهم: كم ترك الأول للآخر، فشكرتُ همَّة مؤلفه الباهر، وصرفتُ الفكرة إلى الثَّناء على تصرُّفاته الزاهرة، فلقد مزج الشَّرح بالمتن على الطَّريق التي قلَّ من ينهض بوافي حقِّها حتَّى تُشرِقَ أنوارُ فكرته في نواحي أفقها، وتعزّ من يسير فيها مستقيماً إذا اشتبهت عليه تشعُّبات طرقها.

فالله تعالى يُبقيه للأصول يحفظُها على طالبيها، وللفروع يستنبطُها مِنْ قواعدها، حتَّى يقرِّب ثمارَها مِنْ جانيها، وقد حُقَّ له أن يُقرىء هذا الشرح وأصله، ويوصل سبب الطالب بسببه، حتى يقوى ببلوغ مراده حبلُه، فلذلك أذنتُ له أن يُقرىء العلوم الشرعية أصولاً أركانها ثابتة يقرِّبُ إلى أفهام الطالبين وصولها، ويقعِّدُ قواعدها محصلها وحاصلها ومنتهاها وسُؤلها، وفروعاً[1] يقتطف ثمارها الدانية منه كلُّ مَنْ رام يبلغ نفسه مأمولها، إلى غير ذلك مِنَ العلوم الآلية التي تاجُها فنونُ اللغة العربية التي يصلح معها اللسان مِنَ الزَّلل، وزَيْنُها الذي يسلم به الذهن السليمُ مِنَ الخلل، والله يُسبغُ عليه مِنْ نعمه إفضالاً، ويزيده مع إمامته[2] الكاملية كمالاً وجلالاً.

[تقريظ الأربعين لجلال الدين البلقيني]

ومنه ما كتب به على «أربعي القاضي جلال الدين البلقيني تخريج الشيخ رضوان»:

وقفت على هذه «الأربعين»، فقضيت مِنْ حُسنها عجباً، وقضيت بأنها تصبي سامعها حتى يهتز طرباً. وكيف لا، وهي مِنْ مرويات إمام فاق الأشياخَ، فضلاً عن الأقران، وراق الأسماعَ ذكرُه، فكيف بالعيان. فاللهَ يُبقي المخرَّجة له والمنتقي، ويُرقي درجاتهما حتى يعجز عن لحاقها مَنْ يروم أن يرتقي.

---

(١) في (ط): «وفروعها».

(٢) في (أ): «أمانته».

[تقريظ نزهة القصَّاد للشريف النسَّابة]

ومنه ما كتب به على مصنف الشريف البدر النسَّابة المسمَّى «نزهة القصَّاد»، ونصُّه:

أما بعد، فقد تنزَّهتُ في هذه النُّزهة، وشرحتُ صدري بها مِنَ الزَّمان بُرهة، انتهزتها مِنَ الشواغل، وتمنيت طول تلك البُرْهة، فتحقَّقتُ أنَّ كلام الشريفِ شريفُ الكلام، وأن الكَلِمَ الطيِّبَ لا يُستغرب مِنَ البيت الطيب على أصله أفضل الصلاة والسلام، فالله المسؤول أن ينفعَ به كما نفعَ بسلفه، ويُديم على طلبة العلم بركة علمه وعظيمَ شرفه.

[تقريظ الغيث الفائض في علم الفرائض للحسيني]

ومنه ما كتب به على «الغيث الفائض في علم الفرائض» للسيد القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن عمر بن الحسين الحسيني الشافعي الدمشقي:

أمّا بعد، فقد تشرفت بالنظر في هذه الرياض[1] المونقة، وتصرفت في استيفاء العمل المستقبل مِنْ هذه الأفنان المُورقة، فيا لها روضة سقاها الغيثُ حتى أثمرت الفروع الزاهرة، وما أشرفها زهرة سطعت في منارات الشَّرف الباهرة، لقد توسع منشئها في اقتناص الدُّرِّ، حتى فاقت جواهر «الصِّحاح» وترفَّعت لشرفها على النَّظر، حتى خفض كلُّ لبيبٍ لها الجناح، وتفرّعت الفنون، فساح طَرْفُ ناظرها في معانٍ فِسَاح. (هكذا هكذا وإلا فلا لا)، طرق الجد غير طرق المزاح. والله المسؤول أن ينفع بهذا التأليف كلَّ مستفيد سلَّم له وأذعَن وحيا، ويتقبَّل عمله الذي يشكره عليه الأموات والأحياء. آمين آمين.

[تقريظ مسالة الساكت للسوبيني]

ومنه ما كتب به على «مسألة الساكت» تصنيف الشيخ برهان الدين السُّوبيني[2]:

---

(١) في (أ): «الرياضة».

(٢) نسبة إلى سوبين، قرية من قرى حماة. وهو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم، المتوفى =

أما بعد، فقد وقفت على هذه الفوائد البديعة، الناشئة عن الهمة الرفيعة، فعرفت أنها جمع لا نظير له، يقرع السمع.....[1] وضوابط للعقول السليمة في ميادين الفهوم الصحيحة، وروابط تؤذن بأن جامعها فاق مَنْ سبق إلى ضبط ذلك، اطّلاعاً وانتقاداً، وفات لحاقه من يجيء بعده طرداً واطّراداً، فعلمت به أن وحي التأمّل[2] لم ينقطع، وأنَّ الله تعالى بقدرته يدّخر للمتأخر ما لم يقف عليه المتقدِّم وإن كان يبذُل الوُسْعَ حين يطلع، فالله يُديم عليه نعمه تترى، ويجمع له بين خيري الدُّنيا والأخرى، ويسوق له أعناق السَّعادة في الدَّارين فرادى وزُمَراً، ويسلمه حيث حلَّ سفراً وحضراً. آمين آمين.

ومنه ما كتب به على تصنيف صاحبنا العلامة عز الدين حمزة الحسيني الدمشقي أحد تلامذته [في «تتمة خبايا الزوايا»][3].....[4]

[تقريظ منظومة الشغري في النحو]

ومنه ما كتبه على «منظومة في النحو» لأبي العباس الشغري:

وقفت على هذه المنحة السَّنِيَّة، واللَّمحة العربية، والدِّمنة الغزلية، فأعجبني انسجام ألفاظها، واشتقاق معانيها، وشدة أربها، وقوة مبانيها، وعلمت أنَّ مثلها لا يتأتّى إلا ممَّن مارس العلوم، وبهر في المنثور والمنظوم، فدعوتُ لمصنِّفها بالإعانة على حلِّ رموزها، وفتح مُقفلها بإظهار كنوزها، ليجمع بين العلم والعمل به، وليشتهر بالفضل في مشرقه ومغربه.

= سنة ٨٥٨هـ. انظر الضوء اللامع ١/ ١٠٠ ـ ١٠١، ففيه إشارة إلى تقريظ الحافظ ابن حجر لهذه الرسالة التي سماها السخاوي: «جزء في مسائل تكون مستثناة من قاعدة لا ينسب لساكت قول».

(١) بياض في الأصول.

(٢) في (ط): «التأويل».

(٣) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٤) بياض في الأصول.

[تقريظ البرهان الواضح للناس لابن أبي اليُمن المكي]

ومنه على «البرهان الواضح للناس» للشيخ نور الدين بن أبي اليُمن المكي ما نصُّه:

نظرتُ في هذه الأوراق، فوجدتُها مشتملةً على مباحثَ سنِيَّة، وإراداتٍ بهيَّة، وانتقاداتٍ سريَّة على الطريقة المرضيَّة، جارية على سنن الإنصاف، غير سالكة طريق الاعتِساف، فحقَّ لجامعها أن يُسَلَّمَ له ما ارتضاه، وينفذ حكمه فيما قضاه وأمضاه، والله يُمتّع ببقائه طلبة العلوم، حتى يشمل الكافَّة ما يصدر منه مِنْ محاسن المنطوق والمفهوم. آمين.

[تقريظ زهر الربيع في شواهد البديع لابن قرقماس]

ومنه[1] على «زهر الربيع في شواهد البديع» للشيخ ناصر الدين بن قرقماس[2] الحنفي، فقال:

سبحان البديع الرفيع. وقف الفقيرُ أحمد بن علي العسقلاني على هذا الجمع البديع، ونشق ريّا زهرِ الرَّبيع، وافتنَّ بفنون هذه الغصون الشَّوارد، وحكم برجحان ميزان هذا الناظم لصدق شهادة هذه الشَّواهد، واستدلَّ على أن الآخر قد يفوقُ الأوَّلَ بما ثبت مُسنداً بالطُّرق القطعية عن النبي المصطفى المرسل، فإنه ـ مع تأخُّرِ زمانه ـ فاق مَنْ تقدَّمه في كبر السِّنِّ فضلاً عن أقرانه. والله المسؤول أن يُديم نعمه على هذا النَّاظم، وأن يلهمه شكره، ليزداد مِنْ فضله الدَّائم. آمين، آمين، آمين.

[تقريظ الجامع المفيد في صناعة التجويد للسنهوري]

ومنه على «الجامع المفيد في صناعة التجويد»، تصنيف الشيخ زين الدين جعفر السنهوري ثم الأزهري المقرىء، فقال:

---

(١) من هنا إلى نهاية تقريظ «تحفة الأنفس» ألحقه المصنف بخطه في ورقة منفصلة في (ح)، ولذا لم يرد في (ب).

(٢) في (أ): «فيماس»، تحريف. وهو محمد بن قرقماس بن عبد الله الأقتمري، المتوفى سنة ٨٨٢هـ. انظر الضوء اللامع ٨/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

آما بعد، فقد وقفتُ على هذا العقد الفريد، والدُّرِّ النَّضيد، والتحرير المجيد لتلاوة القرآن المجيد، فوجدتُه مجموعاً جموعاً، وحاوياً لأشتات الفضائل، وللحشو والإسهاب منُوعاً. فالله يَجزي جامعَه على جمعه جوامع الخيرات، ويُسكِنُه أعلى الغُرُفات، المعدَّة لمن كان لربِّه مطيعاً.

[تقريظ تحفة الأنفس الزكية لأبي حامد القدسي]

ومنه على «تحفة الأنفس الزكية في سير الملوك المرضية» لأبي حامد القدسي، قدَّمه للظاهر جقمق، ونصُّه:

وقف الفقيرُ مسطِّرُ هذه الأحرف على هذه التُّحفة الشَّريفة، وتصفَّح صفحات هذه السِّيرة الظريفة، واستنشقَ نفحاتِ هذه الرِّياض الزَّاهرة، واستضاء بلمحات هذه الأنوار الباهرة، فوجد المُخبَرَ زاد على الخَبَر والعيان طابق البصيرة فابتهج بالنَّظر. وكيف لا، ومنشئُ هذه الفكرة البديعة رأسُ جمع البلاغة، ومرصِّعُ هذه الدُّرر أهلُ له صناعة الصياغة. وقد ازدادت زواهرُ جواهره بشرف مَنْ أُنشئت مِنْ أجله، واتَّصل حبلُها الأقوى بسبب متمكِّن مِنْ حبله، وهو المقام الشريف السلطاني، ظِلُّ الله في الأرض، والواجب له الطَّاعة على كل مَنْ تطاول في الانتماء إليه، فأمِنَ على نفسه في هذه الدار ويوم العرض، القائم بما شَرَعَ الله تعالى لعباده مِنَ السُّنة والفرض. والعِلْم محيطٌ بأنَّه أحاط بأصول العلوم، دقيقها وجليلها، لكن قد أمر الله نبيَّه وحبيبه وصفيَّه بالذكرى، وجرى على هذا السَّنَن مَنِ اتَّبع أمرَه العليَّ، ففاز بالنَّجاة في الدنيا والأخرى إن شاء الله تعالى[1].

[تقريظ كتب السخاوي]

ومنه ما كتب به على أول شيء خرجتُه في ابتداء الطلب:

وقفت على هذا التخريج الفائق، وعرفت من الله على عباده بأن ألحَقَ الأخيرَ بالسَّابق. ولولا ما أفرط فيه من الإطراء فيَّ لما عاقني عن الثناء عليه

---

(١) من قوله: «ومنه على زهر الربيع». إلى هنا لم يرد في (ب) حيث ألحقه المصنف بخطه في ورقة منفصلة من نسخة (ح).

عائق، والله المسؤول أن يعينه على الوصول إلى الحصول، حتى يتعجَّب السَّابقُ مِنَ اللاحق.

[وكتب لي على غيره من تصانيفي غير ذلك][1].

[تقريظ مرثية لابن الغرز]

ومنه في تقريظ مرثيّة نونية عملها خليل بن أحمد بن الغرز حين وفاة ولد له:

الحمد لله ملهم الصبر الجميل. أما بعد، فقد وقفتُ على هذه المرثية البليغة، البالغة في الرقة لفظاً ومعنى وصيغة[2]، المحركة للشَّجَن الكامن في القلوب المصدوعة، المثيرة للحزن الثابت في النُّفوس المرُوعة، فوجدتُها - مع شغل خاطر ناظمها من الوراد الذي صدر، والعارض الذي ساجل الدَّمعُ به المطر - قد أظهرَتْ مِنْ أنواع البديع ما لم يعرّج عليه بديعُ الزمان، ومِنْ فنون البيان ما تدانت ثماره مِنَ الأفنان، وزادت على ابن زيدون في تشوّقه إلى ولاَّدة بما هيجت مِنْ ذكرى الأولاد، وغاية أبي الوليد طلب ممكن مِنَ الوصل، وهذا لعدم الإمكان يكاد ماضي حسرته يقطع الأكباد. فالله تعالى المسؤول أن يُنزل عليه الصَّبرَ الجميل، ويمتعني بفوائده حتى إذا أُنسيت ذكرى حبيب، أنست ذكرى خليل[3].

[تقريظ موشح]

ومنه في تقريظ موشح:

ونَثَر أسهُم ألفاظه مِنْ كنانة فكرته، فما أصابت من القول غَرَض، وعرض جنودَ معانيه لمعارضة ذلك الجوهر الفرد، فقصَّرت لما عرض، وقدح زِنَادَ ذهنه الكابي، فما أورى ولا قدح، واقترح على قلبه قريحةَ

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب)، وفي (ط): «وكتب لي غير ذلك من تصانيفي».

(٢) في (أ): «وصنعة».

(٣) في (ب): «قليل»، تحريف.

المساجلة فقرح، واستثار معثار إنسانه للمناظرة فكدح. فصلى وراء[1] ذلك السَّابق مسلماً، وصمت عجزاً، وإن كان فكره مِنَ الألم متكلماً.

[تقريظ على درج الجمال ابن حجاج]

ومنه ما كتب به على درج الجمال عبد الله بن حجاج أحد الكتاب مما نقلته من خطه الفائق:

العظمةُ لله. تحقَّقتُ إتقان[2] هذا الرَّقْم البديع، واستنشقت رَيْحان هذا الرَّوض المَرِيع، فعلمت أنه نسخ حكم الماضين بتوقيعه، وفضح دعوى من عاند بتجنيسه وتنويعه، فاستحقَّ أن يلحق بالكرام الكاتبين حيث لم يلحق حاسده غبار سابقيه، وأن يترقَّى في درجات الفضائل، وضدّه يتمنى لو عُدَّ من حاشيته، وأن تكون كتابتُه في صحائف النّضار، وغيره يكتب في الرِّقاع، وإذا اختلف القول في تفضيل مَنْ مضى، فعبدُ الله هذا انعقد على تقدُّمه الإجماع. انتهى.

وسُرَّ الجمال بذلك كثيراً، حتى كان يقول: إنه في الكتابة في مقام أشياخ شيوخه، وهو كذلك، بل أعلى[3] وأولى.

[تقريظ نظم لعبد السلام البغدادي]

ومن تقاريظه المنظومة: ما كتب به على نظم العلامة عبد السلام البغدادي جواباً عن سؤال ورد عليه من مكة:

حمدت الله شكراً مع سلامي ... على الهادي إلى دار السَّلامِ
وأمَّا بعد ذاك فلي ثناءٌ ... كنثرِ الدُّرِّ مِنْ هذا النظامِ

---

(١) في (أ): «ورأى».
(٢) «إتقان» ساقطة من (ب).
(٣) في (أ): «أعلم».

لعلمٍ زانه فَهْمٌ جليلٌ يفوق على الدقيقي والعلامي[1]
لعمري قد أجاد وجاد لمَّا أجاب مسهلاً صعب المرامِ
وليس بمنكرٍ معروف فضلٍ إذا ما جاء من عبد السلامِ
إمامٌ ألمعيٌّ لوذعيٌّ فيا لله من حبرٍ هُمامِ
شريف النفس والأصل المعلَّى لطيف الخلق حتى في الكلامِ
وقاه الله ما يخشى ليلقى الـ ذي يرجو من الملك السلامِ

والتمس من صاحب الترجمة قديماً العلامة الشهاب أحمد بن منصور الأشمومي[2] أن يقرظ له «منظومته في النحو»، فكتب له عليها شيئاً ما وقفت عليه[3].

(١) في هامش (ط): يعني ابن دقيق العيد وابن بنت الأعز.
(٢) في (ب) و«المجمع المؤسس» ٣/ ٧٠ ـ ٧١ «الأشموني»، حيث ترجمة الحافظ ابن حجر وأشار فيه إلى تقريظه لمنظومته. وانظر الضوء اللامع ٢/ ٢٢٧.
(٣) كتب المصنف هنا بخطه: ثم بلغ الشيخ عزالدين بن فهد نفع الله به قراءة علي في ١٦ والجماعة سماعاً. كتبه مؤلفه.

الفصل الثاني
فيمن عرض محافيظه عليه
أو كتب له إجازة ممن تردَّد إليه

[الكتب المعروضة على ابن حجر]

فمن الأول:

ما كتب به لبعض[1] مَنْ عرض عليه «الشاطبية»:

أما بعد حمدِ الله الذي طوَّق فلان حرز الأماني، ووجَّهه سبل الخيرات، وهي وجه التهاني، والصلاة والسلام على محمد العاري المبين بكفاية الواحد والثاني[2] الراقي الطباق السبع[3] إلى أن كان بالتيسير الربَّاني[4] لقاب قوسين هو[5] الداني، وعلى آله وصحبه نجوم السماء وأعلام الأرض، صلاةً وسلاماً يترادفان عليهم إلى يوم العرض.

فقد عرض عليَّ فلان «الشاطبية» عرضاً أبان أنَّ[6] له في الحفظ يداً

---

(١) «لبعض» ساقطة من (ب).

(٢) في (أ): «والمثاني».

(٣) في (ط): «والراقي السبع الطباق».

(٤) في (ب): «الهاني».

(٥) في (ط): «فهو».

(٦) «أن» ساقطة من (ب).

طولى[1]، وأظهر أن الاشتغال بما يقرِّبُه للآخرة خيرٌ مِنَ الأولى، وأعلم أنَّ له همة غير قريحة تنادي: (يا خليليَّ امدحاني وقولا). وقد أجزتُ له روايتها بسندي فيها، وأسألُ الله أن يجعل القرآن نافعاً له في طوارق الحدثان، عاصماً له من نزغات الشَّيطان.

ومنه لمن عرض عليه «الفصيح»:

أما بعد حمد الله الذي جعل محبَّ الدين فصيحاً لبيباً، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، منزل الغيث العارض صبيباً، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وحبيبه، فيا حبذا سيداً وعبداً وحبيباً، صلى الله عليه وعلى آله وسلم مِلْءَ السماء والأرض، وأسأله أن يتطوَّل على تقصيرنا في تصريفنا بشفاعته يوم العرض.

فقد عرض عليَّ محبُّ الدين عرضاً تحذَّر كالنَّهر الفائض. أستغفر الله، بل كالسَّيلِ لمناسبته للعارض، قراءةً قررت أنه فاق مشاكله ومماثله، وسرداً وقفتِ النُّجومُ الجواري بين يديه ماثلة، دلّني على حفظه لجميع الكتاب، لأنَّه عن حق الحفظ ما راغ، وأذاقني حلاوة ألفاظه، لكنه ـ بحمد الله ـ ما زاغ، وأذِنتُ له أن يرويه عني إلى آخره.

ومنه في عرض القاضي علاء الدين البلقيني «للعمدة»، بعد وصفه بالولد العزيز النبيه الزكي الذكي الألمعي المَدِرة الحُفَظة البارع الأوحد، أعجوبة العصر في الفهم، ووصف والده بسيدنا ومولانا قاضي القضاة، وجدَّه بسيدنا ومولانا قاضي القضاة، شيخ الإسلام، علامة الأعلام، مفخر أهل العصر، والغُرَّة المشرقة في جبهة الدَّهر، وجد والده بسيِّدنا ومولانا، شيخ الإسلام والمسلمين، ختام المجتهدين، مربِّي السالكين، بقية السلف الأكرمين، وعُمدة الخَلَف[2] أجمعين. فقال: مواضع متعددة لم يدرك شأوه في جَوْدة[3] سردها، وشهد له شاهدُ العيان بأنه ذاق حلاوة شهدها، وكيف لا، وهو الفريدُ في أصالته، الوحيدُ في نباهته، النادرةُ في الفهم والذكاء،

---

(١) «طولى» ساقطة من (أ).

(٢) في (ط): «الخلق».

(٣) في (أ): «وجوده»، تحريف.

الآية[1] التي يضمحلُّ في مقابلة ضيائها شعاع ذكاء من آل بيت هم رؤوسُ النَّاس في كل خير وقادتهم، حيث يتوجهون[2] إلى الخيرات في كلِّ سير «شنشنة أعرفها من أخزم»، ولامعةٌ بارقها غيثُه قطُّ ما أخزم.

إلى أن قال: والله تعالى أسأل أن يُفيضَ عليه نِعَمَه تترى، وأن يبلغه شأوَ آبائه الكرام رِفعَةً وقدراً.

ثم بالغ في تواضعه على عادته بقوله: وكتب العبد أصغر تلامذة آبائه.

وفي عرضه أيضاً «للمنهاج»، فقال:

عرض عليَّ النَّجلُ السعيدُ، الذي سهمُه في المعالي سديد، وسببُه في العلم شديد. الأصيلُ الذي فاق جميعَ أهلَ عصره بشرَفِ الولد والوالد، وحقَّق لسامع مقاله وناظر كماله أنَّ هذا الشبل من ذاك الأسد، نسلُ شيوخ الإسلام مِنْ قِبَلِ آبائه وأمهاته، وسليلُ الأئمة الأعلام، فقد حاز المجد[3] من جميع جهاته، أقرَّ الله به العيونَ في نعمة مستمرة لأبيه وجدِّه، وأدام جِدَّة سعده وسعادة جدّه، ونفع الإسلام والمسلمين به، كما نفعهم بأسلافه، ورفع على توالي الأيام مقدارَه، وأمدَّه على مَرِّ الجديدين بإسعاده وإسعافه. الولد العزيز، والكنز الحريز، اللبيب الأريب، الأصيل الجليل، الزكي الذكي، الفقيه النَّبيه.

ووصف والده بسيدنا العبد الفقير إلى الله تعالى، شرفِ العلماء، أوحدِ الفضلاء، مفتي المسلمين، قاضي القضاة.

إلى أن قال: مواضع مفرقة اقترحتُها عليه من «منهاج الطالبين» في الفقه على مذهب الإمام المجتهد، عالم قريش أبي عبد الله محمد بن إدريس المطلبي الشافعي رضي الله عنه، تأليف الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، بركة

---

(١) في (أ): «الأمة».

(٢) في (ح): «يوجهون».

(٣) في (ب): «للجد».

الأنام، أبي زكريا النووي، شكرَ الله سعيه. مرَّ فيها كالبرق الوامض، والغيثِ العارض، والسَّهم أصاب الغرض وزاد، والجواد المُضَمَّر بلغ الغاية، فحبَّذا هو مِنْ جواد، دلَّت على أنَّه استظهر جميع الكتاب حفظاً، واحتوى على جميع ألفاظه لفظاً لفظاً، وأرجو أن يحويَ فهماً لجميع معانيه بذهن وقَّاد، وقريحة يقظى.

إلى أن قال: والله أسألُ أن يوفقنا أجمعين لما يحبُّ ويرضى، وأن يُسامح كُلًّا منَّا يوم العرض عليه، فإنَّ جُودَه لا يُحصى، ونعمه لا تُستَقصى، وديون مِنَنِه[1] على العبد لا تُقضى.

ومنه في عرض ولي الدين بن تقي الدين (البلقيني)[2]، الذي وَلِيَ بأخرة قضاء الشام ومات هناك: دلَّ حُسْنُ سرده لها على أنه استظهر جميعه، وورد بلطيف فطنته ينبوعه، ولقد أخبرت أنَّه سرده أجمع، لم يغادر منه كلمة إلاَّ أحصاها، ولا تلعثم في مسألة منه حين أوردها ورواها. فلله درُّ هذا السَّهم الأسد، وغير نكير أن ينتج هذا الشبل إلا ذلك الأسد.

قلت: وقد أخذَ القاضي ولي الدين المذكور ـ عفا الله عنه ـ أواخرها، فضمَّنه إجازة كتبها لولد الشيخ شهاب الدين بن أسد، وصار يتبجّح بها، ويُوهم ابتكاره لها، ثم تبيَّن لي بأخرة أن صاحب الترجمة كتبها للولي المذكور كما أثبته.

ومنه لابن مزهر: الحمد لله الذي زاد أبناء النُّجباء ونجباء الأبناء جلالاً، وأطلع في سماء المعالي بدراً راق جمالاً، وفاق كمالاً، وحفَّه بكواكب كلٌّ منها في الأفق السامي مزهرٌ نوره يتلألأ.

أحمده على أن هدانا المنهاج القويم المفرِّج لكل شدَّة، وأشكره على أن حفَّنا بألطافه التي عليها العُمدة، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو الجلال والإكرام، الذي مَنَّ على المؤمنين بوجود محمد عليه الصلاة

---

(١) في (ط): «منته».

(٢) «البلقيني» ساقطة من (أ).

والسلام، وجعل حديثه النبويَّ عُمدة الأحكام، وشريعته الطَّاهرة قائمةً إلى يوم القيام. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إماماً لأهل الأرض، ونعمة شاملة لأمَّته، فبيَّن لهم السنَّة والفرض، وتطوَّل عليهم بالنعمة الكاملة في الدنيا، والنعمة الشاملة يوم العرض. صلى الله وسلم عليه، وحيَّا بلداً [حلَّ بها وبلداً][1] منها جاء، وعلى إخوانه المرسلين الذين جعل لكلٍّ منهم شرعة ومنهاجاً، وعلى آل محمد وصحبه الذين كان كلٌّ منهم لشمس الهداية سراجاً.

أما بعد، فقد عرض عليَّ بمحضرٍ مِنَ المقام الشريف السلطاني الملكي الأشرفي، ذي الطود[2] الباذخ، العزِّ الشامخ، والعدل الذي ملأ الأقطار، والجُودِ الذي ساجل الأمطار، فكلٌّ منها رأسٌ راسخ، وبمسمع مِنَ السَّادة القُضاة، والأئمة المشايخ، نصر الله تعالى سلطانهم على أعدائه، وأبقى مُهَجَ أخصائه وأودَّائه، وحفظه في نفسه وماله وأولاده، وختم له بالحسنى في معاده، وجمَّل الوُجودَ بوجود هؤلاء الموالي، وأيَّدهم بعزه على التوالي الجناب العالي الجلالي جلال الدين أبو المحامد محمد ابن المقرِّ الكريم العالي البدري أبي المعالي محمد، صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية، ذو الأصل الثابت فرعه في سماء المجد مقمر، والعز الثابت،

(فكل مكان ينبتُ العزَّ طيِّب)

ولأجل السجعة أقول نيَّر: والبيوت المشرقة بأنواره، والقطُوف الدانية بثماره، وكيف لا، وأصله في الحالين مُزهر، بلَّغه الله مَرامَه، وأدام عليه إنعامه، وأنبت فيهم هذا نباتاً حسناً، وبلَّغه مِنْ فهم العلم غاية المُنى، وعامله فيه بلطفه مِنْ فضله، وزان الوجود بوجود مثله، وعزَّ وجودُ مثلُه ـ مواضع مفرقة من طرفَيْ كل كتابَيِ «العمدة» و«المنهاج» ومِنْ أثناء كُلٍّ منهما، عرضاً أبان فيه في الحفظ عن يدٍ طولى، وسرداً كلَّما امتحن من صفحة، تلا عليه

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (ط).

(٢) في (ط): «الطول».

لسانُ التي تليها: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ مضى فيما اقترح عليه من الكتاب طرداً أمِنَ فيه مِنَ العكس، ومرَّ فيه بأحلى أداءٍ، يكاد يسبق فيه النَّفَسُ النَّفْس، دلَّ على أنه استظهر جميع الكتابين دلالة حدسٍ يوازي اليقين ذلك الحدس، فأعيذُه بالرَّحمٰن مِنْ عين كلِّ حاسدٍ ولو أنها عينُ الشَّمس، وقد أذنت له، أسعد الله جدَّه، وأبقى أباه [ورحم جدَّه][1]... إلى آخرها.

ومنه لابن حجي سبط الكمال البارزي[2]:

الحمد لله الذي يسَّرَ لمن حَفِظَ الأصول لاقتفاء آثارها واستضاءة أنوارها، حِفْظَ الفُروع لاجتناء ثمارها واقتطاف أزهارها، واطَّلع في سماء الكمال والبهاء والجمال نجماً تولَّد بين الشمس والقمر، ينتمي لنجم يضيء بضياء أخباره الزهر، ويطيب مِنْ آثاره فائحُ الزَّهر. فيا لك نجماً بأنوار الذكاء يتوقَّد، ويفوق على أقرانه حتى الفرقد.

والصلاة والسلام على خِيَرة الله مِنْ خلقه محمد الهادي إلى الصراط المستقيم، الداعي إلى سلوك الطريق القويم، فبلَّغ ما أمر الله به ونهى، وصار إلى مَنْ حفظ شريعته مِنَ الفخار المنتهى، وعلى آله وصحبه نجوم الهدى ورجوم العدا، صلاةً وسلاماً متلازمين من اليوم إلى أن يبعث الناس غداً.

أما بعد، فقد تطوَّل عليَّ بأن عرض عليَّ مواضع مفرقة مِنْ كلٍّ مِنَ «المنهاج في الفقه» لشيخ الإسلام النووي، ومِنْ «مختصر منتهى السول في أصول الفقه» للعلامة أبي عمرو بن الحاجب، المقرُّ العالي القضائي الكثيري[3] العالمي الفاضلي البارعي الأوحدي الأكملي البليغي الأثيلي الأثيري الأصيلي العريقي الماجدي النجيبي النَّجمي، جمالُ الإسلام والمسلمين، شرفُ الفضلاء البارعين، نجلُ الأئمَّة، إمامُ الأُمَّة، مجدُ الرُّؤساء، فخرُ الأعيان، سليلُ الكبراء، كهفُ الكُتَّاب، أوحدُ البُلغاء المنشئين، جلالُ الأصلاء المجيدين، صفوةُ الملوك والسلاطين، أبو زكريا

---

(١) ساقطة من (أ).

(٢) في (أ): ابن البارزي.

(٣) في (ح): «الكبيري».

يحيى نجل المقر الأشرف المرحوم العلاَّمي المفيدي الفريدي البهائي، ولد المقرّ الأشرف المرحوم الإمامي[1] العالمي العلاَّمي الفريدي القُدوي النَّجمي عمر بن حجي الشافعي، أدام الله له النفع للإفادة[2]، وبلَّغه مِنْ أصناف الخيرات الحسنى وزيادة، عرضاً أبان أنَّ له في الحفظ يداً طولى، وتلا عليه من بهره حُسنُ سردِه إذا انتقل من فاتحة إلى خاتمة: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ فيا لها مِنْ قراءة مرَّ فيها كالسَّهم بالغاً الغرضَ وزيادة، وسرد قدره، فأجاد فيه غاية الإجادة. ثم ذكر سنده[3] بالكتابين، وأجاز له ذلك وجميعَ ما له مِنْ مسموع ومُجاز ومجموع، على اختلاف فنونها وشهادة دواوينها، ثم سردَ بعضاً من تصانيفه، وقال: فليروِ كلَّ ما ذُكر عني هنا جملة وتفصيلاً، ويُسند إليَّ ما يصح عنده نسبته إليَّ، ليكون أقوم سبيلاً، والله أسألُ أن يُنعم عليه بدوام العفو والعافية دنياً وأخرى، وأن يجمع له الخيرات تترى، وأن يُديم بقاءه وارتقاءه ما ائتلف الفرقدان، واختلف الجديدان. آمين آمين.

ومنه لصلاح الدين بن الكُويز، حيث عرض عليه «المنهاج» و«الخلاصة في النحو» ما نصه:

الحمد لله الذي شرع منهاج الدين القويم للخلاصة مِنْ عباده، ورفع علم الشرع الكريم لمن اتَّصف بالصَّلاح والدِّين مِنْ أهل وداده، وجمع ما افترق من الجدِّ والاجتهاد في حفظ دينه[4] بتقويم سناده، وتقريب[5] إسناده.

والصلاة والسلام على خيرته مِنْ خلقه، القائم بأوامر ربِّه على وفْقِ مُراده، حتَّى قمع أعداء الدين بجهاده، ورفع قدر مَنْ أخلص باليقين مِنَ المتَّقين بعزيمته واجتهاده.

---

(١) في (ب): «الأمي».
(٢) في (ط): «والإفادة».
(٣) «سنده» ساقطة من (ب).
(٤) في (ط): «دينه القويم».
(٥) في (أ): «وتقرير».

أما بعد، فقد سمعتُ بقراءة مَنْ سَيُنَوَّهُ باسمه الزكي، ويُصَرَّحُ بلقبه البهي، جميع «المنهاج في الفقه»، لشيخ الإسلام وبركة الأنام محيي الدين النووي، حفظاً عن ظهر قلبه، وعرضاً أفصحَ عن صدق لُبِّه، أبان فيه في الحفظ عن يدٍ طولى، حتى كأن كلَّ مسألة يسرُدها تناديه التي بعدها: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ ثم أضاف إلى ذلك إيراد «الخلاصة» للإمام جمال الدين بن مالك، فسردها مِنْ صدره كذلك، فشهد العيان أنَّه فاق الأقران، وناداه لسانُ الفلاح [أن لا براح][1] عن ملازمة الصلاح.

وهو الشابُّ اللبيب الأريب نجل عيون الأعيان، ونسلُ الخُلَّص من جنس الإنسان، الجناب العالي القضائي الصلاحي، صلاح الدين محمد ولد المقرّ العالي العالمي الفاضلي الأوحدي الزَّيني عبد الرحمن ابن المقر الأشرف العالي الأوحدي البارعي، علم الدين داود صاحب دواوين الإنشاء، الشريف جده[2] لأبيه وجده لأمه، فاستحق أن يُدعى معلم الطَّرفين، والمعرف في الرئاسة مِنَ الجهتين. هذا إلى ما حصل لسلفه مِنَ القيام بأمر الممالك الإسلامية مِنْ أنواع الإمارة وأصناف الإشارة والوزارة، وقد منح الله هذا النَّجلَ السَّعيدَ الانخراط في سلك الفقهاء والعلماء، ليجمع له الأشياء المختارة. ثم ذكر سنده بالكتابين.

قال: وقد سمع «الألفية» القدماء مِنْ شيوخنا ومَنْ قبلهم على العلاَّمة شيخ النحو أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي، نزيل القاهرة، بسماعه لها على الشهاب محمود، أحد من رواها[3] لنا عنهم التنوخي، عن ناظمها، فمنهم ممَّن لم ندركه قاضي القضاة البهاء محمد بن عبد البر السُّبكي، الشهير بأبي البقاء، ومنهم قاضي القضاة بهاء الدين محمد بن عقيل، ومنهم ممَّن أدركناه: شيخ النُّحاة شمس الدين محمد بن محمد

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

(٢) في هامش (ط): أما جده لأبيه، فصلاح الدين ابن الصاحب بدر الدين ابن نصر الله، إلى كل منهما كتابة السر.

(٣) في (ط): روى.

الغماري، وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، فكان من يرويها عنِّي من حيثُ العدد يرويها عَنْ هؤلاء، لأن بينهم وبين النَّاظم اثنين، وكذلك بيني وبين النَّاظم اثنان. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ثم أذِنَ له أن يرويَ عنه جميعَ ما ألَّفه في الفنون العلمية والأفنان الأدبية، وسَرَدَ شيئاً منها.

إلى أن قال: والله أسألُ أن يقرِّبني وإياه إلى العمل بما يزلف[1] لديه، وأن يتطول بكرمه على تقصيري يوم العرض عليه.

ومنه لابن أسد: أما بعد، فقد عرض عليَّ الشابُّ النَّجيبُ السعيدُ الحُفَظَةُ المجيدُ، الزكي الذكي، الأثير الأثيل، الباهر الماهر، البارع الفارع، اللبيب الأريب، النجيبُ الأديب، النَّقي التَّقي، الجليلُ الأصيلُ، الملحوظُ بعين العناية، بدرُ الدين، المحظوظ مِنَ الفهم والدراية، المحفوظ مِنْ ربّه بالوقاية، أبو الفضل محمد، ولدُ الشيخ الإمام العلاَّمة، البحر الفهّامة، إمام الإقراء، وفخرِ الفقهاء، وفارسِ العربية، والقائمِ بالقواعد الأصولية، شرف العلماء، أوحدِ الفضلاء، مفتي المسلمينَ، أقضى القضاة، شهاب الدين. . . .

إلى أن قال: والله أسأل أن يبقيه ليصير مدرساً لما كان دارساً، وأن يرزقه رُتب المعالي قائماً وجالساً، وأن يسقيه مِنْ رحيق المعاني كؤوساً رَوِيَّة، ومِنْ حقيق الأماني ما يوافق الصَّوابَ بديهة ورويَّة، ولا بَرِحَت سهامُه من الفضائل موفرة مِنَ القول الأشدّ والرأي الأسَدّ، إلى أن يحقِّقَ قولَ المثل السائر: «هذا الشبل من ذاك الأسد»، وأذنت لوالده أن يدرِّس في الفقه والعربية وغيرهما ممَّا حصَّله بجدٍّ واجتهادٍ، وساوى به[2] كثيراً ممَّن أكثر التطواف في البلاد. . .

إلى أن قال: وقد أكثر حضور مجالسي في الإملاء، ودروس الحديث

---

(١) في (ط): «يزلفه».

(٢) في (أ): «فيه».

والفقه والتفسير، وما زال يبدي في[1] جميع ذلك الفوائد ويعيد، فاستحقَّ أن يُدرج في سلك مَنْ يُدرِّسُ ويفيد. والله يمتع بحياته، وينفع ولده ببقائه، ويزيد في ارتقائه. انتهى.

وقد تبعه في إيراد المثل السائر لهذا العارض القاضي ولي الدين البلقيني نقلاً له ممَّا كتبه له صاحب الترجمة حيث عرض عليه كما أسلفته[2].

ومنه في عرض مواضع من الكتب العلمية والفنون الزكية من الفقه والأصول والأنواع الحديثية والقراآت[3] والعربية عرضاً عن ظهر قلبه أبان فيه أن يده في الحفظ طولى، وكلَّما انتقل مِنْ فنٍّ شريف إلى فنٍّ أشرفَ منه تلا عليه لسانُ الحال: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾. وقد أذنت له ـ أعانه الله على فهم معانيها، كما يسَّر له حفظ مبانيها ـ أن يروي عنِّي كلَّ ما يجوزُ عني روايته مِنْ مسموع ومجازٍ ومجموع، فلقد أنشأ معالمَ الحفظ بعد الدُّثور، ونشرَ لاستظهار العلوم لواء مجد لا يُطوى إلى يوم النُّشور.

فالله المسؤول أن يُسهِّل له أموره الدنياوية والأخروية، ويعينه على الإفادة التي تحصل له السعادة الأبديّة.

ومنه في عرض: قوله: عرضاً تقدم فيه على الشُّيوخ فضلاً عَنِ الكهول، بحيث أذِنَ بأنه إذا بلغ سنَّ التمييز، شهد الحال بأنه تفتح له بالارتفاع على الفحول، متع الله تعالى كلاً من الولد والوالد بحياة الآخر، وأبقاه وأقرّ به عينه ورقاه.

[إجازات ابن حجر]

ومن الثاني:

ما كتبه في إجازة الكلوتاتي، حيث قرأ عليه «علوم الحديث» لابن الصلاح، فقال: إنه قرأه قراءة بحث وعرفان، وإفادة وإتقان، [ومعرفة

---

(١) في (ط): «من».

(٢) ص ٧٤٩.

(٣) في (ب): «القرآن».

وإيقان][1]، وازدياد من المعارف، واعتياد بإبداء اللطائف، وتنويهاً بقدر إخوانه في الطَّلب، بل المستفيدين منه فيما يُزلف مِنَ القُرب، وهو في خَيِّز مَنْ يدرس الكتاب المذكور فيجيد، ويبدي الفوائد الفرائد ويعيد، ويقتنص الشوارد والأوابد كما يريد. إلاَّ أنه ـ أعزَّه الله تعالى ـ أراد بقراءته عليَّ إظهارَ معارفه لديّ، وما عَلِمني غير ما القلب عالم، وما تركتني مباحثه السنية ألا أهيم مع كل هائم.

وقد أذنت له لالتماسه ذلك، لا لأنِّي أستحقُّ أن أعد فيمن هنالك، أن يُقرىءَ الكتاب المذكور وغيره من علوم الحديث، ويفيده لمن يراه أهلاً بسعيه الحثيث.

والله أسأل أن يديم النَّفع به، ويوصل أسباب الخيرات بسببه، وكان ذلك في مدَّة آخرها في شهر رجب سنة عشرين وثمانمائة.

ولقَّبه في صدر الإجازة بالشيخ الإمام العالم الفاضل البارع الكامل، مفيد الطالبين، صدر المدرِّسين، جمالِ الحفَّاظ المعتبرين، بقيَّةِ السَّلف المتفنِّنين، خادم سنة سيِّدِ المرسلين، زاده الله مِنْ فضله، وجمع له بين ظلِّ الخير ووَبْلِه.

ومنه للمذكور أيضاً، حيثُ قرأ عليه قبل ذلك «الاقتراح» لابن دقيق العيد، فقال:

قراءة بحث وإتقان، واستفادة واستيقان، يفيد أضعاف ما يستفيده، ويبدي المباحث الدَّقيقة والفوائدَ الجليلة ويعيد، وقد التمس منِّي أن أُجيز له إقراءه ونشره وإفادته وذكره، فأجبتُه إلى سؤاله بعد لا ولا، وأسعفتُه بطلبَتِه لِمَا أتحقَّقُ مِنْ صدق غرضه آخراً وأوَّلا. وكيف يسوغ لي أن أبادر إلى إجابة مَنْ حقُّه أن يكون مقدَّماً على كلِّ مَنْ يُجيز، وكيف أقابل حصى منثوري بمُرجان فوائده الفائق على الإبريز، لكن سمعت منه، فسمعتُ له، وأهَّلني للقراءة عليَّ، فأجزت له، فالله تعالى يستر عوراتِنا، ويؤمن روعاتِنا بمنِّه، في جمادى

---

(١) ساقطة من (أ).

الأولى سنة ثلاث عشرة[1] وثمانمائة بعد أن وصفه بالأخ في الله تعالى، الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل الأوحد المحدّث، مفيد الطالبين، عُمدة المحدِّثين، جمال الكَمَلة، القُدوة المحقِّق. أدام الله به النفع، ووفقه في أموره كلِّها في حالتي الخفض والرفع.

ومنه ـ وقد سمع عليه الجمال البدراني «شرح النُّخبة»:

أما بعد، فقد سمع مني جميع هذا «التوضيح»، وبَحَثَ فيه بَحْثَ مستحضرٍ مميِّز بين السَّقيم والصَّحيح، صاحبُه الشيخ الفاضل البارع المتفنِّن[2] الأوحد، جمال الدين المسمَّى أعلاه، حفظه الله من الأسواء وحماه، وقد أذنت له أن يفيده لمن أراد، ويبدي خبايا زواياه لمن درَّس أو أعاد، ويستعين في تحرير ما يحتاج إلى تحريره بالله ربِّ العباد.

وكتب لابنه أنه بحث فيه مباحث مفيدة، وأبدى فيه فوائد جديدة، تنبىء عن استعدادٍ تام، ونظرٍ سالم من الذَّامّ، فكان فضلُه بين أقرانه كالنَّار على علمَ، واستحقَّ أن يقال في حقه:

(ومن يشابه أبَه فما ظلَم).

وقد أذِنْتُ له أن يرويه عنِّي ويفيده لمن يستحقُّ الإفادة، سائلاً له مِنَ الرَّبِّ الكريم الحسنى وزيادة.

ومنه، وقد استدعى الإجازة منه العلامة المحب بن الشحنة في سنة ثمانٍ وعشرين وثمانمائة، قائلاً: المسؤول مِنْ صدقات سيدنا ومولانا الشيخ الإمام الحافظ العلامة، حافظ الإسلام، مفتي مصر والشام، قُدوةِ الحفَّاظِ والمحدثين، أبي الفضل شهاب الدين، قاضي قضاة المسلمين، أمتع الله بحياته الكريمة، وأسبغ عليه نعمة العميمة، وأنشد:

وإذ عاقتِ الأيَّامُ عَنْ لَثْمِ تُربِكم ... وضَنَّ زماني أن أفوزَ بطائلِ
كتبتُ إليكم مستجيزاً لعلَّني ... أبلُّ اشتياقي منكمُ بالرَّسائلِ

---

(١) في (ب): ثلاث وعشرين.

(٢) في (ب، ط): «المتقن».

فقال: أجزتُ لمن ذُكر في هذا الاستدعاء، وأوَّلُهم مَنْ سطره، وحرَّر المطلوب منهم وحبَّره. . . .

إلى أن قال: فأمَّا المسموعُ، فنازل الإسناد، حديثُ الميلاد، وأمَّا المجاز، فما جاز تاريخ السماع، ولا وصلت به النفسُ إلى بعض ما يسكن عنها لاعِجَ الأطماع، وأمَّا المجاميع، فهي كالياسمين لا تساوي جمعها، ولولا باعث حبٍّ فيمن نُسب إليه الفن، لم استحسنتُ وصلها، ولأوجب على سلوك الأدب قطعها. . .

إلى أن قال: وبعد هذا بقليل رُفع الحجاب، وفُتح الباب، وأقبل العزمُ المصمِّم على التحصيل، ووفقت للهداية إلى سواءِ السَّبيل، فأخذتُ عن مشايخ ذاك العصر، وقد بقي منهم بقايا، وواصلت الغدوَّ والرَّواح إلى المشايخ بالبواكر والعشايا، إلى أن حصل استيعابُ ما أمكن بالدِّيار المصرية، ثم بعد سنوات وقع الرحيل إلى البلاد الشامية، ووقع العزم على الرحيل إلى البلاد الحلبية، فعاق المقدور، وعلى كل خير مانع. . .

إلى أن قال: ملتمساً مِنْ كلٍّ منهم الإمدادَ بالدَّاعوات الصالحة التي تستمر غادية عليَّ بنفحة طيبة ورائحة، وعلى الله القبول، وهو منتهى الأمل والسول.

ومنه على استدعاء بخط [النَّجمي يحيى][1] بن حجِّي: أجزت لصاحب هذا الاستدعاء صدَّق الله تعالى فيه فال تسميته، وقرن حياته بدوام عافيته، وبلوغ أمنيته، وجعله في حرزِ فضل سمِّيه، ووقاه كلَّ ما يسوؤه مِنْ تحته وفي يديه[2].

إلى أن قال: والله تعالى يُسبغ عليهم نِعَمَه تترى، ويلطف بهم بدوام العفو والعافية في الدنيا والأخرى.

ومنه على «ثبت» ببعض الأسمعة للشيخ البدر أبي السعادات البلقيني، فقال ـ وأرَّخه في سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ـ:

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (ب، ط).

(٢) كذا كانت العبارة في (ح)، ثم عدلها الناسخ، فأصبحت «. . . ينسبوه من نجيّه وفي ندّيه».

أجزت للولد العزيز الأصيل، الذي فاق أقرانه نظراً وفهماً، وشبا[1] أشياعه معرفة وعلماً، وارتقى في حسن التصوُّرِ إلى المقام الأسنى، وفاق في حُسنِ الخَلق والخُلق، حتى استحقَّ المزيدَ مِنَ الحُسنى، فهو البدرُ المشرق في ناديه، ومفخَرُ أهلِ بيته حين يقصِدُه المستفيدُ ويناديه، ومحيي سُنن سلفه في العلوم الشرعيَّة بشهادة سنان اللسان والقلم، وحامل لواء الفنون الآلية، بحيث ضاء ذهنُه كنار على علم، وصار أحقَّ بقول من قال:

(ومن يشابه أبه[2] وجدَّه فما ظلم).

أسعد الله جِدَّه، وتغمد بالرحمة جدَّ أبيه وجدَّه، وأقرَّ به عين أبيه، وأبقاهما ونزههما عَنْ كل سوء ووقاهما.

وأذن له أن يجيز عنه مَنْ يرى أن يجيزه مِنْ قريب وغريب، على مذهب مَنْ يرى ذلك مِنَ العلماء.

قال: والله أسألُ أن يعينَنا جميعاً على القيام بما كلفنا مِنْ سُنَّةٍ وفرض، وأن يتطوَّل علينا بكرمه يوم العرض.

---

(١) في (ب، ط): «شابي». وشبا: علا، أي: فاق أصحابه.

(٢) «أبه» ساقطة من (ب).

الفصل الثالث[1]
في رسائله وخُطب كتبه[2]

[رسائله:]

فمن الأول:

ما كتب به[3] لبعض أخصَّائه وقد حصلت له حكَّة:

أشكو إلى الله مِنْ هذا الزمان ومِنْ ... هذا السُّقام الَّذي قد حلّ في بدني

رق العدوُّ لِمَا قاسيتُه ورثى ... وما رثى لي سقامي بل ولا زمني

سطَّرها المملوك، لا برح مولانا في عافية غير عافية، وصحة مِنْ نحو الأمن كافية شافية، وحماه من موادِّ الأسواء، وسقاه نَوْءَ الشِّفاء، فهو مِنْ أعذب الأنواء، وذلك بعد أن حصل في قبضة الكُرَب، ووقع بيديه ورجليه في شباك الجَرَب، يَثْنِيان عنه طرف الصِّحَّة كف، وعن خاطر كانت رقته وصفاؤه في ماء ونار، والآن قد نشرهما السُّقم في جسمه ولف، وصار يُدعى المُحبَّب، وأقبح إليه التعبير[4] بهذا المعنى القبيح في ذلك اللفظ

---

(١) بياض في (ب).

(٢) في (ب): وخطبه وكتبه.

(٣) في (ط): ما كتبه.

(٤) «التعبير» ساقطة من (ب).

الحسن، وأوجب سقمه على خده فَرْضَ الدمع من بعد أن حرّم على جفنه وسَنّ، وأنشد سقمه العافية الذاهبة:

ما كان يَعْدُوكَ المُنى لو قيل يوماً تَمَنْ

وحبته الأسقام بحبّات قلوبها، وألحقته سماءُ الأمراض بنجومها المشرقة في جسمه، فمتى أوانُ غروبها؟ ولقد لقي من حَرَبِ هذا الجَرَبِ شرَّ نصب، ووجد لما سكب في جسمه الماء مِنْ نار حشاه وصبّ، ومضى عنه جوهرُ العافية بهذا العَرَضِ وذهب، واستيقظ له نائمُ سُقَامه، فأهدى لقلبه الأسى ولجسمه السقام وهَب، ولقد أحجم مِنْ بعد الإقدام، وصار كفُّه من ناره في إسراج، ولسُانه عن عنان القول في إلجام، وزاد على عامَّة الأطباء حقداً، ويصفون له التداوي بالكبريت، ولا يظنُّه يزيدُ النَّار إلا وقداً، ومذ رأى جسمه معمراً بالحبِّ، علم أنه مخرَّب، وحين دخل مِنْ باب الحكّة. أيقن أنه مجرَّب، ومع هذا، فالمملوك لا يشتكي إلا إلى الله عز وجل، وإن وجد قلبه مِنْ صبره لما عزَّ وجلّ.

ولا يُنكر سيدنا ما تقدم مِنْ هذا الهذيان، فإنه هِجِّيرُ السَّقيم، ويُسبل عليه سِتر حلمه، فما يغطي على جهل الجهول سوى حلم الحليم، ويتصدق مع حاملها بالمجموعة المجديّة، فقد صبر عنها ما كفاه، ولا يشكُّ أن في مطالعتها عافيته، لما اجتمع (من الثناء)[1] عليها من ألسن وشِفاه، لا برح له في دعاء المولى إلى العافية خير سبب، ولا زال مولانا كنزاً لجواهر الأدب يستغني به إلى أن يستغني عن الأدب.

ومنه ما كتب به للمجد ابن مكانس مع قصيدة سينية:

يقبّل الأرض، وإن كان لا يُقنعه[2] إلا مِنْ قُربِ ذلك التقبيل، ويواصل بالأدعية الصالحة، وإن لم يكن مِنْ أهل ذاك القبيل، ويُنهي أنه

---

(١) ساقطة من (ب).

(٢) في (ط): «يرضيه».

سطر في مدح المخدوم قصيدةً مقرَّة عند صدورها بالعجز والتقصير، ملتثمة بالحياء تمشي على استحياء، وصاحبها لما نزل عليه من الأجوبة الغنية فقير، وهي جارية يتيمة، سمّاها شرف انتمائها جوهرة ورقيقة الألفاظ، ولسعادة مَنْ نُظمت فيه، أمست محرّرة، والمسؤول إسعادُها بالنَّظر إليها، وإسعافُها بالوقوف عليها، لا زال المولى واسع الصدر لمن ضيَّق عليه مِنْ صغار المتأدبين، ولا برح ممدَّحاً بسائر اللغات، حتى على رأي العوام بالسِّين.

ومن رسائله: رسالة في مكدي، منها:

وتناول لقوس قامته وتر العصا، وأطاع شيطانَ هواه ولربه قد عصى، وفرَّغ في الملأ سهام إساءته الوافرة وأنفذها، وقرّب كلماته السَّخيفة إلى الأذهان، وهو عن الصواب أبعدها، وسنَّ سيفَ لسانه للكُدية وشحذ، ورمى الحياء وراء ظهره ونبذ، ورافق المُكدين وماشى، وأجدب وجهه لمّا عدم ماء الحيا فصنع ما شا، فكم أخطأ طريق الصواب، واعتمد[1] على التمسُّك بحبال شمس الكُدية، وهي مِنْ أوهى الأسباب، فهو في الضَّعف والدناءة والجرأة والقُبح والخلاء كالذُّباب.

ومنها: من رسالة أولها: يقبّل الأرض التي[2] أشرق نورُها، وتضاعف عبدُها من الحزن لبعدها[3]، فتضاعف عندها بقُربه سرورُها، ويُنهى ثناءه الذي حفظ طيه فضاع وكتمه عن الحاسد، وإخفاءُ الشمس لا يُستطاع، وشوقه الذي كلَّما تبلَّد بالبُعد خاطره، ذكت ناره، ودمعه الذي ساحله بالبحر فاحترق، وأنفاسه دخانه، وتساقطُ جمرات الدموع شرارُه.

منها: وودَّ المملوكُ لو كان عِوَضاً عَنْ هذه الضَّراعة التي قصَّرت لدى الحضرة النُّورية التي أشرق نورها وتضوّع زهرها، فهي على الحالين نوَّرت، وتيمَّم صعيداً طيّباً، فإنَّ ماء الفضل في مصر معدوم، وأهلُها أقربُ النَّاسِ

(١) في (أ): «واعتمدت».
(٢) في (ب، ط): «الذي».
(٣) في (ب، ط): «لبعده».

لجهل معلوم، والله يحقّق هذا الأمل، ويتبع صحيح النّية بحُسن العمل.

ومنها من أخرى يشكو فيها خمول فن الأدب، ومُضيَّ العُمر في التّعازي والتهاني:

وضيَّع المملوكُ جواهرَ كَلِمِه في مدح الأعراض، وكيف لا يضيعُ الجوهر في الفاني، وقد أقسم صدر قلمه أنه لا يعود في العقد بسحر البيان[1] نفّاثاً، وطلّق أبكار هذا الفن الذي لا يلتفت إليه أحدٌ ثلاثاً.

ومنها من أخرى إلى بعض الأصحاب:

وأدِم السُّرور والشُّرب، فالنفس ما تُسَرُّ[2] إلاّ بالمُدام، وبادر إلى الصَّبوح قبل أن تَفُكَّ يدُ الصَّباح أزرارَ النُّجوم مِنْ عُرى الظلام، وعاشِرِ الأفرادَ بوصل الخُماسيات مِنْ أقداح الرّاح وقدودِ الملاح، واطّرح رداء الاحتشام بعقلٍ مزال[3] وجدٍّ مزاح حتى ترى ثعلب الفجر وقلبه يخفق خوفاً من بُزوغ الغزالة، والعاشق واصَلَ سَقْيَ محبوبه ولم يخشَ صدّه وملاله.

ومنها: وَصِلْ مَنْ قطعت مِنْ غُرَرْ أحبابك ودُررْ حبابك، وكمِّل بالحضور تَرَحَ أعدائك وفرَحَ أصحابك، فقد مَسَحَتْ راحةُ الثُّريَّا جفون النّدامى مِنَ المنام، وهبُّوا لشأنهم على العادة وقت الأذان، والسلام إن شاء الله تعالى.

ومنها استدعاء للقاضي بدر الدين بن الدماميني:

الحمد لله مجيب الدَّاعي أن رأى المخدوم ثبّت الله أحكامه، وأعلى في الخافقين أعلامه، ما طلع بمصر بدرٌ تراه الشهب منها أسنى، وما أنبتت راحته في رياض طرسه أغصان سطور إذا وقع فيها قلمه، قلنا: هذه الرّوضة الغنّا، وما أمست محاسنُ لفظه زائدة، وأصبح في الفضل معنا حتىّ يعودَ به ميتُ الآداب حياً، ويروي بفضله قارىء كلامه، فيظن أنه لثم ثغر محبوبته

---

(١) في (أ): «اللسان».

(٢) في (ط): «ما تنصر».

(٣) في (ب): «زائل».

ريّا، ويشوي به قلب الحاسد، حتى يعود كأنّه لم يكن شيئاً، وحتى يلتقي من بعد يأس سهيل في الكواكب والثُّريَّا، أن يتفضَّل بنقل خطاه المبرَّأة مِنَ الخطأ، الساعية لطائفة الأدب، وهي عن سواهم بطًّا، إلى منزل جاور النيل، والنيل جاري، ودرى بمحبَّتي من النسيم، فأتحفني به، فهو على كل حالٍ داري، أعين طاقاته السبع ترى مِنْ كلِّ عينٍ منها النيل، وحديثُ اعتلالِ النَّسيم منه صح، ولا شيء أحسن مِنْ صحَّة العليل.

منها: والمملوك يخشى إن قصَّر في الوصف فوات ما أمَّل، ويخاف الفضيحة في آخر إن ورَّى في الوصف وأوَّل، ولولا علمه بفوائد مولانا في الإفضال، ما تجاسر على السُّؤال، وهو يتحقَّق الصَّفحَ عَنِ التَّقصير، فلا يطوّل بالمعاذير، وإن تكن الأخرى.

فما احتيالي إذا خُلِقْتُ فتى ... تجري بما ساءني حكم المقادير

نعم.

وما أنا خاشٍ أن تخيب وسائلي ... لديك ولكن أهنأ البرِّ عاجلُهْ

والله تعالى يُديم بقاءه ما أُجيبَ سائل، ونسب أيده الله في جرِّ ذيل الفخار في البيان إلى سحبان وائل، إن شاء الله تعالى.

ومنها مِنْ أخرى كتبها إلى بعض الأكابر مِنَ الصعيد:

وكان المملوك أقسمَ أن لا بدَّ له مِنَ الانتقال، وسأل بعد أن أوقعه البَيْنُ في عثرته أن يقال، ولعبت به يمين النوى كما لعبت بالطَّلل ريحُ الشَّمال، وفارق ربيع الخضرة، فنومه بعدها محرم ودمعُهُ جمادى، وألبسته ليالي الفرقة السود، حين سلَّ بياضُ المشيب على رأسه سيوفاً حداداً.

ولا ينكر سيدنا منِّي التَّقصير في هذه المكاتبة، فأنا على كلِّ حالٍ مسافر، وقد نهيت عزمي عن العود للنَّوى، فقال: إني مقلعٌ[1] قلت: إياك

(١) في (أ): «معلق»، تحريف.

أن تعود وحاذِز، والله المسؤول أن يسهّل المشقَّة، ويطوي هذه الشُّقَّة، فهو بتفصيل الحال عليم، وإذا انتهى الخَطْبُ الجسيم، تُوقِّعَ الفرج العظيم، والله أسأل أن يقدر بخير.

ومنها من أخرى:

يقبِّل الأرضَ حيثُ سماء المكارم ليس دونها حجاب، ومنازل السَّعد التي لا طاقة للعُفاة بفراقها مُفتَّحة الأبواب، وخيام الفضل التي لا فواضل لها عن المجد ثابتة الأوتاد، قوية الأسباب والجبين طَلْقُ المحيَّا، واليمين ممدودة لطالب اليسار تقول: هيا، والمجد باقٍ إلى أن يلتقي من بأس سُهيل في الكواكب والثُّريَّا، وينهي وصول المثال الذي لو رآه الحريري، لعقد عليه الخناصر، لعلمه بأنه من الطراز الأول، فوقف له إجلالاً، وعليه اتباعاً لأوامره وامتثالاً، وقبل أحرفه على أنها الأسرَّة، وأسطره على أنَّها الأنامل التي تهبُ المسرَّة، وكحّل به طرفه، لأنه من النُّوراني، وروى عنه حديث المودَّة لما رآه مثبتاً، وودَّ لو أُعطيَ لفظاً طائلاً، فأطاب[1] في وصفه وأطال، أو ذهناً حديداً، فقابل به ذلك الذهب[2] السيّال، لكن ذِهْن المملوك تبلَّد في السَّفر، مع أنَّ نيرانَ قلبه ذكيّة، ورويّته مثل[3] بديهته سقيمة مما قاساه[4] دون البريّة...

إلى أن قال ما ختم به ما كتب به على «بديعية الوجيه العلوي» الماضي في أوائل الباب[5]: (زال)[6] في سعادة لازمة له لزوم الهمزة للاستعلاء على ما ألف، وكان المبتدأ صدر الكلام[7]، واللام للتَّعريف بعد الألف، ودام منادي عيشه لا يُرَخَّم، وأحمد زمانه لا ينصرف، وأدام تصرُّفَه بحكم اللسان والأقلام، وخدم مجلسه الكريم بأفضل التحيَّة والإكرام، والسلام.

---

(١) في (أ): «فأضاف».
(٢)(٣) ساقطة من (أ).
(٤) في (أ): «سقاه»، تحريف.
(٥) ص ٧٢٤.
(٦) ساقطة من (أ).
(٧) في (ب): «الكتاب».

ومنها من أخرى:

يقبِّلُ الأرض تقبيلاً هو عليه آكدُ مِنَ الفرض، ويُعربُ[1] عن طول الوُدِّ المبنيِّ إلى يوم العرض، وينهي شوقاً أقلق خاطره، ودمعاً أسهر ناظره، وتلهُّفاً على الحضرة التي غاب عنها، وتلهُّباً[2] على الجنَّة التي خرج منها.

ومنها من تعزية:

عفا الله عنه وسامحه، وجعل سحائب الرضوان غادية عليه بنفحة طيبة ورائحة.

ومنها من أخرى:

يقبل الأرضّ متلهفاً على وجودها، متأسِّفاً على مفارقة كرمها وجودها، نادباً على نفسه، نادماً على مرافقته غيرَ نوعه ومفارقة أبناء جنسه، وإنما يتشكّى مَنْ به رمق.

ولا تحسبوا أنَّ الغريبَ الذي نأى ... ولكن مَنْ تَنْأوْنَ عنه غريبُ

ومنها من أخرى:

يقبل الأرض، وكيف له بذلك حقيقةً؟ وأنَّى له بالتَّمثُّل بين أيادي مخدومه الجليلة ولو قدْرَ دقيقة، ويبالغ في المدح بما لا يلقى وزيادة في نعمائه شقيقة، وينهي أنه قد فارق المخدوم قليل الصبر، بل عديمه، كثير الأرق، بل مستديمه، لا تمضي لحظة، إلا وذِكْر المولى شعاره، ولا طرفة عين إلاّ وأنيسه آثاره.

ومنها من أخرى:

يقبل الأرض، وكيف له بذلك؟ ومَنْ معينه على وُلُوج تلك المسالك، ونهاية مطلبه إحياء قلبه بالإقامة في الحضرة التي يأمَنُ فيها مِنَ المهالك.....[3] دار الهجرة ومالك.

---

(١) في (أ): «ويعرض»، تحريف.

(٢) في (أ، ب): «وتلهفاً».

(٣) بياض في الأصول.

ومنها من أخرى:

يقبل الأرض سقى الله حماها، وحمى نبتها بعين رعايته وكلاها، وجعل خادمها من سائر الأسواء فداها، وينهي ورود المثال الكريم، فوقف عليه وما وقف عنه، وأطال ظامىء نظره إليه، ولم يبلغ الرِّيَّ منه، واستشفى به مِنَ النَّسيم لجسمه الناحل، واستسقى بميمون غُرَّته في البلد الماحل، واستغنى به عن الوسْمِيِّ والولي، وارتفع به مقداره، لأنّه[1] أتاه من عَلِيّ.

وإن لأخبارِ الأحبة فرحةً ولا فرحة المجهود فاجأه القطرُ

ومنها من أخرى:

مَنْ له بدار المولى التي كان إليها لا لها مهاجراً، وبجامع محاسنه الأزهر الذي تسعى إليه النواظر على النواظر، وبعَروض محادثته لا عُروض تجارته التي دارت عليها الدوائر، وبكامل ودّه المثري مِنْ بحرِ كرمه بالمديد الوافر، وبإعراب فضله الذي لزم الحركات، فهو للأذهان سابح، وللهموم شافع، وللأحزان كاسر....

إلى أن قال: ولله أيام قربه ما كان أعلنها بالحُسْنِ وأسرَّها[2]، وليالي أنسه ما كان أحلاها وأمرّها، وما عنى المملوكُ إلا سُرعة المرور، لأن المرارة لا تُنسب إلى ليالي السرور.

ومنها من أخرى إلى من يُسمَّى شرف الدين:

يقبل الأرض ذات الشرف السامي، والفضل النامي، والفكرة التي إذا نظرت في بحور النظم تصيب البحر الطّامي، والرويَّة التي تصيب الأغراض وافرة سهامها وناشرة إلى الرَّامي.

ومنها ما كتب به إلى القاضي نور الدين، وهو بالقدس الشريف:

---

(١) في (ب): «لا أنه».

(٢) ساقطة من (ب).

مـن سـرّه وطـنٌ يـومـاً أقـام بـه فإنـني سـاءني مـن بـعـدكـم وطـنـي
إنَّ الـغـريـب الـذي تـنـأى أحـبَّـتُـه عن طرفه لا الذي ينأى عَنِ السَّكنِ
إن كنتُ أذنبتُ لمّا أن أقمتُ فقد أسأت والعفوَ أرجو يا أبا الحَسَنِ
سمَّى عـليّاً كـثـيرٌ في الأنـام ولـم يُبْصَر سواك حكى معنى اسمه فكُنِ

يقبل الأرض التي فاحت أرجاؤها وتعطرت، وأشرقت أزهارها، فهي على الحالين نوّرت، وما هي إلاّ سماءٌ ذات نور، وشريعة فضل شرعت للورود، فشفتِ الصُّدور، وبُيوت رُفعت بذكر الله، فجزم البُلغاء أنهم عن وصفها في قصور، فواشوقاه لذاك المحلّ الأقصى، فقد مللتُ مِنْ هذا المحلّ الأدنى، ووأسفاه على فراق تلك الذات التي حوت الحُسْنَ والحُسنى، ويا صِدْقَ لفظ مَنْ قال كأنه كان حاضراً معنا:

ارْضَ لـمـن غـاب عـنـك غـيـبـتَـه فـذاك ذنـبٌ عـقـابُـه فـيـه

وينهى أنه ما برح على وظيفة الثناء بمصر بعد رحيل المخدوم مقيم، وإلى أخباره السَّارَّة كلَّما نظر إلى نجوم دموعه الحالَّة سقيم، وقلبه مِنْ توقُّد نار البُعد في تلهُّب، ولا عجب إذا تحرّق على فراق الصَّديق الحميم. أمَّا يدُ الحزن، فإنه أسيرُها، وأمَّا كثرة الأسقام، فعنده إكسيرُها، وقد أمسى بحزن نحوك لا ينفَدُ، مع أنه لا يشتكي إلاّ إلى الله علا وجلّ، «وأقام جسده بمصر، ووصلت روحه القدس» كما يقال في المثل. وكيف لا، وفي قُرب المخدوم وهو أعلى قدراً من الرئيسين: الشقاء والنجاة، ومن التجأ إلى جنابه أتاه شرف وجاه، فهب (أن ليالي)[1] افتراقه عديمة السُّرور، فظلمه النواحي، ولسان حالها[2] يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وكـم مِـنْ شِـدَّةٍ عَـظُـمـت وجـلَّـتْ فـأفـضـى الأمـرُ فـيـهـا لـلـرَّجـاء[3]

(١) ساقطة من (ب، ط).
(٢) في (أ): «حاله».
(٣) في (ح): «للرخاء».

وما خطرت دواعي الشَّوق إلا هَزَزْتُ إليك أجنحة التَّصابي

والله المسؤول أن يطوي هذه الشُّقَّة بلطفه المحرر، ويسهّل هذه المشقَّة على الجملة، فهو بتفصيل الحال أخبر، ويبقى المخدوم في مسرَّة لا ينقضي أمدُها، ونِعَم لا يحصى عددُها، ولطائفَ لا ينقطع مددُها، ما رُحم غريب، واشتاق الخليل إلى بيت المقدس إذا حلَّه حبيب بمنّه وكرمه.

ومنها من أخرى في جوابٍ عن لغز في «سحاب»:

وقفت على هذا اللُّغزِ الكريم، لا زالت أيادي منشئه ممطَّرة بالمعاني العِذاب، وساكنة إلى يوم ترى الجبالَ تحسبها جامدةً، وهي تمرّ مرَّ السحاب، وأطال بقاءه ما غنَّت حمامة، ونُسِجَت عمامة، فوجدته كريماً في أصله، وإن رُخِّمَ بتحريف كان مصدر فعله، وإن حوّل ثانيه أولاً وصُحّف، كان قلبه، وهو الطهور نجساً، وإن ترك على حاله، صار إذا نشأ عنه ضحك الرياض معبساً:

يبكي ليضحك نورُهُنَّ فيا لَهُ ضحكاً تولَّد عَنْ بُكاءِ سحابِ

وانتهيتُ بالقراءة إلى آخره، وإن كان فضل صاحبه غير متناه، ونبَّهني منهاج فضله تنبيهاً[1]، فقرأت كتاب الطهارة باب المياه، وتأمَّلتُ خطَّه، فرأيته إذ فاق في الكتابة آتاهُ الله فنَّ البلاغة بغير حساب، ولمّا رأيتُ الغيث يهمي مِنْ أياديه، عرفتُ أنَّها هي السَّحابُ، والله يحيي هذا المولى لهذا البحر، يجني مديده وطويله، ويسعد الدَّهر الذي نشأ فيه هذا الأصل[2]، حفظ الله منه اسمه ونسبه شمسه وأصيله، إن شاء الله تعالى.

---

(١) في (أ): «بينهما».

(٢) في (ح): «الأصيل».

ومن الثاني ـ أعني خُطَبَ كُتبه

قوله في خطبة كتاب «اختيار دمية القصر» للباخرزي:

أما بعد حمدِ الله الذي جعل لنا عن مريض المقال حِمْية، وأهدى لنا أبكار المعاني، فانتخبنا منها هذه الدُّمية، وصلى الله على سيدنا محمد الذي أُوتيَ جوامع الكَلِم، وعلى آله وصحبه الذين رُوِيَ في فضائلهم ما شُهر كالنجوم وعلم...

إلى أن قال: عفا عنه وسامحه، وجعل سحائب الرضوان غادية عليه بنفحة طيبة ورائحة...

حتى قال: وأسقطت ذِكْرَ الرجل إن كان شعره نازل[1]، ولم ألتفت لتهويل المؤلف في ترجمته إن كان كلامه غير هائل.

ومنه خطبة كتاب «الضَّوء الشِّهابي»:

أما بعد حمدِ الله كما أمر على ما علَّم، وصلى الله على سيدنا محمد الذي أنقذ به من العذاب وسلم، فقد أمر مَنْ طاعتُه حتْمٌ، وأمرُه المرفوع على الرؤوس جَزْم، أن أجمع له ما جَنَتْهُ يد فكري القصيرة مِنَ الزهور، وأُوردَ له ما شفيت به مِنَ المعاني القليلة الورود الصدور، وأختار ما فرطته سهامُ الرَّويَّة مما رميت به عرض الفكاهة، وإن كنت أبعدت مرماها، وأهدي إليه مِنْ بطون الأوراق عرائس أنتجتها بناتُ القريحة التي اسمها عين مسمَّاها، فانتهيتُ إلى أمره المتعالي، وانتهيت عن خلاف رأيه الغالي، ورقمت طُرُزاً مذهبة، يتلثم الزَّهر خجلاً منها بالأكمام، وجعلتُ طاعته العمدة في بسط العذر، إذ لم يكن لي بعصيانه إلمام، فأتيت ما حَسُنَ صنعُه، ورفعت إلى حضرته العالية ما شُكِرَ وضعُه، مع أني أتطفل على مشايخ هذا الفن أن يهبَ كلٌّ منهم على

---

(١) كذا في الأصول، والصواب: «نازلاً».

أغصان هذه السطور الموائد مِنَ القبول نسيماً، وأن يعيرها إذا بدت منها هفواتُ الصِّبا طرفاً حليماً.

ومنه خطبة مجلد من «تذكرته الأدبية» فيه مختارهُ مِنْ نظم البرهان القيراطي ونثره:

أما بعد حمد الله الذي زيَّن سماء الأدب بمطلع النَّيِّرين، وجمَّل بكلمات البرهان الباهرة كلَّ معاند، فكان في مصر صاحب الصِّناعتين، وصلى الله على سيدنا محمد الذي أوتيَ جوامع الكلم، وعلى آله وصحبه الذين رُوي في فضائلهم ما اشتهر كالنجوم وعلم وسلم.

فهذا الجزء السادس والعشرون[1] من كتاب «التذكرة»، ابتدأت فيه بانتخاب «ديوان العلامة برهان الدين القيراطي الشافعي». وساق نسبه ومولده ووفاته، رحمه الله وعفا عنه وسامحه، وجعل سحائب الرَّحمة غادية عليه بنفحة طيبة ورائحة، فانتدبتُ لانتخابه كما يجب، ومشى قلمي في طرق نظمه ونثره غير مضطرب، ورتبتُ ما انتخبتُ على الحروف، ليسهُلَ تناوله، وكتبتُ مِنْ ذهبِ ألفاظِه وجواهرِ معانيه ما ينمو به للقيراطي عنه حاصله، ولعلَّ فيما تركتُ خيراً ممَّا كتبتُ، لأنِّي قبضت يدي عن الإكثار، وهذا ممّا يبسط اعتذاري، ومشيتُ في انتخابه على قدر اختياري، والله الموفّق.

وخطبة آخر فيه «مختاره» مِنْ شعر المتقدمين:

الحمد لله الذي حسَّنَ لكلِّ مختار مذهباً، وصلى الله على أشرف المرسلين محمد المجتبى، وعلى آله وسلم...

إلى أن قال: وهذا الاختيارُ لا ناقةَ لي فيه ولا جمل، ولا قول[2] ولا

---

(١) في (أ): «والعشرين»، خطأ.

(٢) في (ط): «قوة».

عمل، وإنَّما جمعتُ بفصِّه، وكتبتُه بنصِّه مِنْ كتاب «مطلع الفوائد» لخاتمة أهل الأدب جمال الدين بن نباتة، فقد اقتصرت عليه، وجنحتُ إليه.

ثم قال: إنه زاد على ما اختاره الجمال، لا أنه مستدرك عليه، بل (للناس فيما يعشقون مذاهبُ).

وخطبة آخر: أما بعد حمد الله على مجموع إحسانه، وصلى الله على سيدنا محمد الذي أجرى الحكمة على لسانه، وعلى آله وسلامه.

ومن خطب استدعاءاته، ولم أظفر منها الآن بما يناسب عَلِيَّ مقامه، لينتفع بذلك من يَروم كتابة استدعاء:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، الهادي مَنْ شاء إلى الصراط المستقيم، والدَّاعي إلى القيام بدينه القويم، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، رب السَّماوات والأرضين[1]، ومَنْ فيهما مِنَ الإنس والجنِّ والملائكة المقربين، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله إلى الخلق كافة، يدعوهم إلى الهدى المنير والحقِّ المبين. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وفي خطبة أخرى:

والله سبحانه وتعالى المسؤول أن ينفع بذلك، وأن يُشرِقَ أنوار علومهم إذا أظلم جُنحُ الجهلِ الحالك، وأن يجعلهم نجوماً يهتدي بها إلى الطَّريق القويم كلُّ سالك.

---

(١) في (ب، ط): و«الأرض».

الفصل الرابع
في المقترحات والمطارحات والألغاز البديعة الإيجاز

[المقترحات]

فمن الأول:

ما اقترح القاضي شهاب الدين المحلي عليه وعلى الشَّيخ غياث الدِّين ابن خواجا أن ينظما له في عشر درج عشرة أبيات في مدح مكة، والتشوُّق إليها في أصعب وزن ورَوِيٍّ، فاتَّفق رأيُ مَنْ حضر أنَّ ذلك يكونُ في المديد، والرويُّ ظاءً منصوبة، فقال صاحب الترجمة:

إنَّ بيتَ الله مَنْ حلَّ فيه ... مُحرِماً يلقى الأماني ويحظا
حبَّذا ذاك المقام مقاماً ... قد كَفَتْ رؤيته لي وعظا
وهبَ الله الذي قد أتاه ... مِنْ شرور الخلقِ أمْناً وحِفْظاً
خيرُ دارٍ جاء منها رسولٌ ... لم يكن للصَّحبِ في الخلق فظًّا
رَبِّ قرِّب للحجازِ وُصولي ... إنَّ لي يا سيِّدي فيه حظّا
أُمَّ بي أُمَّ القُرى فهي عَيْنٌ ... بالهُدى للقاصدي اللّهِ يقظى
ولهم منها الرِّعايةُ لمّا ... لحَظَتْهُمْ بالعناية لحظَا
إنَّ مَنْ كان بها ذا غرام ... ليس يَضلى قطُّ ناراً تلظَّى

طابَ مَدْحي في ثنائي عليها ... حبَّذا ذاك معنًى ولَفْظَا
سَعْدُ نظمي كون مدحي لها ... يا سَعْد في صَعْبِ القوافي كالظّا

وقال الغياث[1] المذكور:

إنَّ بالبيت العتيق اعتيادي ... مِنْ لَظى هجر به أتلظَّى
وإلى حِفْظِ الوِداد اعتنائي ... حفظ ودٍّ ساء أو دام لفظا
رقَّ قلبي مِنْ غليظ جفاءٍ ... أتُراه هل يرفُق غِلظا
مِنْ دموعي قد غدا القيظُ برداً ... ومِنَ انفاسي ترى البرد قيظا
لستُ ممَّن للملامة يُصغي ... لائمي مُتْ ـ لستُ أرجِعُ ـ غيظا
ومتى أدعو بصدقِ صفاءٍ ... رمتُ أني لو بمروة أحظى
وأُناجي اللّهَ في حجر إسماعيل ... فيما نابني منه وعظا
والتزامي ذيلَهُ بمقامٍ لم يخب ... داع وإن كان فظّا
وبالأركان اليمين بأني ... لستُ أخفي مِنْ ثنائك لفظَا
وأُعيذُ الحسن منك بحفظ الله ... ربِّ راحمٍ جلَّ حفظا

ومنه، وقد اقترح خمسةٌ ممَّن ينظمُ الشِّعر اجتمعوا بالطُّور عند توجُّه صاحب الترجمة إلى اليمن في سنة تسع وتسعين وسبعمائة ـ وهم: صاحب الترجمة، والنَّجم محمد بن أبي بكر المُرجاني، والصَّلاح خليل بن محمد الأقفهسي، والرَّضيُّ أبو بكر بن أبي المعالي، والشَّرف ـ إنشادهم بيتاً بيتاً على الفور، آخرُ كلِّ بيتٍ أوَّلُ البيت الذي يُنشده الذي يلي المنشد، فتحصَّلَ لصاحبِ التَّرجمة ممَّا نظمه بديهةً في ذلك المجلس هذه الأبيات:

أهوى هواك ودعه لا ... يُبقي عليَّ ولا يَذَرْ
نام الخَليُّ ولم أنمْ ... والعِشْقُ أيسَرُه السَّهَرْ

(١) في (ب): «الغيث».

لامـوا الـمُـحِـبَّ ومـا دَرَوْا ... أنَّ الـهـوى سَـبَـبُ الـظَّـفَـرْ

رُحْ يـا عـذولُ[1] فـإنَّ فـي ... حـالِ الـمـتَـيَّـمِ مـعـتَـبَـرْ

بـان الـحـبـيـبُ وقـد صَـبَـا ... قـلـبـي إلـيـه ومـا صَـبَـرْ

نـجـمٌ يـروقُـك بـالـضِّـيـا ... وفـي الـحَـشَـا مـنـه شَـرَرْ

تـمَّـت مَـحـاسِـنُ وجـهِـهِ ... والـبَـدْرُ يـنـقُـصُ إن سَـفَـرْ

قَـمَـرَ الـعُـقـولَ بـحُـسـنِـهِ ... مِـنْ أجـل ذا قـالـوا: قَـمَـرْ

أبـكـي ويـغـدُو ضـاحـكـاً ... كـالـبَـرْقِ عُـقـبـاه الـمَـطَـرْ

لا بـدَّ لـي مـنـه خـيـا ... لاً غـابَ أو شَـخـصـاً حَـضَـرْ[2]

كـم لـي ربـيـعٌ بـالـحـبـيـبِ ... وطَـيْـرُ أسـعـدِنـا صَـفَـرْ

كـان الـعَـذُولُ يـلُـومُـنـي ... فـمـذِ انـجـلـى بَـدْري عَـذَرْ

لله مَـجْـلِـسُ لَـذَّةٍ ... فـالأُنْـسُ فـيـه مُـذَكَّـرْ

فـمُـدامُـنـا رَقَّـت كـمـا ... رقَّ الـنَّـسـيـمُ مِـنَ الـكَـدَرْ

والـنَّـهْـرُ يـخـفِـقُ قـلـبُـه ... فـرحـاً بـقَـدْكَ إنْ خـطَـرْ

والـطَّـيْـرُ إذْ غَـنَّـا حـبـانـا الـ ... ـغُـصْـنُ مـنـثُـورَ الـزَّهَـرْ

لا تَـبْـقَ لـذَّةُ سـاعـةٍ ... تـأتـي كَـلَـمْـحٍ بـالـبـصـرْ[3]

واصْـبِـرْ لـكَـيْ تـحـظـى فـمـا ... صَـبَـرَ امـرؤٌ إلاَّ قَـدَرْ

وإذا دنـا مـنـهـا الـثَّـوى ... فـالـرَّبُّ أولـى مَـنْ غَـفَـرْ

وقد أسقط منها ما لم يرتضه الناظم.

---

(١) في (ب): «عذولي».

(٢) في (أ): «خطر».

(٣) في (ب): «للبصر».

واجتمعوا أيضاً على النظم بديهةً في قافية النُّون مِنَ الوافر، فقال شيخنا:

جُنوني في محبَّتِكُمْ فنونُ وقصدُ سواكمُ ما لا يكونُ

فقال النَّجم المُرجاني:

ولم أُضمِر سُلوّاً عَنْ هواكُم لأنَّ وِدادَكم عندي كميـنُ

فقال الأقفهسيُّ:

وعُذَّالي تُحَرِّكُني لأسْلُو حبيباً في الفُؤادِ لَهُ سكونُ

فقال شيخنا:

وكم لي في هواكم مِنْ شُجُونٍ حديثُ محبتي فيها شجونُ

فقال الأقفهسيُّ:

على أنّي وإن بَعُدَ التَّلاقي مُحِبٌّ لا أمينُ ولا أخُونُ

فقال الرَّضيُّ:

وكم أضْمَرْتُ في قلبي هواكم زماناً والدُّموع له تُبينُ

فقال الشَّرفُ:

وكم يَسْعَوْنَ في تَلَفِي لأنّي محِبٌّ لا تغيِّرُه الظُّنُونُ

فقال شيخنا:

وعُذَّالُ المحبِّ على هواكم لهُمْ دِينٌ وللعُشَّاق دِينُ

فقال: المُرجانيُّ:

وكم سهرت عُيوني في هواكم وقد نامت لعُذَّالي عُيونُ

فقال الرَّضيُّ:

ومـــا أدري أغـــيٌّ أمْ رشـــادٌ جـفـاكـم والـهـوى داءٌ دفـيـنُ

فقال الشَّرفُ:

نُـجـومُ الـلَّـيـلِ تـشـهَـدُ أنَّ دَمـعـي غـزيـرٌ والـدُّمُـوع لـهـا شـؤونُ

فقال شيخُنا:

فـدمـعـي بـعـد عِـزَّتِـه مَـهـيـنٌ وجِـسـمـي مِـنْ سُـقـامـي لا يَـبـيـنُ

فقال النَّجمُ:

ومَـنْ لـم يَـعْـشُ عَـنْ ذكـرى حبيبٍ فـكـيـف لـه مِـنَ الـلاَّحـي قـريـنُ

وهذه الأبيات مختار ما قيل، لأنها كانت أكثرَ مِنْ ذلك.

واقترح صاحبُ التَّرجمة في سنة سبع وتسعين على الصَّدر علي ابن الأمين محمد بن محمد الدمشقي ابن الأدمي أن يعمل على نمط[1] قوله مما يُقرأ على وزنين وقافيتين مِنْ كلمة، وهو ممَّا انفرد بالسَّبق به، وكذا اقترحه على غيره مِنْ أُدباء عصره، وهُما[2] أول ما نظمهما صاحبُ الترجمة في ذلك.

نسيمكم يُنعشني والدُّجى طال فَمَنْ لي بمجيء الصَّبا ح

ويا صِبَاحَ الوَجْهِ فارَقْتُكُم فَشِبْتُ همّاً إذْ فَقَدْتُ الصَّبَا ح

فقال الصدر ما أنشده لصاحب الترجمة بعدُ بسنين، وكان عملهما قبلُ:

يا مُتهمي بالصَّبر[3] كُن مُنجدي ولا تُطل رفضي فإني علي ل

---

(١) في (أ): «في نمط».

(٢) في (ب): «وهذان».

(٣) في (ط): «بالسقم».

أنـتَ خـلـيـلـي فَـبِـحَـقِّ الـهَـوَى كُـنْ لـشـجُـوني راحـماً يـا خَـلي ل

ومِّما نظمه صاحبُ الترجمة فيما يُقرأ على وزنين[1] أيضاً:

ثَـوَيْـتُ فـيـكـم راجـيـاً مِـنْـكُـمُ أجر الهوى دهراً فضاعَ الثَّوا بْ
ردُّوا جـوابـي ودَعُـونـي أَمُـتْ جوىً فما منُّوا ولا بالجَوا بْ

وله [كالذي قبله في البيت الثاني فقط][2]:

مـدحـي فـي عـلاكـمُ والـسَّـمَـاح الـذي هَـمَـا
قَـدْ عَـلَـتْ فـي ارتـفـاعـهـا كيف لا وهي في السَّمَا ح

ونظم صاحبُ التَّرجمة في مبادي نظمه ـ قال: أظنُّه في سنة ثلاث وتسعين ـ قصيدة جاء منها:

أرعى النُّجوم كأنِّي رُمْتُ أحْصُرُهَا بالعدِّ إذ طال بعدَ البَدْرِ تَسْهيدي
وكـم أعـدُّ إذْ أبكـي عـلـى قـمـري والأُفُقُ قد ملَّ في الحالَيْن تعديدي

قال: وحسِبْتُ أنني انفردت[3] بهذا المعنى، لأنني لم أره في أشعار مَنْ تقدَّمَ إلاَّ جِناساً، فأنشدتُ لصاحبي القاضي بدر الدين المخزومي ابن الدماميني قصيدة نظمها في سنة خمس وتسعين، جاء منها قوله:

خـلـيـلـيَّ إنِّي فُـتِـنْـتُ لِـشـقْـوَتـي بَوَسْنَانِ طَرْفي فيه بالوجد سهَّدا
يَـرومـان تـعـديـداً لأوصـافِ حُـسْـنِـه عـلـيَّ وقـد مِـتُّ اشـتـيـاقـاً فـعـدِّدا

وتذاكرت أنا والمجد[4] بن مكانس، فأنشدني لنفسه مِنْ قصيدة ذكر لي أنَّها متقدمة النَّظم، لعلَّه نظمها قبل التسعين، جاء منها قوله:

---

(١) في (ط): «قافيتين».
(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).
(٣) في (أ): «أنفرد».
(٤) في (ط): «والمحب»، خطأ.

وعـاذلـي مُـذْ رأى ضُـلـوعـي تُـعَـدُّ سُـقـمـاً بـكـى وعـدَّدْ

فطال تعجّبي مِنْ تجاذبنا الثّلاثة أهدابَ هذا المعنى، ولعلّ أحدنا لم يطّلع على نظم الآخر قبل ذلك، وتوارد الخاطر في المعاني يصحّ، ولا يكادُ يصحُّ في الألفاظ إلاّ في النّادر.

[قلت: وللمجد أيضاً من أبيات قوله:

ويـسـرّ نـاظـرنـا بـعـدّ صـفـاتـه واعَـجْـبْ لـمـسـرُورِ الـفـؤاد يُـعـدِّدُ

والله الموفق][1]:

وتذاكر صاحبُ الترجمة هو والمجدُ فضل الله بن مكانس الموشحات والخرجات الزّجليّة، وما اخترعه[2] القاضي السعيد مِنْ جَعْلِ الخرجة بالفارسية، ولكن أغربَ بها، وأذهبَ رونقها، فقال صاحبُ الترجمة للمجد: إنّي أريدُ أن أنظِمَ موشّحاً أجعلُ خرجته تركيّة، ولكنها مفهومةٌ معلومة، فاستجادَ ذلك، وقال له: ظهرتْ لي خرجةٌ وفيها تورية، فتفكّر صاحبُ التّرجمة أيضاً، وظفر بأخرى بتورية، وتفارقا على النّظْم، فنظم المجدُ:

هـم حـمـلـوا وسـاروا بل اعتذروا وجاروا فأشتكيهم لمنْ

سـارُوا بـمـن سـيـأتـي عـنـي بِـزَعْـمـه

وصـدَّنـي زمـانـي عَـنْ رَشْـفِ ظَـلْـمِـهِ

والـبـحـرُ[3] قَـدْ رَمَـانـي عـمـداً بـظُـلْـمِـهِ

فـمـدمـعـي بـحـارٌ ولـيـس لـي قـرارٌ والـوَجْـدُ عـنـدي سـكـنْ

مـا كـان رأي حـبـي أفـديـه ذا الـنَّـوى

ولا عـذاب قـلـبـي بـالـبَـيْـنِ والـجـوى

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب) وزاده المصنف بخطه في هامش (ح).

(٢) في (ط): «اقترحه».

(٣) في (ح): «والهجر».

فاحْذَرْ كُفيتَ كربي تغترّ بالهوى

فعِشْقُه إسارُ وأُنسُه نِفَارُ والسِّرُّ فيه عَلَنْ

قل للجفون تذري دمعي غمائما

حتَّى يعودَ بدري إليَّ سالِمَا

حتَّى يصيرَ دهري بالوصل راحما

ويقرُبُ المزارُ ويرجعُ المسارُ ويصطفيني الزَّمنْ

أفديه مِنْ غزالٍ للتُّرك أصلُهُ

قد فاق في الجمالِ فعزَّ مثلُهُ

وجاء بالوِصال فجلَّ فعلُهُ

له الحشا دثارُ له الوفا شعارُ له عليَّ المِنَنْ

ظبيٌ بديعُ حُسْنٍ كالبدرِ في التَّمامْ

عِذارُه مَسَنِّي وطرفُه حُسامْ

فَرُحْ إليه عني بالكُتْب والسَّلامْ

وانظُر إلى عذار وبهجة اخضرارِ وقل لو يخشى مَسَنْ

وقال صاحب الترجمة:

صِلْ قاصِداً قَدْ أمَّلَكْ إذْ لَمْ تَجِدْ فَتىً حُرْ

فأنتَ عِقْدٌ مِثْمِنُ لم تفتقر لواسطهْ

وأنت شكلٌ حسنُ والجودُ فيكَ ضابطَهْ

فلا تَقُلْ يا مُحْسِنُ هذا الثَّنا مغالطَهْ

فالوَصْفُ لن يُمَثِّلَكْ[1] لكل صبٌّ يشعرْ

بالطَّيْف قَدْ وعدتني كيف وطَرْفي ما هَجَعْ

(١) في (ح): «فالوصف لك لن يمتلك».

وسار مُذْ فارقْتَني ... وراك قلبي ما انقطعْ
فارْحَمْهُ فهو قَدْ فَنِي ... وانظُر لَهُ فيما صَنَعْ
فإنَّه فيك هَلَكْ ... ومسَّه منْكَ الضُّرْ
جُنِنْتُ مِنْ نومِ النَّوى ... فارْحَم سَلِمْتَ مَضْرَعِي
وبان مكتومُ الهَوى ... مُذْ بلَّ جَيْبِي مَدْمَعي
ولَيْسَ لي عَيْشٌ سِوَى ... إنْ رَدَّ محبوبي معي
يا قمري قَلْبي فَلَكْ ... سِرْ فيه فهو قد سُرْ
واطْوِ شُقَّةَ السَّفَرْ ... يا بَدْرُ وانعَمْ بالُلقَا
واعْدِل إليَّ يا قَمَرْ ... وفيَّ إنِّي في شَقَا
وقلتُ لمَّا أن خطَرْ ... بالله يا غُصْنَ النَّقَا
سُبْحَانَ ربِّ عدَّلكْ ... قِفْ لي قليلاً أنْظُرْ
وشادنٍ مِنَ الخَطَا ... يَقْتُلُني بالعَمَدِ
زارَ فَقُلْتُ إذْ سَطَا ... بِلَحْظِهِ كالهِنْدِي
واصِلْ وكُنْ مُشْتَرِطَا ... ما شِئتَ فهو عِنْدِي
قال هاتْ ذَهَبْ وادُورْ لك ... فَقُلْتُ: لَوْ تَخْشَى دُرْ

قال صاحب الترجمة: وولَّد لي هذا المعنى أن قلت:

يا أيُّها الحَسَنُ صِلْني ... مَسَّ قلبي بالجَفَا ضُرْ
بالَّذي يُبْقِيكَ يا ... مالك رِقِّي يا بها دُر

وقلت أيضاً:

ومُهَفْهَفٍ قَد مَسَّني ... مِنْ حبِّه وصَبٌّ وضُر
إنْ قُلْتُ صِلْني قال هات ... أقول خُذْ ذَهَباً ودُرْ

وأنشد البدرُ الدَّماميني في الاكتفاء، قال: وفيه زيادة:

رعى الله دهراً فيه أسماءُ واصَلَتْ وجادت لنا بَعْدَ القَطِيعَةِ بالنُّعمى
وشَّنَفَتِ الأسماع أسمارُ ذِكْرِها وأسماؤها تُتلى فيا لَكِ مِنْ أسْمَا

قال صاحب الترجمة: فاكتفى بأسما عَنِ الأسماع والأسمار والأسماء، ففيه أربعة. ولمَّا أنشدني ذلك، نظمت بحضرته، ولعلَّ فيه خمسة:

أُطِيلُ المَلال لِمَنْ لامَنِي وأملأُ في الرَّوْضِ كأسَ الطِّلا
وأهْوَى المَلاهِي وطِيبَ المَلاذِ فها أنَا مُنْهَمِكٌ في المَلا

وأنشد ـ يعني البدرُ ـ لنفسه في ذلك، يعني الاكتفاء:

برُوحِيَ أحمي غادةً قد تَطَلَّعَتْ إليَّ فما أصْغَيْتُ للعاذِلِ العَوّا
وأمطرتُ دَمْعِي إذ فَنِيتُ على الحِمَى بأنواع أنوارٍ فيا حَبَّذا الأنْوَا

قال [صاحب الترجمة][1]: فنظمت أنا في مثله:

حَبِيبي إنَّ العَيْشَ في الوَصْلِ فاسْتَرِحْ إليه ولا تَرْحَلْ ولا تركَبِ الفَلاَ
وإيَّاكَ لا تَصْعَدْ قلاعاً ولا تُنِخْ قلاصاً ومَهْمَا اسْطَعْتَ فاجْتَنِبِ القِلاَ

ونظم المجد بنُ مكانس فيه:

لَمَسْتُ النَّواعِمَ يَوْمَ الوَدَاعِ وأنْعَشَ حِبِّي بِلَثْمِي القُوَى
وأبْدَى النَّوادِرَ لي فاعْجَبُوا لِمَنْ طابَ في عِشْقِهِ بالنَّوَى

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (ب).

[المطارحات]

وأما المطارحات، وقد أتيتُ بما وقفتُ عليه منها مرتباً على الحروف.

فكتب له البرهانُ إبراهيم بن إسماعيل الجُحاني في ربيع الآخر سنة ثمانمائة، وهو بتعز، قصيدةً يمدحه بها ويهنئه بالسَّلامة، فقال:

شُكراً لِسَيْر السَّابقاتِ العِرَابْ ... الأعوجِيَّاتِ بناتِ الغرابْ
ولِلمهارى الَّتي لم تَزَلْ ... تخوضُ في الفَيْفَا لُجَّ السَّرابْ
كالسَّيْل في السَّيْر انْسِكَاباً فما ... الغَبْراءُ في ذلك أو ماءٍ سكابْ
وللجواري المُنْشَآتِ الَّتي ... كأنَّها بَيْنَ الحَباب الحُبابْ
يا حُسْنَها ماذا تلقت لنا ... بُطون هدي مِنْ ظُهورِ الرِّكابْ
ما إنْ رأيْنَا أبداً مِثْلَها ... ولا سمعنا في الحَدِيثِ العُجَابْ
شَفَتْ عُبابَ البَحْرِ فاعْجَبْ لها ... وقُوفها بحرَ علومٍ عُبابْ
شكراً لها شُكْر رياضِ الرُّبى ... على الَّذي أوْلَتْهُ أيدي السَّحَابْ
قرَّبْنَ مِنَّا بَعْدَ بُعْدِ[1] المَدَى ... إنسَانَ عَيْنِ الأدَبِ المُسْتَطابْ
مُحيي مواتِ الأدبِ المُنْتَقَى ... أحمداً المحْمُود[2] عالي الجنابْ
كنَّا عَنِ الآدَابِ في ظُلْمةٍ ... حتَّى انجَلَتْ عنَّا بضَوْءِ الشِّهَابْ

---

(١) في (أ): «أبعد»، خطأ.

(٢) في (ط): «المحبوب».

ترشفُ آذانُنا منه ما ... يفُوقُ في الأفْوَاهِ رَشْفَ الرُّضَابْ
كأنَّما الطَّائيُّ مِنْ قَبْلُ قَدْ ... كُوشِفَ فيه فَرَضِي بالإيابْ
نَظْمٌ أرانا أو سَهْمُ نَعْجَةٍ ... يرى أبَاهُ حجراً كالتُّرابْ
وهذه الأحجار لا تستوي ... كم حجر يجري بتِبْرٍ مذابْ
تخالنا منها سكارى وما ... دارت بأيدينا كؤوس الشَّرابْ
أطربنا حتى ظننّاه قد ... عاودنا بعدَ المشيبِ الشبابْ
قريحةٌ ما حَاوَلَتْ مُشْكِلاً ... إلاَّ أصابَتْ منه عَيْنَ الصَّوابْ
فكَلَّفَتْني بعد إغْلاقِ باب ... للمَدْحِ في مَدْحي له فَتْحَ بَابْ
وكنت في مندوحةٍ عنه لو ... وقفت ما سطرتُه في كتابْ
يَظُنُّ نَظْمَ الشِّعرِ إرثاً[1] ومَنْ ... صَوَّبَ فيه الفِكْرَ ألفَاهُ صَابْ
فاسْتُر شِهابَ الدِّين ما لاَحَ مِنْ ... عُيوبِ شعرٍ حقُّه أن يُعابْ
وهاكها عاجزةً لم أقُل ... خُذْهَا حياءً مِنْكَ بكراً كعَابْ
أسْبِلْ عَلَيْهَا ثَوْبَ سِتْرٍ يَكُنْ ... إسبال ثَوْبِ السِّتْرِ عَنْها ثَوَابْ
لا أقْتَضِي عَنْهَا جَواباً سِوَى ... الإغضاءِ فالإغضاءُ أوْفَى جَوَابْ
وافْخَرْ وَقُلْ ما شِئْتَ واسْعَدْ فَقَدْ ... أُوتِيتَ يا أحمدُ فَصْلَ الخِطَابْ

فأجابه:

أهلاً بها حسناء رُودِ الشَّباب ... وافت لنا سافرة للنِّقابْ
مفترَّةٍ عَنْ جوهرٍ رائع ... لكنَّ مأواه البُحورُ[2] العذابْ
جادت بوصلٍ ناعمٍ أنعَشَتْ ... به فؤادَ الصَّبِّ بعدَ التِهَابْ
فأسكَرَتْنَا بأحاديثها ... فلم نَذُق منه كأس الشَّرابْ

---

(١) في (أ): «إرباً».

(٢) في ديوان ابن حجر: «الثنايا».

فما كؤوس الشُّرْب مَلأى طِلاَ ... أرفعُ مِنهَا للنُّهى بانتهابْ
وما الرِّياضُ الزَّاهِرَاتُ الرُّبى ... جادَ لها الغيثُ بفرْطِ انْسكابْ
غنّى غَنِيَّ الوُرْقِ أوراقَها ... فَنَقَطَتْ عُجْباً بدُرِّ السَّحابْ
فراقتِ الأبصارَ أغصانُها ... وأطرب الأسماع[1] وقعُ الرَّبابْ
يوماً بأبْهَى مِنْ حديثٍ لَهَا ... أحيا موات الأدَبِ المُسْتَطابْ
أهدى لنا كانونُ أزهارِها ... فقلتُ يا بُشْرايَ نيسانُ آبْ
قبَّلْتُها ثمَّ ترشَّفْتُها ... وما تجاوَزْتُ الرِّضَا بالرُّضَابْ
كأنها نابَتْ قصيداً زَهَتْ ... مِنْ نظمِ إبراهيمَ أدنى منابْ
ذُو النَّظمِ كالغَيْثِ انسجاماً إذا ... دعاه لا يخطىءُ صَوْبَ الصَّوابْ
والسَّجْعُ يُزْري بحمامِ الحِمَى ... بالحكمة الغرَّا وفَصْلِ الخِطَابْ
فالنَّثْرُ كالنَّثْرَة والشِّعر كالشِّعرى ... ضياءَ فاق ضَوْءَ الشِّهابْ
هذا إلى عِلْمٍ وحِلْمٍ إلى ... فصلٍ وفضلٍ جائدٍ للطِّلابْ
مولاي هذي خِدْمَةٌ قصَّرَتْ ... بالعجزِ عَنْ نظمٍ إذا طالَ طابْ
بتُّ بها في ليلتي ظامِئاً ... أرومُ تَغويضَ الشَّرابِ السَّرابْ
أضرِبُ أخماسي بأسداسِها ... ولا يدورُ النَّظمُ لي في حِسَابْ
أُثِبْتُ عَنْ مُرجانِكم بالحَصَى ... فالله يَجْزيكَ جزيلَ الثَّوابْ
اللَّهَ في صبٍّ جَفَاهُ الكَرَى ... والأهْلُ والدَّارُ وطِيبُ الشَّبابْ
عطفاً على مبتدأ تابع ... مِلَّةَ إبراهيم فيما أجابْ
فافتح له بالصَّفحِ بابَ الرِّضا ... وسُدَّ عَنْ أخلالِه كلَّ بابْ
وهاتِ فَسِّرْ ما اسمُ ذاتٍ إذا ... ما صَحَّفُوه كان مأوى الرُّضَاب
وإن تبدّل بعد ذا أولاً ... منه ترى لُغزاً يَرُومُ الجَوَابْ

---

(١) في (ط): «للأسماع».

وابْقَ قريرَ العَيْنِ تَحْظَى بها ... مِنْ نعم عالي الذُّرَى والجَنَابْ
ما لاحَ نجمٌ في رِيَاضٍ ومَا ... أشرقَ في أُفْق سماءٍ وغَابْ

فكتب إليه الجُحَافي المذكورُ مجيباً له مِنَ الشعر[1] المذكور، ومُلغزاً على سبيل المداعبة، وذلك في توجّه صاحب التَّرجمة إلى عدن، فقال:

أروضةٌ جادَ عليها الغمام ... غنَّاءُ غنَّى في رُباها الحَمَامْ
أم فارةُ المِسْكِ الذَّكِيِّ التي ... تضوَّعت إن فُضَّ عنها الخِتَامْ
أم غادةٌ زُفَّتْ إلى مُغْرَمٍ ... بها مُعَنًّى كَلِفٌ مُستهامْ
أم الدَّاراري الزُّهْرُ قد قُلِّدَتْ ... بالدُّرِّ نَظْماً والآلي التزَامْ
أم نظمُ شعرٍ فائقٍ رائقٍ ... خُصِصْتَ فيه دُونَ كلِّ الأنامْ
فضاءَ مِنْ ضَوْءِ شِهابِ الهُدى ... والدين حظي وتجلَّى الظَّلامْ
كفَضْلِه فليكُنِ الفَضْلُ أوْ ... كفعله فليكُ فَعْلُ الكرامْ
مَنْ كان في فنٍّ إماماً فها ... ذا أحمدُ في كلِّ فنٍّ إمامْ
يستخدمُ النَّجمَ ولا غَرْوَ أن ... يستخدمُ الشُّهْبَ الشهابُ الإمامْ
عجبتُ منه[2] كيف يرضى ... بتلقيب شهابٍ وهو بَدْرُ التَّمامْ
عوَّضني عن سَبَجٍ جوهراً ... وزانه فَضْلاً بِحُسْنِ النِّظامْ
هذا هو السِّحر الحلالُ الذي ... غدا على مُنْتَحِليه حرامْ
فلم أزَلْ أحمدُ يا أحمدُ ما ... أولَيْتَنيه مِنْ أيادٍ جِسَامْ
أنْعَشْتَ فكري بعد ما كنتُ قد ... أهملتُ شعري منذُ عشرينَ عامْ
وجاءني اللُّغزُ الذي قد نبا ... عَنْ فضلِه سيفُ افتكاري الكَهَامْ
فقلتُ لمَّا جاءني منك ما ... معناه يُزري بالمعاني الوسام

(١) في (أ، ط): «الثغر».
(٢) في (ب): «منك».

تَـعَـزَّ يـا مـولايَ حـتَّـى تـرى ... عـزيـزَ مـصـر فـي الـمـعـالـي وشـامْ
وهـاك ذا اسـمٌ هـو فـعـلٌ مَـتَـى ... وافـيـتُـمـوه ورحَـلْـتُـم أقـامْ
وإن تـرد عـكـسـاً تـدع عـكـسَـه ... كـيـلا تـراه مـسـافـراً لـلـشـامْ
وكـم ودِدنـا بـعـد تـصـحـيـفـه ... ومَـنْ لـنـا فـيـه بـعَـذْبِ الـغـمـامْ
واعـذُر مُـحِـبّـاً لـم يَـذُقْ طـرفُـه ... بـعـدك مـعـنـى مِـنْ مـعـانـي الـكـلامْ
وقِـفْ وسـافِـرْ حـيـثُ مـا تـشـتـهـي ... عـلـيـكَ مـنّـي حـيـثُ كـنـتَ الـسَّـلامْ

وكتب في سنة تسع وتسعين إلى الشيخ برهان الدين إبراهيم بن زُقَاعة:

تـطـلـبـتُ إذنـاً بـالـرِّوايـة عـنـكـمُ ... فـعـادَ بـكـم إيـصـالُ بـرٍّ وإحـسـانِ
لـترفعَ مقداري وتخفِضَ حاسدي ... وأفـخـرُ بَـيْـنَ الـطَّـالـبـيـن بـبُـرهـانِ

فأجابه البرهان[1]:

أجزتُ شـهـابَ الـدِّين دامـت حـيـاتُـه ... بـكـلِّ حـديـثٍ جـازَ سـمـعـي بـإتـقـانِ
وفـقـهٍ وتـاريـخٍ وشـعـرٍ رَوَيْـتُـهُ ... ومـا سَـمِـعَـتْ أذْنـي وقـال لِـسَـانـي

وكتب إليه القاضي العلاَّمة الشَّرفُ إسماعيلُ بن أبي بكر بن المقرىء صاحب «عنوان الشرف»، ومِنْ خطّه نقلت:

قُـلْ لـلـشـهـاب ابـنِ عـلـيٍّ ابـنِ حَـجَـرْ ... سُـوراً عـلـى مـودتـي مِـنَ الـغِـيَـرْ
فـسُـور وُدِّي فـيـك[2] قـد بـيَّـنْـتُـه ... مِـنَ الـصـفـا والـمَـرْوَتـيـن والـحَـجَـرْ

---

(١) في (ب): زيادة «مخطئاً للوزن في البيت الثاني». وجاء في هامشها ما نصه: لا خطأ فيه، وها هو لديك، فإن لفظ «إذني» بسكون الياء (هكذا). قلت: وهذه الزيادة كانت موجودة في (ح) ثم شطب عليها.

(٢) في (ط): «فيه».

قلت: ولما اجتمع بالوليِّ العراقي رحمهما الله، قال له أنت القائل: (قل للشهاب)، وذكرهما، [قال: نعم][1] فأجابه [صاحب الترجمة][2]:

عوذت سُورَ الوُدِّ فيكَ بالسُّورْ ... فهو على العلياء بالحُكْمِ حَجَرْ
يا مَنْ رقى في المجدِ أنْهَى غايةٍ ... بالحقِّ أعْيَتْ مَنْ مَضَى ومَنْ غَبَرْ
فضلُ سواكَ مدَّعى أو ناقصٌ ... كأنه «إنَّ» أتَتْ بلا خَبَرْ
وأنتَ إسماعيلُ بالصِّدْقِ له ... وصفٌ على الوَرَى به قَدْ افْتَخَرْ
ذو قعدة في أُفُقِ مَجْدٍ ثابتٍ ... بمدحها طيرُ السُّعودِ قد صَفَرْ
وهِمَّة في السَّبْقِ لمَّا أن سَمَتْ ... لم تَرَ عَيْنٌ في الثَّرى لها أثَرْ
يا أيُّها القاضي الذي مرادُه ... يأتي به حُكْمُ القضاء والقدَرْ
إذا أرادَ الله أمراً لم يَكُنْ ... له[3] تأخُّرٌ إلاَّ كَلَمْحٍ بالبَصَرْ
فاضت بفضله المحالب التي[4] ... فاقت بمجده الذي قد اشتهرْ
دَرَّ له ضَرْعُ الكلام[5] حافلاً ... حتَّى احتوى على المعاني واقتدرْ[6]

وكتب إليه الأمير غرسُ الدِّين خليل ما سمعتُه ينشده لصاحب الترجمة، وهو قوله:

وقائلةٍ مَنْ في القُضاة بأسرِهِمْ ... يُلازِمُ تقوى الله طُرّاً بلا ضَجَرْ
ويرؤُفُ في الأحكامِ بالخَلْقِ كلِّهم ... ويدعو لهم في كلِّ ليلٍ إلى السَّحَرْ
فقلتُ لها: فهو الإمام أولو النُّهى ... وذاك شهابُ العسقلاني بني حجرْ
له كتبٌ في كلِّ فنٍّ لقارىءٍ ... وشرحٌ عجيبٌ للبخاري مِنَ الخَبَرْ

---

(١)(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).
(٣) في (ح): «إذا أراد الأمر لم يكن له...».
(٤) في (ب، ط، ح): «الذي». وكتب في هامش (ح): «خ التي».
(٥) في (ط): «المعاني».
(٦) في هامش (ط): «وقت دَر».

وفي النَّحوِ والتَّصريفِ لم يُرَ مثلُه كذا في المعاني والبيان وفي الأثَرْ

فأجابه صاحب الترجمة بما كتبته عنه أيضاً:

أيا غرسَ فضلٍ أثمرَ العلمَ والنَّدى فلَلهِ ما أزكى وما أطْيَبَ الثَّمرْ
يجودُ ويُنشي بالغاً ما أرادَهُ فمستطلعٌ دُرّاً ومستنزلُ الدُّرَرْ
لكَ الخيرُ قد حرَّكْتَ بالنَّظْمِ خاطراً له مدّةٌ في العُمْرِ ولَّت[1] وما شَعَرْ
وقلَّدْتَ جيدي طَوْقَ نُعْمَاكَ جائداً فعالاً ونطقاً صادَفَ الخُبْرَ والخَبَرْ
مناسبةُ اسْمَيْنا خليلٌ وأحمدٌ لرأسِ أولِي النَّظْمِ الإمام الذي غَبَرْ

وكتب إليه أيضاً مطالعة تتضمَّن وُقوعَ الطَّاعونِ بالشّام، أولها:

نسأل الله بمدحٍ وغَزَلْ عادلٍ في الحُكْمِ ولّى وعزلْ
أنْ يمتِّعكُمْ بعمرٍ لم يَزَلْ في حمايةِ ربِّنا ممَّا نزلْ

فأجابه بقوله:

أسألُ الرَّحمن لي عزَّ وجَلْ ولكم حِفْظاً وصَوْناً مِنْ وجلْ
أنتَ نِعْمَ الذُّخرِ والمولى الأجَلْ وخليلِ الودُّ ما دامَ الأجلْ

وكتب في سنة عشرٍ وثمانمائة لقاضي القُضاة جلال الدين البلقيني يعاتبه على تركه عيادته وهو ضعيف:

قُلْ لقاضي القُضاة ما ضرَّ لو عُدْتَ فتًى جِسْمُه ضنًى مجذوذُ
لي عليكُم دُونَ الأنامِ حقُوقٌ سبعةٌ ذِكْرُهُنّ عندي لذيذُ
صاحبٌ تابعٌ محبٌّ نسيبٌ بلديٌّ مجاورٌ تلميذُ
إن يكُنْ هجرُكُمْ لذنبٍ فبالّـ ـلهِ تعالى مِنْ زلّتي أستعيذُ

---

(١) في (ط): «ولى».

فأجابه، ومِنْ خطّه نقلت:

ليس في صُحبتي وصحَّة حُبي ... قادحٌ مُضعِفٌ وليس شُذُوذُ
أنا لا أنثني عَنِ الوُدِّ دهري ... كيف إمكانُه وكلِّي أخيذُ
خاطري عندكُم كذلك بالي ... وعلى سُقْمِكُم فقلبي حَنيذُ
غيبتي هَفْوَةٌ فعفُوكَ عنها ... إنّني بالولا فيك أعوذُ

وكتب إليه الزَّين عبد الرحيم، ومِنْ خطه نقلت:

أمُسْتَعبِدَ الأحرارِ بالعلم قد رأوا ... وبِرِقِّهِمْ فضلاً عليهم وواجِبَهْ
وملحقَ إحسانٍ بسابق مثلِه ... جزيل عطاياه بغير محاسبَهْ
وناصبَ فخٍّ للقُلوب بفضله ... فكم صادَ مِنْ قلبٍ ولا زال ناصِبَهْ
لئنْ جاء شقيقي سائلاً في كتابِكُم ... فلي شأْوُ سُبَّاقٌ ولي فيه شائبهْ
تغاضِيكَ أغراني إلى طمعٍ به ... وإهمالِ أزمانٍ وتركِ المطالبَهْ
وقد أحضر المملوكُ ما كان قَبْلَه ... فما خُوطب المملُوك فيه بخاطبهْ
ولي فيك آمالٌ إلى الآن ما انقضَتْ ... مدى الدّهر ما أرجعتها قطُّ خائبهْ[1]
وعوَّدتها صدق الوَفا فتَعوَّدت ... وفي كلّ ما تولى بها منك صائبَهْ
متى كنت مأمولَ المكارم والعطا ... وأرجَعْتَ مَنْ يأتي بآمال كاذِبَهْ
فعجِّل بما أرجُوه يا لك مُحسِنَاً ... بإحسانه كلُّ الخلائق قاطِبَهْ
وأما أخي فالصَّالحيُّ يُجيبُه ... بأنّيَ مِنْ قبلُ التمسْتُ مواهِبَهْ
بظاهره فاكتُبْ بما أنتَ أهلُه ... فكم لك أمثالي أرِقّا مكاتبَهْ

فأجابه على الفور:

---

(١) هذا البيت لم يرد في (أ).

(٢) في (ب): «مثلي».

أمولاي زينَ الدِّينِ والفاضل الذي ... بِصيدِ الثَّنا صحّت لديه المناصِبَهْ
أتاني سؤالٌ فيه مدحٌ ومطلبٌ ... فللّه مَذحاً ما أعزَّ مطالبَهْ
يقولُ الذي أغرى إلى طمعٍ به ... تمادي أزمانٍ وتَرْكِ المطالبَهْ
فديتُك ماذا مذهبُ العبدِ بل عَزَوْا ... إلى مالكٍ قولاً ضعيفَ المناسبَهْ
فإن كان مولانا يقولُ بقولِهِ ... فليتك حقّاً مالكي بلا شِبَهْ
ولكن مقامُ العبدِ لا يرتقي إلى ... مقامِ الموالي فاعذُروا في المكاتبَهْ
ولو كان مولانا أشارَ إشارةً ... ولو كان بالإيماءِ أسرعْتُ ذاهِبَهْ
ولو أن مَنْ نرجوه غيرُ شقيقِكم ... ولو أنّه النُّعمان لم أرْعَ جانِبَهْ
ولكن لأجلِ الوُدِّ بينكما أرى ... كلكما في ذاك ترك المخاطبهْ[1]
وقلتُم بأنَّ الصَّالحيَّ يُجيبه ... بأنَّك مِنْ قبلُ التَّمستَ مواهِبَهْ
أحاشيكَ هذا الصَّالحيُّ عهدتُه ... له عَنْ أكاذيبِ المقالِ مجانبَهْ
ولا سيما والكذبُ يُفْطِرُ صائماً ... فحقٌّ له في الصَّوم يهجرُ طالِبَهْ
فهذا رعاك الله عُذريَ قد بدا ... فهل مِنْ قَبُولٍ مِنكَ أشكر واجبَهْ

وكتب إليه الموفقُ أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر الزَّبيدي قوله: أمتع الله بطلعَتِكَ المضيَّة، وشمائلك المرضية، وحُزْتَ خيراً، ووُقِيتَ ضَيْراً. . . .[2]

وكتب إليه قاضي القضاة العلاء علي[3] بن محمود ابن المغلي الحنبلي، وأرسل إليه مع ذلك بثوبٍ بعلبكّي هديةً، وذلك عند ختم ولده القاضي بدر الدين محمد القرآن، وصلاته للنَّاس في رمضان سنة ست

---

(١) في (أ): «المطالبه».

(٢) بياض في الأصول.

(٣) «علي» ساقطة من (أ)، وفي (ط): العلاء علاء الدين محمود، خطأ. وانظر ترجمته في إنباء الغمر ٨/٨٦ ـ ٨٨، والضوء اللامع ٦/٣٤ ـ ٣٦.

وعشرين وثمانمائة بالخانقاه البيبرسية بحضُور الأعيان، فقال، ومِنْ خطّه نقلت:

ليهن أبا العبَّاس ذا النَّجل إذ بدا ... هلالُ شهاب الدين بل جاء مُبْدِرا
فحُقَّ له الإنشادُ في عُظْمِ شأنه ... لشِعْرٍ له معناه ظنِّي مُضمرا
(بلغنا السَّماء مجدَنا وجُدودنا ... وإنّا لنرجُوا فوقَ ذلك مظهرا)
عساك تُجيزُ العبدَ إذ صحَّ ودُّه ... بحُسْنِ قَبُولِ النزرِ يا حافِظَ الورى

فأجابه صاحب الترجمة، ونقلتُه من خطه:

نعم بلغَ العبدُ السَّماء تعالياً ... بمدحِ علاء الدِّين أعلمِ مَنْ أرى
لقد فُقْتَ في كلِّ العلومِ بلا مرا ... وفي البِرِّ للطُّلاب بالفضل والقِرى
ورُمْتَ بإهداء البِطَانَةِ سُتْرَةً ... وهيهات يأبى الجودُ أن يتستَّرا
كساني ولم أستَكْسه فحمدتُه ... أخاً لك يُوليكَ الجميل لتشكرا

واتَّفق أن وقع على لفظة[1] «أستكسه» علامةُ الإهمال على السِّين التي قبل الهاء، فصارت كالضَّمة، فكتب العلاءُ إلى صاحب الترجمة في ذلك ما نصُّه:

أجبتَ فلبَّاكَ القريضُ حقيقةً ... وعوَّضت عن نظمي الحصى منك جوهرا
وأدخلتَ في التَّضمين بيتَ تنازُعٍ ... فها أنا نحوه ولكن مُحرَّرَا
حباني ولم أستدعه فاشكُرن له ... أخ لي يُوليني الجميل معذَّرا
فإن قلم ألقاه سبقاً فإنَّه ... عقيدتنا أولى لمعنى فخبِّرا

فأجابه بقوله:

أخبِّركم أنَّ الصواب محقَّقٌ ... لديكم وسَبْقُ الضَّبْطِ مِنْ قَلَمٍ جرى

---

(١) في (أ): «حفظ»، خطأ.

رأى قدرَكُمْ بالرَّفعِ أليقَ فارتضى ... مخالفةً للكسْرِ هذا الَّذي أرى
حويْتَ علاء الدِّين والعِلْمِ والنُّهى ... ومَهْما رفعتَ الدَّهر فالضِّدُّ كُسِّرا
دعوتَ فلبَّاك اعتذاري مطابقاً ... بقولٍ ولو حُلِّفْتُ كنتُ مقصِّرا

وكتب إلى العلامة البدر محمد بن إبراهيم البشتكي في رمضان:

أليس عجيباً بأنَّا نصومُ ... ولا نشتكي مِنْ أذى الصَّوم غمّا
ونسغُبُ ـ والله ـ يا سيِّدي ... إذا نحن لم نروِ نثراً ونظما

فكتب إليه البدر بعد ذلك:

أيا شهاباً رقى في العلا ... فأمطرَنَا نوْؤه العَذْبُ قَطْرا
إلى فقرةٍ منك يا فقرنا ... ونَسْتَغْنِ إن قُلْتَ نظماً ونثرا

وكتب إلى العلامة البدر[1] محمد بن أبي بكر بن عمر الدَّماميني في المحرَّم بقوله:

أيا بَدْرَاً سما فضلاً وأرضى ... رعيَّتَه وفي الظَّلماء ضاءَ
ويا أقضى القُضَاةِ ومُرْتَضَاها ... وأحسَنَها لما يُقضى أداءَ
تهنَّ العامُ أقبلَ في سُرورٍ ... وأبْدَى للهناء بكمُ هناءَ
روى وأشارَ مُقْتَبِساً إليكم: ... «خيارُ النَّاسِ أحسَنُهُم قَضَاءً»

وبقوله:

يا بدرَ دينِ الله إنَّ مدائحي ... تروي لك البُشرى عن ابن هلالِ
بالحَوْلِ بل في كلِّ حالٍ أقبَلَتْ ... فلكَ الهنَا في سائرِ الأحوالِ

فأجابه ـ ومِنْ خطِّه نقلت ـ بقوله:

---

(١) في (ط): «بدر الدين».

شُكراً شهابَ الدِّين للنَّظمِ الذي ... قلَّدْتني مِنْ عقده بلآلِ
أحكَمْتَ بيتاً فيه جلَّ مقامُه ... عن سعي ذي التَّقصير مِنْ أمثالي
فتَمِلْتُ سُكراً حين حيَّا بالهَنا ... وأدار أكْؤُسَ رفعةٍ وجلالِ
وملكتُ رقَّ الفضل ملكاً ثابتاً ... جمَّ الحُقوق فلستُ بالمختال
يا مَنْ يصُوغُ مِنَ البَيانِ قلائداً ... يُنسي لهُنَّ محاسِنَ الخلخالِ
عندي فراغٌ مِنْ سواكَ لأنَّني ... حُزتُ الكمال بفضلِك المُتَوالي
وملأتُ فكري في امتداحك فاعتَجِبْ ... مِنْ ذي فراغٍ في مقامِ كمالِ

وبقوله:

ألا يا شهاباً أخْجَلَ البدرَ نورُه ... فقَلَّتْ لديه أنْجُمُ الشُّكر والثَّنا
تَهَنّ به عاماً مَلَكْتَ سُعودَه ... ونجمُكَ فيه قد علا فلَكَ الهَنا

وبقوله:

أفدي شهابَ الدِّين مولىً بارِعاً ... قد أضعَفَ الحُسَّادَ قُوَّةُ قولِه
حفَّتْهُ أفلاكُ الهناءِ بعامهِ ... فانظر لأنْجُمِ سَعْدِه مِنْ حولِه

وكتب إليه بقوله:

لقد سما ابنُ عليٍّ كلَّ ذي أدبٍ ... فلا يشارَكُ في فَهْمٍ وإدْرَاكِ
ولم يَزَلْ بالمعاني الغُرِّ مُنْفَرِداً ... يصيدُها وحدَه مِنْ غير إشْراكِ

فكتب إليه صاحبُ التَّرجمة بما قرأته بخطه.

خُلقُكَ بدرَ الدِّين مثلُ الظِّبا ... فَدَيْتُهُ مِنْ لُطفه بالمُقَلْ
قد جُبِلَ النَّاسُ على حُبِّه ... حتَّى عَجِبْنَا مِنْ لطيفٍ جبلْ

وكتب إليه بقوله على طريقة تفْعُلا:

أُنَزِّهُ طرفي في محاسِنِك التي ... أُنَزِّهُه عمَّا سواهُ وإن زها
وما رُمتُ عنها أيها البدرُ سُلْوَةً ... وعن غيرها طرفي وفيها تنزَّها

فأجابه البدر: .....

..... [1] فتولّها

وكتب إليه البدرُ بقوله:

حمى [2] ابنُ عليٍّ حَوْزَةَ المجدِ والعُلا ... ومُذْ رَامَ أشتاتَ الفضائل حازَها
وكَمْ مُشكِلاتٍ مِنْ بيانٍ بفَهْمِه ... يُبيِّنُها مِنْ غير عُجْبٍ وما [3] زها

فأجابه بما قرأتُه بخطِّه:

برُوحِيَ بدرٌ في النَّدى ما أطاعَ مَنْ ... نهاهُ وقد حازَ المعالي فزانَها
أُسائِلُ أن ينْهَى عَنِ الجُودِ كفَّه ... وها هو قد برَّ العُفاةَ وما نَهى

قال شيخنا: وسمع هذا المجدُ بن مكانس، فنظم على هذه الطريقة بقوله [4]:

أقولُ لحبِّي قُمْ وامْشِ يا مُعذِّبي ... كميسةِ خُودٍ نكَّسَ السُّكْرُ راسَها
ولا تسر عن شيء إذا ما حَكيتَها ... فقام كغُصْنِ البان لِيناً وماسَها

[وكتب إليه البدرُ أيضاً] [5] بقوله وقد تفرَّجا في الجيزة:

لجيزة مصر يا أبا الفَضْل سِرْتَ بي ... فذكَّرتني مِنْ طَيِّب العَيْشِ ما مضى

---

(١) بياض في الأصول.
(٢) في (أ، ط): «حوى».
(٣) في (ب): «ولا زها».
(٤) في (أ، ب، ح): «فنظم على هذه الطريقة وآخر بيته الثاني (وماسها)» ولم يرد البيتان فيهما.
(٥) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

وأبْدَيْتَ في ذاك الفضاءِ فضائلاً فطِبْتُ ولم أبْرَحْ أميلُ إلى القَضَا

فأجابه بقوله الذي نقلتُه مِنْ خطه:

شهدتُ بأني عَنْ عُلاك مقصِّرٌ وأنَّك بدرٌ بالجميل تَطَوَّلا
وأهدي فلاحاً في الفلالي مُنَعَّما فلا زالَ في الحالَيْن يَنعَمُ بالفلا

ولما ولي قضاء المالكية بالإسكندرية، كتب إليه صاحبُ التَّرجمة يهنئه:

تهنَّ ببدرِ الدِّين يا مَنْصِبَ القَضَا وسَلْ في بقاه أن يدوم[1] إلهَهُ
فقد حُزْتَ منه أيَّدَ الله حكمه وخلَّد في الدُّنيا عُلاه وجاهَهُ

وكذا هنأه المجد ابن مكانس، فقال:

أمولاي بدرَ الدِّين هُنِّئْتَ منصباً سما بِكَ في أُفُقِ العُلا وتزيَّنا
وسار يساراً خَوْفَ شؤمٍ بذي الأذى ولكنَّه لمَّا رآك تيمَّنا

وكتب إليه العلاَّمةُ البدر أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن سلامة المارديني الحنفي نزيل حلب يستدعي منه تقريظاً على تصانيف له بقوله[2] الذي سمعه منه أخوه البدر أبو محمد الحسن، وكتبه عن الحسن صاحبُنا النَّجمُ بن فهد الهاشمي:

لبَدْرُ سنا عليَاكَ أبهى مِنَ الدُّرِّ وطلعتُك الزَّهراءُ كالكوكَبِ الدُّرِّي
مُحَيَّاكَ بدرٌ بالجمالِ منوَّرٌ ويُمنَاكَ بحرٌ بالجميل مَعَ اليُسْرِ

---

(١) في (ط): «يديم».

(٢) في «المختصر» للسفيري بعد هذا:
قلت: وبيض له السخاوي في «الجواهر والدرر» في النسخة التي انتخبت منها، وكأنه لم يقف عليه حال التصنيف للجواهر، وتبعته في التبييض، ثم إني رأيت أواخر سنة ٩٣٩ هذا الاستدعاء والتقريظ بخط بعض أهل العلم، فنقلته هنا، فقال... ثم أورد الشعر.

جنابُك محروسٌ وجدُّكَ صاعدٌ ... وقولُك مقبولٌ لدى النَّهْي والأمرِ
وطلعتُك الغرّاء شمسٌ مُنيرةٌ ... وهِمَّتُك العَلياءُ في الأنجُمِ الزُّهرِ
جمعت العُلا والجُودَ بعد تفرُّقٍ ... وفرَّقْتَ شَمْلَ المالِ يا طيِّبَ الذِّكرِ
وذِكْرُكَ في شرْقِ البلادِ وغربها ... كمِسْكٍ ذكيٍّ نشرُه طيِّبُ النَّشْرِ
وإنَّ زماناً أنتَ فيه رئيسُه ... لأيَّامُه بالخيرِ باسِمَةُ الثَّغرِ
أطالبَ حلَّ المشكلات فلُذْ بِمَنْ ... بديهتُه تُبدي الصَّوابَ بلا فِكرِ
له نُورُ علم كاشفٌ كلَّ غَيْهَبٍ ... فلا زالت الطُّلاّب في نوره تسري
وألفاظُه الدُّرُّ الثَّمينُ نفاسةً ... ولا غروَ أنَّ الدُّرَّ مِنْ لُجَّة البحرِ
وفي علم تفسير الكتاب «مجاهدٌ» ... وفي الفقه والأصلين مجتهدُ العصرِ
ويروي أحاديثَ الرَّسولِ بِشَرْحها ... وكم ناقلٍ يروي الحديث وما يدري
وفي النَّحو أضحى سيبويه زمانه ... يزيدُ على زيدٍ ويعلو على عَمْرِو
بديعُ معانيه جلا ببيانِه ... بتلخيص أبحاثٍ أدقّ مِنَ الشَّعرِ
وفي الجدّ والبُرهان أبدى عجائباً ... يحارُ ابنُ سينا عندها وأبو نصرِ
وأوضحَ في علمِ الحسابِ دقائقاً ... مقابلة يوماً لقد فاز بالجبرِ
له في عَرُوضِ الشِّعر أيدٍ تطاولت ... فخلاً خليلاً عندها وأبا عمرِو
أقاضي قُضاة المسلمين وحبرَهُم ... وبَحرَهُمُ الطَّامي وغيثَهُمُ المُثري
يُوالِيكَ بالإخلاص نَجْلُ سلامةٍ ... ويدعو لك الرَّحمنَ في السِّرِّ والجهرِ
وهاك عروسَ النَّظمِ بِكراً زفَفْتُها ... إلى بابك العالي ومنشؤها فِكْري
وما مهرُها إلاَّ شُمُولُ عنايةٍ ... وحُسْنُ قَبُولٍ منك يا طيِّبَ الذِّكْرِ
فإنِّيَ مِنْ بيتٍ له الزُّهدُ والتُّقى ... شعارٌ وفخرٌ بالفضائل لا الشِّعْرِ
ودأبيَ تحصيلُ العلوم وجمعُها ... وتقريرُ أبحاث لها الحَبر يستقري
وكنتُ سألتُ اللَّهَ يجمعُ بيننا ... فجادَ ولم أُزجِ المطيَّ إلى مصرِ
فحقِّقْ رجائي إذا أتيتُ مُدَرْوَزاً ... إلى بابك العالي يا طيِّبَ الذِّكرِ

ولاحِظْ طروساً أودَعَتْها قريحتي ... فنونَ علومٍ شرْحُها في سما يزري
ولكن أُرَجِّي أن يُسَكِّنَ روعها ... بنفثٍ يراعٍ منك في طِرْسِها يجري
فحقِّقْ بفضلٍ منكَ ما قد قصدتُه ... وكُنْ جابراً بالله يا سيِّدي كسري
فلا زِلْتَ في فضلٍ مديدٍ وكاملٍ ... بسيطٍ طويلِ العُمرِ بالعزِّ والنَّصرِ

فأجابه في حالة السَّفر صُحبةَ الرِّكاب السُّلطاني في سنة ستٍّ وثلاثين، وسمعها منه[1] النَّجم ابن فهد بقراءة[2] البقاعي في سنة ثمان وثلاثين بالقاهرة:

بَدَتْ في سماءِ الحُسْنِ تزهَرُ كالدُّرِّ ... منورة تروي الحديث عَنِ الزُّهري
بديعةُ حُسْنٍ قد سَبَى وجهُ طِرْسِها ... القلوبَ ورَقْمُ النَّقْشِ كالخال والثَّغرِ
رقوم[3] سطور في طُروسٍ تحيَّرت ... أُعَوِّذُها بالفجرِ واللَّيل إذ يسري
وفي طيِّها ما عبقَ الأفقَ نَشْرُه ... فيا حُسْنَ ما طيٌّ ويا طِيبَ ما نشري
ولا عجبٌ مِنْ دُرَّةٍ مثلَ زهرةٍ ... إذا ما أضافوها إلى البحر والبدْرِ
تفاءلْتُ إذ وافَتْ مِنْ ابن سلامةٍ ... نهارَ رحيلي بالسَّلامة والنَّصرِ
إمامٌ له في المجد بيتٌ قد اغتنى ... به عن بيوت الشَّعر فضلاً عَنِ الشِّعرِ
وبالبحر يدعُوه الصِّحَابُ لعِلْمِه ... وبالرِّفْقِ بالطُّلاب يُنْعَتُ بالبَرِّ
إذا ما نحا نَصْبَ البحوث ترَفَّعَتْ ... له هِمَمٌ لم يخشَ يوماً مِنَ الكَسْرِ
مباحثُ في الأصلَيْن وافَتْ لسامعٍ ... وذي نظرٍ يُبدي أدقَّ مِنَ الشَّعرِ
لو أنَّ خطيبَ الرَّيِّ يخطُبَ بِكْرَهَا ... ليحظى لزادَت في الفَخَارِ على الفَخْرِ
وفي الفقه والتَّفسير والخَبَر الَّذي ... يصحُّ لقد أربى العيان على الخبرِ

---

(١) هكذا كانت في (ح)، ثم غيرها أحدهم، فأصبحت «وسمعها الحافظ...» وكتب غيره في الهامش: «الظاهر أنها كانت «صاحبنا»، فأبدلها بالحافظ كعلامة. قبيلُه الله!.

(٢) عُدِّل مكان هذه الكلمة في (ح)، فأصبحت «الهاشمي» وعُلِّق على ذلك في الهامش «موضع الهاشمي مُصلح بافتتاته. قبيله الله!.

(٣) في (ب): «رقم».

وأمَّا تفاعيلُ العَرُوضِ فطبعه السَّـ ... ـليم بها يُغني عَنِ الخوض في البَحْرِ[1]

وقد رامَ تقريظي تصانيفه الَّذي ... تضاءل عمرٌو عندها وأبُو عَمرِو

وزيدٌ وبكرٌ والخليلُ وثعلبٌ ... ويحيى وعبدُ القاهر الحبرُ والخبري

وماذا عسى فكري يطيع لواجب الـ ... ـمديحِ[2] وما قَدْرُ الشِّهاب مِنَ البدرِ

ولا سيَّما مَعْ غُربةٍ وفُراقِ مَنْ ... ألِفْتُ وقد مُدَّت إليَّ يدُ القَهرِ

وقد كنتُ مِنْ مصر بكيتُ تعتُّباً ... فلمَّا تغرَّبنا بكيتُ على مِصْرِ

فلم يأت ما أرضى ولم أرضَ ما أتى ... ولكن تعوَّدنَا بطاعة ذي الأمرِ

ونزرتُ لأعيا بل الذِّهنُ لا يعي ... لتقسيمه فأفصِحْ[3] أخا الحكم عَن نزري

فهذا لعمري الجهدُ منِّي بذلتُه ... ولكن سأقضي الدَّين إن مُدَّ في عُمري

عبرتُ زماناً والقَريضُ يُطيعني ... فيا ليتَ شعري هل يُضيء سنا شعري

فقد لاح عُذري يا إمامَ زمانِه ... وفُرْقَةُ إلْفِي علَّمتني الهوى العُذري

ورفقةُ قومٍ صار ذو الفَضْل فيهمُ ... وأبناءُ أهلِ الجهلِ سيَّان في القَدْرِ

جنيتُ على نفسي بتقليد أمرهم ... فلم أجْنِ تمراً بل تحيَّرتُ في أمري

ولكنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بالله حفَّني ... فداركني اللُّطفُ الخفيُّ ولا أدري

لك الحمدُ في الأولى والاخرى وإنني ... عليه اعتمادي في السَّريرة والجهرِ

ومنه على خير الأنام محمَّدٍ ... صلاةٌ وتسليمٌ وبِرُّ إلى برّ

ولا زال بدرُ الدِّين يُشرقُ نورُه ... على طالبي العلم الشَّريف مدى الدَّهرِ[4]

وكتب إلى الزَّين أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن علي، المدعو بزين الخوافي لمَّا قدم القاهرة:

---

(١) في (ط): «يغني عن الحصر»، خطأ.

(٢) في (ط): «المدح».

(٣) في (ب، ط): «فاصفح».

(٤) هذا البيت لم يرد في (ب).

قَدِمَتَ لمصرَ يا زَيْنَ المعالي فوافتها الأماني والعوافي
وما سَرَتِ القوافلُ مُنذ دهرٍ بمثل سَري القوادِم بالخوافي

فأجابه الزين المذكور بقوله:

أيا مَنْ فاق أهل العصر[1] فضلاً وعلماً بالحديثِ بالاعترافِ
تقدَّسَ سِرُّكَ الصَّافي فأحيا مِنَ الآثار مُنْدَرِسَ المطافِ
سألتُ الله أن يبقيك حتَّى تفيضَ على القوادِم والخوافي

وأجابه أولاده أيضاً، لكن أحسنُهم جواباً ولدُه إسماعيل، فاقتصرت عليه، فقال:

أقمتَ بمصر يا صدرَ الأعالي وصِيتُكَ في العوالمِ غيرُ خافي
وزيَّنْتَ الورى جيلاً فجيلاً فشرَّفْتَ القوادِمَ والخوافي

ثم بدا لي كتابةُ الجميع، فقال ولدُه الآخَرُ إبراهيم:

شهاب المجدِ مِنْ شَرَفٍ وقَدْرٍ علا مُسْتَغْنياً عَنْ إتّصافِ
محيطُ العلمِ طَوْدُ الحلم حقّاً له الفضلُ العظيمُ بلا خلافِ

وقال ولده الآخر محمد:

أيا مَلِكَ العُلا شمسَ المعالي ضياؤُكَ للورى كافٍ ووافي
بنورك[2] قد تجوهر كلُّ جسمٍ بعارِضِ جودِكَ ارْتَوَتِ الفَيافي
بنظمك قد نَثَرْتَ مِنَ اللآلي على الآفاق وأظْهَرْتَ الخَوافي
بقيتَ لمحْوَرِ الإسلامِ قُطباً بذاتك قائمٌ كلُّ العوافي

---

(١) في (ط): «العلم».

(٢) في (ط): «لنورك».

وكتب إليه الشيخ شمسُ الدِّين محمد الهيثمي فيما رأيتُه منسوباً إليه، ولا أتحقَّق هل هو الآتي[1] في المُلغزين[2] أو غيره ـ ما نصُّه:

يا سيداً حفَّني من ذاته شرفٌ ... وعمَّني (من)[3] أيادي جُوده تُحَفُ
الهيثميُّ إلى الباب الكريم أتى ... كالسَّعْدِ يَمكُثُ أو كالهَمِّ ينصَرِفُ

فأجاب:

أهلاً بشمسٍ أتى للفضل يغترف ... إني[4] له بجميع الفضل أعترفُ
ادخل إلى منزلٍ يشتاق رُؤيتكُم ... ومِنْ ثمارِ الهَنا والعِزِّ يقتطِفُ
يا أيُّها الشمسُ يا بدرٌ ويا قمرٌ ... محمدٌ لم يكن في الباس ينصرِفُ

وكتب[5] إليه بعضهم[6]:

ما يقولُ سيِّدي[7] المفتيُ في ... مُهَفْهَفٍ بمقلةٍ كَحْلَى وفي
وأغيدٍ ذو[8] حاجِبٍ سودٍ وفي ... ماذا يقولُ سيِّدي فيه وفي

فأجابه:

وافى الحبيبُ سيِّدي وما تَفِي ... كم عاشقٍ متيَّمٍ قد ماتَ في
بادِرْ إلى وَصْلِ الحَبِيبِ لتَنْتَفي ... عنك الهمومُ وقُمْ إليه وأنتَ في

---

(١) في (ط): «أهو الآتي».
(٢) ص ٨٤٣ من هذا الجزء.
(٣) في ساقطة من (ب).
(٤) في (ط): «إن».
(٥) لم ترد هذه المقطوعة في (ب). وورد مكانهما مقطوعتان ستردان في ص ٨٨٤ ـ ٨٨٥. وقد كانت هاتان المقطوعتان هنا في (ح)، ثم شطب عليهما.
(٦) في هامش (ح) ما نصه: «هو صدر الدين بن العجمي محتسب القاهرة. هكذا أخبرني بذلك الشريف المصري الرسولي».
(٧) في (ط): «سيدنا».
(٨) في (ط): «ذا».

الألغاز

وأمّا الألغاز، ولم أسمع بأسرع منه حلاً لها في عصره، ونُورِدُها ـ أيضاً ـ على حروف المعجم في المُلغزِين أو الملغَز لهم بعد أن نُقَدِّمَ جوابه عَنْ لغزٍ لبعض مَنْ لم يعاصره، وذلك أنَّ البرهان الحلبيَّ الحافظَ بحلب قال: أنشدنا علي بن عيسى بن محمد بن أبي مهدي[1] لابن الجبَّاب الغرناطي مُلغزاً في المِسْك:

كتبتم رُموزاً ولم تكتُبوا ... كهذا الذي سُبْلُه واضِحَهْ
فما اسمٌ جرى ذِكرُه في الكتاب ... فإنْ شِئْتُمُ فاقرَؤوا الفاتِحَهْ
ففيها مُصَحَّفُ معكوسِه[2] ... يَدُلُّ على حالةٍ صالِحَهْ
وليست بغاديةٍ فافْهَمُوا ... ولكنَّها أبداً رائِحَهْ

وسمعها صاحبُ الترجمة [من الشَّمس محمد بن الخضر بن المصري، قال: أنشدنا علي المذكور، وسأله ـ أعني ابن المصري ـ الجواب عنه][3]، فأجاب:

---

(١) في (ب): «علي بن عيسى بن مهدي» والمثبت من (أ، ح، ط) ومن ترجمته في «الدرر الكامنة» ٣/ ٩٢ ـ ٩٣، حيث أورد الحافظ ابن حجر فيه هذا اللغز والجواب عليه، لكنه جعل اللغز لشمس الدين محمد بن الخضر الحلبي.

(٢) في (ط) والدرر الكامنة: «مقلوبه».

(٣) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب) وورد في هامش (ح).

قـرأنـا الـكـتـاب جـهـاراً وقـد ... تـبـدَّى لـنـا الـسِّرُّ فـي الـفـاتـحـهْ
وجـدنـاه مِـنْ قـبـل تـصـحـيـفـه ... تُـسـهّـل لـه سُـبْـلـه الـواضـحـهْ
ومـن قـبـلِ تـسـعٍ قُـبَـيْـل «البُـروج» ... يُـرى ثَـمَّ كـالأنـجُـمِ الـلائـحـهْ
وتـغـيـيـر ثـانـيـه مـع قـلـبـه ... ومـع حـذفِـه ثـمّ بـالـرائـحـه

[يشير رحمه الله إلى سورة المطففين، فإن قوله: «ختامه مسك» قبل خَتْم هذه السورة بتسع آيات، وهي قبل سورة البروج، بينهما سورة الانشقاق، وإذا حذفت ثانية، صار «م ك»[1]، فإذا قُلبت، صار «ك م»، فأذا غيرت الكاف بالنون[2]، صار «ن مَّ»].[3]

فمنها ما أجاب به البرهان ابنَ زُقاعة، حيث قال في القمح:

مـا بـيـانٌ ضـمَّـنـتُـهُ شـعـري ... ثُـلـثُـه سـورةٌ مِـنَ الـذِّكْـرِ
ثـمَّ بـاقـيـه نـصـفُ اسـم نَـبـي ... مـرسـلٍ بـالـكـتـابِ والـنُّـذْرِ
عـكـسُ بـاقـيـه سـورة أخـرى[4] ... عـكـسـه كـلّـه مـن الـشَّـرّ

فقال:

خـيـر حَـبْـرٍ فـي الـعـلـم كـالـبَـحْـرِ ... لـغـزُه فـي مـحـرِّف الـبَـرّ
ثـلاثـةُ أحـرفٍ بـلا عـددٍ ... أو ثـلاث مـغـيـبـة الأمـرِ
خـفَّ لـفـظـاً لـكـن بـه ثِـقَـلٌ ... قـد رسـا فـاهُ عـلـى الـبـحـرِ
لـو تَـتَـبَّـعـتُ وصـفَـه أعـيـى ... إنـه قـد زهـا عَـنِ الـحـصـرِ

وكتب إليه العلاَّمة الشِّهابُ أحمدُ الحجازي الصوفي المقرىء في مربَّع:

---

(١) في (أ): «بالله صارمك».

(٢) في (ط): «بالكاف والنون».

(٣) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٤) «أخرى» ساقطة من (ط).

أيا شيخَ الاسلام المعظَّمُ قدرُه ... وقاضي قُضاةِ العصرِ لا زِلْتَ تشرُفُ
ويا عالمَ الأقطارِ يا حافِظَ الورى ... ويا حاكماً ما زال بالعدْلِ ينصفُ[1]
فديتُكَ أي اسم يرادفُ موضعاً ... له غايةٌ في الطُّول والعرض تُعرفُ
وإن شكلَه غيَّرْتَ فهو مُرَبَّعٌ ... وذلك في بعضِ الأماكن يُؤلفُ
ويفضُلُ ربعٌ منه إن زال ربعُه ... وذلك حقٌّ ليس فيه[2] توقُّفُ
وإن زالَ حرفٌ أولٌ ثم آخرٌ ... فباقيه وصفٌ للإله مشرِّفُ
وذا الوصف أيضاً إن عَكَسْتَ بلا مِرا ... يصيرُ اسمُ ربٍّ بالخلائق يرأفُ
وآخره إن تحذِفَنْ صار خُلَّةً ... لشيخِ طريقٍ والطَّريقُ التَّصوُّفُ
إذا النِّصفُ منه مرَّ فاعكِسْهُ بعدَ ذا ... تجِدْ فِعْلَ امرىءٍ وهو من فيك ألطفُ
فإنَّك أولى مَنْ يُرَامُ نوالُه ... ويُقصَدُ للعلمِ الشَّريف فيُسْعِفُ
حسابي صحيحٌ حيثُ بالجَبْر[3] سيدي ... يُقابلني مِنْ بعد كسري ويُنصِف
فكم[4] جئت مكسوراً مضافاً لنحوهِ ... فيُعربُ عن تمييزِ حالي ويَعْطِفُ
ويفرق ما بيني وما بين عُسْرَتي ... وبين يميني واليَسَارُ يؤلّفُ
فإن شبَّهُوا بالسُّحب والبحرِ كفَّه ... قُلِ السحب تبكي منه والبحر يرجُفُ
فعن سقطاتي فاعفُ وانظُر تكرُّماً ... بعينِ الرِّضا إنِّي له أتشوَّفُ
وأغْضِ وسامِحْ عَنْ مُصابٍ بعقله ... فحلمُك[5] يُنبي أنَّكِ اليومَ أحنَفُ
ودُم وابقَ ما دامَ السُّها في رعايةٍ ... بك الله يا بحرَ المكارم يلطُفُ

فأجابه:

---

(١) في (ط): «يوصف».
(٢) ساقطة من (ط).
(٣) في (ط): «بالخبر».
(٤) في (أ): «فلو».
(٥) في (أ، ط): «فحكمك».

ألا يا شهاب الدين نورُك مشرقٌ ... وأنت على العلياء بالفَضْلِ مُشْرِفُ
وبالقلب للبرقِ اليماني تألُّقٌ ... وللطَّرف بالنُّور الحجازي تألُّفُ
نظَمْتَ عُقوداً مِنْ لآلِ تحرَّرتْ ... فرَقَّت سلوكاً راق منها التصوُّفُ
فلا شمسُها تعشى برَيْنِ سحابةٍ ... ولا بدرُها يُخشى عليه التَّكلُّفُ
وما أظرفَ المعنى الذي ألغزْتَه لي ... بظرفِ مكانٍ مِنْ ذوي الظَّرفِ أظْرَفُ
فذكَّرني عهداً لدارِ أحبَّةٍ ... يطيبُ بها عيشُ اللَّبيبِ ويلطُفُ
غنَيْنا بها معهم مصِيفاً ومَرْبَعاً ... وطابَ لنا بالوَصْل مَشْتَى ومخَرفُ
فأسْلمنا ذاك النَّعيم إلى نَوَى ... بأسهُمها في أعيُن الوصل تقذفُ[1]
ألا هَلْ إلى تلك المعاهد رجعة ... يُنجِزُ مِنْ وَعْدِ المُنى ما يُسَوِّفُ
فيا خاطري دع ذكرها واسْعَ طيِّعاً ... إلى حلِّ لغزٍ كم عليه تطوّفُ
يلُوحُ بأقطار الحجاز محرَّفاً ... لمكَّة تنصيفاً وينبُع يألفُ
إذا لامُه زالت وحاجَيْتَ بعدما ... تُصَحِّفُه يبدو سحابٌ مؤلَّفُ
وحاجِ وصحِّفْ واحذف الفاء عاكسا ... تجده كما قدَّمْتَ لا يتخلَّفُ
وأحرفُه في الأصل عُدَّت ثلاثةً ... وأربعةٌ نُطْقاً وخطّاً تصرّفُ
وتبلغ إن تُضْرَب ثلاث مئينَ بل ... وزد عَشرةً واثنين فالضَّرْبُ يكشِفُ
وإن رُحتَ تبني منه وزْنَ محمَّدٍ ... تَجِدْ رجُلاً في الدَّهر بالحِفَظ يُوصَفُ
وصحِّف قسيمَيْه تجد نسبةً زهت ... يلوح بشَطْرَيها إمامٌ مصنِّفُ
كصاحب «تهذيب الكمال» مذكراً ... ونسبة محيي السُّنَّة النَّدبُ يعرفُ
فهذا جوابي بعد لأيٍ ولفظُه[2] ... لكثرة شُغلي لاحَ فيه تكلُّفُ
بقِيتَ بِدُرِّ اللَّفظ مِنْ غير منتهى ... تَشَنِّفُ سمع المبتدي وتُشرِّفُ

---

(١) هذا البيت لم يرد في (ب) حيث أضافه المصنف بخطه في (ح).

(٢) في (أ): «وحفظه» تحريف.

وكتب إليه المجدُ إسماعيل بن إبراهيم الحنفي ـ أحدُ شيوخه ـ لغزاً على قافية العين. . . . . [1].

وكتب إليه الرضي أبو بكر بن أبي المعالي الزَّبيدي النَّاشري بقوله:

حبيبي في لباب القلبِ منِّي ... إذا ما آخراً صحفتُ منهُ
لقد أعربتُ عنه فيا مَنْ ... فاق في فهمِ المعاني فاعرِفَنْهُ

فأجابه:

لك الرَّأيُ الرَّشيدُ بحبِّ بدرٍ ... إذا سفرَ استضاءَ البدرُ منهُ
تأمَّلْ نورَه بالقلبِ تجلى ... على الرَّسم الذي ما حِلْتَ عنهُ

وبقوله:

ما كنتُ أدري قَبْلَ طَعْم الهوى ... أن هواكم فيه ذمٌّ كثيرْ
فاعرِفْ محلَّ اللُّغْزِ يا سيِّدي ... وصحِّفِ الثُّلثَ توفه شهيرْ
ومثل ما يبقى فخذه وجُدْ ... بالعكْسِ والتَّصحيفِ تَلْقَ الخَبيرْ

فأجابه بقوله:

دُمْ، حَمْدُ[2] ما تأتي به واجبٌ ... له مِنَ القلبِ محلٌّ كبيرْ
وعشتَ في عزٍّ لعمري لقد ... أزْرَيْتَ بالفاضل وابنِ الأثيرْ
عجبتُ مِنْ لغزك لمَّا غدا ... محمداً كم فيه ذم كثيرْ

وأجابه أيضاً بقوله:

---

(١) بياض في الأصول مقداره سبعة سطور. وقد أشار الحافظ ابن حجر في ترجمة المجد إسماعيل من «المجمع المؤسس» ١/ ٤٦١ إلى هذا اللغز، حيث قال: لقيته قديماً، وطارحني بلغز على قافية العين.

(٢) في (أ): حمدت.

وافى كتابٌ منكَ يا سيِّداً ... ما مثله يُوجَدُ تحتَ الأثيرْ
وفيه ذمٌّ جاء إذ قِستَني ... في النَّظم بالفاضل وابنِ الأثيرْ
فما رحبُ الخدمة عندي لكُم ... وكان عندي الوِدادُ المنيرْ

وكتب إليه الحافظ الصلاح أبو الصَّفاء خليل بن محمد الأقفهسي قوله ملغزاً في سكين:

يا سيداً عن علاه ... كُلُّ الأفاضِلِ قُصّرْ
صحّف وأنت المفَدَّى ... مثالَ منزلِ قَسْوَرْ

فأجابه:

لك الكلامُ رقيق ... والنَّظمُ منه محرَّرْ
فاذبَخ بلُغزِكَ مَنْ قَدْ ... غدا يعاديك[1] وانحرْ

وقوله:

يا أيُّها المولى الذي قد غدا ... بكلِّ وصفٍ حَسَنٍ ظافرا
ما اسمٌ إذا صحَّفتَ معكوسَه ... ممثلاً ألفَيتَه ظاهرا
وإن حذَفتَ الرُّبعَ مَعْ قلبِه ... مثل تجده أسداً كاسراً
ونصفه شبه عِذَارِ الذي ... أمسى عذولي فيه لي عاذرا

فأجابه:

أهلاً بلغزٍ باسِمٍ نعتُه ... كالرَّعد لمَّا أن غدا زاخرا
في اسمِ إذا ما عكسوا سابعٌ ... وإن تبدّل تَرَهُ عاشرا
وسابع التَّصحيفِ بَيْنَ الوَرى ... والقلب منه قد غدا عامرا

---

(١) في (ط): «يشانيك».

بـتْ يـانِـعَ الـقـلـب بـلـغـزٍ زهـا كـالـرَّوْضِ إن صـحَّـفْـتـه زاهـرا

وقوله:

يـا فـريـداً فـي مـعـالـيـه[1] ويـا مَـنْ بـه الـعَـمـاءُ عـنـا تـكـشـفُ
أيـمـا اسـمٍ ثُـلـثُـه حـرفٌ وإن شِـئْـتَ فـاسـمٌ فـي الأسـامـي يُـعْـرفُ
قـلـبـه آخـر تـجـده مـشـبـهـاً حـاجـتـي مَـنْ أنـا فـيـه كـلـفُ
وإذا صـحَّـفـت يـومـاً عـكـسَـهُ تَـلْـقَ شِـبْـهَ الـلَّـحْـظِ لـمـا تـصِـفُ
فـتـبـيَّـنْ حـلَّ مـا ألـغـزتُـه بعد تصحيف[2] فأنت المنصِفُ

فأجابه:

دُمْـتَ لـلآداب تُـحـيـي دارِسَـاً [قد عفا][3] منها ورسماً يُصرَفُ
مـرحـبـاً بـالـلُّـغـز كـالـزَّهـر زَهَـا فـهـو بـالأسـمـاع مـنَّـا يُـقْـطَـفُ
فـيـه مـعـنـى لأُنـاسٍ بـدَّلـوا مـنـه حـرفـاً وأُنـاسٍ صـحَّـفـوا
حـلُّـهُ شـقَّ عـلـى الـقـلـب إذا أهـمـل الـبـعـض مُـحـاجٍ يـحـذفُ
قِـسْـتَ بـالـتَّـصـحـيـف مـا ألـغـزتـه فـبِـذا إذا قَـلَـبْـتَـهُ الـصُّـحْـفُ

وقوله في نصير:

أيُّـمـا اسـم دمـت تـلـقـاه مِـنَ الله مُـعـيـنـا
قـدِّم الـبَـعْـض وصـحِّـف تـبْـصِـرِ الـلُّـغْـزَ مُـبـيـنـا

فأجابه:

فُـقْـتَ فـي الـلُّـغـز سِـرَاجـاً ونـصـيـراً ومُـبـيـنـا

---

(١) في (ط): «معانيه».
(٢) في (ط): «تنصيف»، وهو تحريف.
(٣) ما بين حاصرتين ساقط من (ب) وأضافه المصنف في (ح)، فقال: «العله قد عفا».

obeikandl.com

إنْ نُـقَـلِّـب لـكَ لـغـزاً تـلـقـه نـظـمـاً رصـيـنـا

وقوله:

يـا إمـامـاً[1] لـه الـفـضـائـلُ تُـعـزى وبـحُـسْـنِ الـذَّكـا عـلـيـنـا[2] يـفـوقُ
أيُّـمـا اسـمٍ إذا عـكـسْـتَ وصـحَّـفْـتَ ومـثَّـلـت قـلـت ذا مـعـشـوقُ

فأجابه مُسترسلاً:

إنَّ لُـغـز الـخـلـيـل هـذا حـبـيـبٌ لـذَوي الـفـضـلِ فـيـه مـعـنـى يـروقُ
عُـدَّ خَـمْـسَـاً وعـشـرةً خُـمـسـاه وهـو ذات صَـلًـى إلـيـهـا الـسَّـبـوقُ

وكتب صاحبُ التَّرجمة مُلغزاً للصَّلاح المذكور في «أنس»:

أيُّ شـيءٍ عَـكْـسُ مـعـنـى فـيـك قـد أظـهـرَ فَـضْـلَـكْ
ومَـعَ الـعـكْـسِ فَـصَـحِّـفْ مـنـه شـيـئـاً يـطـرد لـكْ

فأجابه الصلاح:

لُـغـزُك الـعـالـي بـديـعٌ دلَّـنـا أنْ لَـيْـسَ مِـثْـلَـكْ
إنْ حـذَفْـتَ الـبَـعْـضَ مـنـه صـحِّـفِ الـبـاقـي يَـبِـنْ لَـكْ

وكتب إليه شيخُنا أيضاً:

أيُّ شـيءٍ مـوقـع لـذوي الـقَـدْرِ[3] والـغِـنَـا
إن تُـقـدِّمْ مُـصَـحَّـفـاً يـنـجـلـي الـلُّـغْـزُ بَـيِّـنَـا

فأجابه:

---

(١) في (ب): «يا إمام».
(٢) في (ب): «عليه».
(٣) في (ط): «الفضل».

يـــا إمـــامـــاً بـــفـــضـــلِـــه نَـــطَـــقَـــتْ ألـــسُـــنُ الـــثَّـــنـــا
بَـــيِّـــنٌ حـــلُّ لُـــغْـــزِكُـــم بـــعـــدَ تـــصـــحـــيـــفِـــه لـــنـــا

وكتب إليه شيخُنا أيضاً:

يـــا إمـــامـــاً فـــاق فـــضـــلاً مَـــنْ مـــضـــى ومَـــنْ تـــأخَّـــرْ
أيُّـــمـــا اســـم إن تـــبـــدَّل ثـــالـــثـــاً فـــيـــه تـــحـــرّرْ
قـــلـــبـــه فـــي الـــرَّوْضِ والـــجـــسـم بِـــحَـــرِّ الـــبـــرِّ يـــسْـــعَـــرْ
قـــدِّم الـــبَـــعْـــضَ وصـــحِّـــف تـــلـــقَ مـــا ألـــغـــزتُ يَـــظْـــهَـــرْ

فأجابه:

فـــيـــكَ مـــولايَ مـــعـــالٍ ومـــعـــانٍ لـــيـــسَ تُـــحْـــصَـــرْ
حـــبَّـــذا لُـــغـــزُكَ لُـــغْـــزاً جـــاء لـــلـــعَـــبْـــدِ مـــحـــرِّرْ
ثـــلـــثُـــه فِـــعْـــلٌ وبـــاقـــيـــه فَـــحَـــرْفٌ لَـــيْـــس يُـــنْـــكَـــرْ
وإذا مـــا صـــحَّـــفُـــوه قـــبـــل عـــكـــسٍ كـــيـــف يَـــظْـــهَـــرْ

وكتب إليه الغرس خليل بن أحمد بن الغرس[1] (في حليمة)[2].

أقاضي قُضاةِ الدِّين والمشرقِ الذي أضاءَ على الآفاق في الشَّرق والغربِ
ومن قد غدا في العِلْمِ سيفُ لسانهِ يفُلُّ سُيوفَ الخَصْمِ في البُعْدِ والقُربِ
ويا مُفَرَداً فيه الفضائِلُ جُمِّعَتْ بها تَتَثَنَّى في المحافِلِ كالقُضْبِ
ويا فارسَ الإسلام في كلِّ مُشْكِلٍ وموضِحَه بين الكتائبِ والكُتْبِ
ويا بحرَ آدابٍ مِنَ النَّقصِ سالمٌ ويا مُظْهراً عِلمَ الأعاريضِ والضَّربِ

(١) في (ب): «عبد العزيز»، وفي (ط): «الفرس». وهو تصحيف. وانظر الضوء اللامع ٣/١٩١، حيث أشار إلى هذا اللغز.

(٢) ساقطة من (ب).

ويا مالِكَ الأوزان والنَّظم بالوَلاَ ... ووارِثَها دُونَ الفضائل[1] بالغَصْبِ
فديتُك، ما اسمٌ واحدٌ وهو خمسةٌ ... تسمَّت به مَنْ بالبَها سلبَتْ لُبّي
وقد لَبِسَتْ منه ثلاثاً لزينَةٍ ... وقلب الذي أبقته مِنْ ذاك في قلبي
وأوَّلُ حرفٍ منه إن حلَّ رابعاً ... ورابعه[2] في وصفها أوَّلٌ ينبي
وإن شِئْتَ يا مولاي فاقلِبْ حُروفَه ... ترى اسماً وفعلاً إن نأت أوحبا كربي
هو الاسمُ ذو مجدٍ قديمٌ حديثُه ... وإنقاذُه مِنْ غاية الجَدْبِ للخِصْبِ
ففسِّره لي لا زلتَ تعلو وترتقي ... ونورُك للسَّارين يسمو[3] على الشُّهْبِ
وعِشْ آمناً في ألْفِ خيرٍ ونِعْمَةٍ ... وحاسدُكَ التَّعبان مُؤذنُ بالحربِ
على هامة الجَوْزاءِ تحبس صاعداً ... وشانيك يهوي نازِلاً أسفلَ التُّربِ
لتُعرب بالحُسْنَى لمَن نحوَك التجا ... وترفعُه في حالةِ الخَفْضِ والنَّصبِ

فأجابه:

أمولايَ غَرْسَ الدِّين والفاضلِ الذي ... لـه ثـمـر الآداب دانيـةُ الـهُـدْبِ
ومَنْ لاح حتَّى في ذُرى الشَّرقِ فضلُه ... فأجرى دُموعَ الحاسدين مِنَ الغَرْبِ
وليَّن عاسِي اللُّغزِ مِنْ بعد يُبْسِه ... فصَيَّره بالنَّظم كاللؤلؤ الرطبِ
وأتحفني مِنْ لُغزِه باسمِ غادةٍ ... لها شرفٌ في مُطلَقِ الشَّرَفِ النِّسبي
ليهن بني سعدٍ[4] مكان فتاتِهم ... فذلك أولى من ليهن بني كعبِ
فتلك هَناها بالقُعُودِ بمرصَدٍ ... وهذي هَناها بالقيام على الحبِّ
وكانت قديماً بالحجاز ديارُها ... وجاورَتِ المقياسَ في مِصْرَ عَنْ قُربِ

---

(١) في (ب، ط): «الأفاضل».
(٢) في (ط): «وأربعة»، تحريف.
(٣) في (ط) «يعلو».
(٤) في هامش (ط): إشارة إلى أم معبد وما قاله أهل [العلم] فيها والقصة معروفة.

وعهدي بها[1] تُصْبي المحبَّ فينثني ... بذِلَّتِه في عزها مثل مَنْ تسبي
مليحةُ طَرْفٍ دارةُ البَدْرِ دارُها ... حليمةُ قَلْبٍ إن أسكنت[2] هجرها قلبي
خُماسيَّةٌ لكنها بِنْت عشرةٍ ... وثِنْتَين عندَ العارفين ذوي الحَسْبِ
وقد قيل: بل تسعينَ بعد ثلاثةٍ ... على رأي قَوْمٍ مِنْ أولي العلم بالكُتْب
بتحويل ثانٍ منه مع حذفِ خامسٍ ... يصيرُ حكيماً عنده آلةُ الطِّبِّ
ثلاثة أخماس اسمها عُدَّها متى ... تُصَحِّف وكَمِّلْ مثل[3] قولِ امرىءٍ حسبي
وإن لم تكمل تلتَقيه اسمَ بلدةٍ ... إذا وصفُوها فهي واحدة الشُّهب
وحاجٍ وصحِّفْ مرَّتين مرتِّباً ... لكيْمَا يعودَ الوصفُ مرتَفِع الحُجْبِ
وإنْ شِئْتَ أبْقِ اللامَ مع حذفها يَلُحْ ... إذا أنت أمعنتَ التَّفكُّر بالقَلْب
وصحِّفْه أيضاً عاكساً تر نازلاً ... مِنَ الأُفُقِ الأعلى يكونُ في السُّحبِ
وفي رأس مَنْ قَدْ قيل فَضْلَةُ آدَم ... وبلدة عُجمٍ حازها فارسُ العُرْبِ
بِحَاميمَ عوذ جانِبَيها مذكّراً ... وباقيه لي فيه امتحانُ ذوي اللُّبِّ
فهذا جوابي مع شواغلَ تقتضي ... ليَ البُطْءَ فاعذُرني وخفِّفْ مِنَ العَتْبِ
يُلبِّيكَ لُبِّي حينَ تدعُو فمن يَقُلْ ... تُرى مَنْ أجاب الألمعيَّ أقل: لُبِّي

وكتب ـ فيما نقلته مِنْ خطِّه ـ لقاضي القضاة جلال الدين البُلقيني مطارحاً، في سنة إحدى عشرة:

أسيِّدنا قاضي القُضاة ومَنْ غدا ... يقصِّرُ عن علياته[4] في العُلا البَدْرُ
ومَنْ لاح مثلَ الصُّبح نورُ جلالِه ... فضاءَ به واديه وافتخرَ العصرُ

---

(١) ساقطة من (ط).

(٢) في (أ، ب): «سكن»، وكذا كانت في (ح)، ثم أصلحها المصنف في الحاشية.

(٣) في (ط): «منه».

(٤) في (أ): «غاياته».

ويا أيُّها البحرُ الخِضَمُّ لعلمه ... وللرِّفق بالطُّلاب يا أيُّها البَرُّ
أبِنْ لي رعاك الله لا زلتَ كاشفاً ... لمُعضلةٍ تبدو ومشكلةٍ تعرو
عن الحكم في أنثى أتت مع ثلاثةٍ ... إلى حاكمٍ عَدْلٍ عفيفٍ له قدرُ
فذا قال: ذي[1] بنتي، وهذا حليلتي ... وذا أَمَتي والكلُّ قال: أنا حرُّ
فأنكرتِ الدَّعوى وقالت: جميعُهم ... عبيدي وفي رقِّي أقامهُمُ الدَّهرُ
وبيَّن كلٌّ ما ادَّعى فتعارَضَتْ ... على الحاكمِ الدَّعوى وقد أشكلَ الأمرُ
فمن يفصِلُ الحُكْمَ بالحقِّ بينهم ... جهاراً فحقّاً عنك لا يختفي السِّرُّ
فلا زِلتَ محمودَ القضايا مؤيَّداً ... يُقصِّرُ عَنْ أوصافِكَ النَّظمُ والنَّثرُ

فأجاب، ومن خطه ـ أعني المجيب[2] ـ نقلت:

أحافِظَ هذا العصر يهناكُمُ البِشْرُ ... بجمعِ علومٍ فاح مِنْ طيِّها النَّشرُ
حوى صدرُك الميمونُ فيها معارِفاً ... ففاضت به الأنوارُ وانشرح الصَّدرُ
فأوضَحتَ للطُّلاب منها معادناً ... فدامَ لك التَّسهيلُ والخير واليُسرُ
جَمَعْتَ فُنوناً مِنْ علومٍ مُهِمَّةٍ ... فما نِسْبَةُ الأفنان، ما النُّورُ ما الزَّهرُ؟
فأنت سليلُ العارفين وحافظٌ ... لسلسلةِ الإسنادِ بينَ الورى ذُخْرُ
عليمٌ بعلمِ الشَّرع حاوٍ أصولَهُ ... بنظْمِكَ في الألغاز يفتخِرُ الشِّعرُ
وإنَّ التي جاءت تُحاكم مَن غدا ... يخاصِمُها قد أوثقَتْهُم ولم يدروا
فإنَّ النِّسا ـ قد قيل ـ يغلِبُ كفرُهُم ... وليس لذي لُبٍّ على أمرهم أمرُ
وإنَّ أباها صار في ذُلِّ رقِّها ... بعزِّ الولا فازت وصارَ لها ذكرُ
وفازت برقِّ للحَليلِ مؤبَّدٍ ... وليس له طُولَ المدى جهرةً سرُّ
وفازت بإسقاطِ لبيِّنَةِ الذي ... يُحاول إرقاقاً فليس بها ضُرُّ

---

(١) ساقطة من (ب).

(٢) في (أ): «المحب»، تحريف.

فهذا الذي قد بان مِنْ فتحِ ربّنا ... وفي نظمِه يُبْسٌ وعندكُم السُّتْرُ

وكتب أيضاً إليه:

يا سيدي قاضي القضاة ومَنْ له ... حِلْمٌ تَذِلُّ له رواسي يذبُلا
يا مِفْضَلاً عظُمت مواهِبُه فكم ... وافى إلى الطُّلاب منه مِنْ إلى
يا عالماً[1] قد كُمِّلَتْ أوصافُه ... في عصره وسواه ليس مُكمَّلا
العلمُ والنَّسبُ الكريمُ المجتبى[2] ... والحُكمُ والكرمُ العميمُ المجتلى
ماذا تقولُ[3] أعزَّك الله الذي ... لم يُخْفِ عَنْ تحقيق فكرك مُشكلا
في نكتة لم يُختَلَفْ فيها وقد ... كادت تخالِفُ نصَّ وحي أُنْزِلا
عدلان إن شهدَا ولم يُستشهَدا ... قُبلا وإن يُستشهدا لم يُقبلا
والفَرْضُ أنَّ الأمرَ أمرٌ واحدٌ ... والحقُّ لامرأةٍ تؤولُ إلى القلى
فأبِنْ ـ رعاكَ الله ـ مُشكِلَها ودُمْ ... في كلِّ حينٍ مُنْعِماً مُتَفَضِّلاً

فأجابه بما نقلته مِنْ خطه أيضاً:

يا حافظاً نال المعاليَ كُمِّلا[4] ... وغدا لمن يَبْغي العُلومَ مؤمَّلا
حَفِظَ الأصولَ مع الفُروع ونحوُه ... علمٌ لأهل العلم أضحى مَعْقِلا
لله درُّكَ مِنْ إمامٍ حافظٍ ... للسُّنَّة الغراءِ أصبحَ موئلا
وكذا بفقهِ محمَّدٍ أفكارُه ... وبحُوثُه أبكارُه لَنْ تُجتلى
ألغازُه طُرَزُ المحافل في الورى ... فاقت ببهجتها الجواهِرَ والحَلى
منها اللَّذان إذا يُقالُ ألا اشهدا ... مُنِعَا وإن بَدَءا بذا لن يُهملا

---

(١) في (ب، ط): «عاملاً».
(٢) في (ط): «المجتنى».
(٣) في (ط): «أقول».
(٤) في (أ): «كلّها».

فَهُما اللَّذان على الرّضاع وفُرْقَةٍ وسقوط قَذْفٍ للأصول تحمَّلا

هُنِّيتَ بالإفتاءِ والتَّدريس والعلم الـ ـذي أضحى عليك مُسَهَّلا[1]

وكتب إليه الزَّين عبد الرحمن بن محمد بن سلمان بن الخراط، فيما قرأته من خطِّه ملغزاً في البنكام[2]:

ما قول الإمام أحمد، المبْعُوث إلى أهل البلاغة بالإعجاز، والمحلَّى بعقُود حِلَةِ أجياد الألغاز، في اسم خماسي تشابه ـ كمسمّاه ـ طرفاه، شقَّ الصائغُ القدير في وسطه فاه، وأنطق[3] لسانه بخفيِّ الأسرار. والعجبُ أنَّه يهدي إلى الجنَّة وهو مِنْ أهل النار، وأعجبُ مِنْ ذا أنه خفيٌّ ظاهر واقف، وقلبُه في الملكُوتِ سائر، قائمٌ في خدمة ربِّه لا يعرف الهُجود، ملازِمٌ الخَمسَ، لكن مِنْ غير ركوع وسجود. كم حجَّ مُحْرِماً إلى بيت الله الحرام، وعاد منه وما أحلَّ عَنِ الإحرام، لا تعرف منه الأهلَّة، وكونه عليه مِنْ أوضح الأدلة وما وجب عليه، وقد وجب أن هذا مِنَ العجب. هذا وهو صاحبُ الوقت مِنَ الصَّالحين الأبدال، كم قطع مسافات، ولم يبرَحْ مكانَه، متقلِّبُ الأحوال مِنْ ذوي الكشف عن الأمور الخفيَّات، مِنَ الذين رفع الرَّافعُ الخافض[4] بعضهم فوق بعض درجات، يخبِرُ بما حواه الليلُ والنهار بكشفه، لا بحَدْسِه، لكن لا يعلمُ ما في نفسك وأنت تعلمُ ما في نفسه، صُحبَتُه هدايةٌ إلى الخير وغبطة، ما فيه من عَيْبٍ، سوى أنَّه يقول بالنُّقطة، لطيفُ الشَّكل، حلوُ الوصل، للرَّقيب محبوب، لا يقَرُّ له قرارٌ حتَّى يستوفي المكتوب. خفيفٌ له رِدْفٌ ثقيل وجسمٌ رقيق، وصورتُه ـ يا مفتي الفرق ـ فرعان، بينهما فرْقٌ دقيق، كلاهما وهَّابٌ لا يمسك، وسخِيٌّ لا يملك، بين تعب وراحة وكدٍّ واستراحة، يُعطي ويأخذ، لا وجوداً ولا عدماً، حرفان

---

(١) في (ب): و«مختصر السفيري»: «ميسراً ومسهلاً» وكذا كانت موجودة في (ح) ثم شطبت.

(٢) البنكام: الساعة الرملية.

(٣) في (أ): «وانطلق».

(٤) في (أ): «الحافظين»، تحريف.

أجوفان، معطوفٌ ومعطوفٌ عليه، إذا خفض[1] أحدهما، كان ما في ضمير المنصوب مجرور بالإضافة إليه ثَنَوِيٌّ، وربَّما يقول بالتثليث، مذكَّرٌ ويُوصَفُ بالتَّأنيث، بِكْرٌ عوانٌ رقيقةُ الجسم، أخشى عليها أن تتصدع من النسيم وريحه، أحصنت فرجَها ونفخ الصانع المقدِّر فيها من رُوحه. حُبلى، والدها في أحشائها هو الولد، يتردَّدُ في بطنها ولا ينقضي لتردُّده أمد، فما استقرَّ نزولُه إلا ودنا تَرْحالُه، ومِنْ عجبٍ أنَّه في ساعة واحدة حملُه وفصاله. نمَّام يُفشي السِّرَّ الذي استودعه جنابه يضيقُ به صدرُه، فينطلق لسانه، والعجبُ أنَّه ليس بكافر، وقد أُصلِي النَّار، وعَقَدَ مِنْ بعدها في خصره الزُّنَّار، شدَّ لاستيفاءِ الأجل المحتوم حيازيمه، لكن لنفسه دارانِ يسيرُ بينهما الهُوينَا بغير عزيمة. جامدٌ لم تزل نَفسُه سائلة، وصورتُها في جسده رأي العَيْنِ ماثلة، بُرْجٌ ناريٌّ نَجْمُ الرَّجم به سيَّار، ذو جسدين يتقلَّب[2] بالليل والنهار، وهو - يا رُحْلَة المحدِّثين - أبو قلابة صحيح الأخبار. وهو - يا زاكي الأصول - مقيَّدٌ، والمطلقُ فيه مُوثِقُ الإسار، فاعجب له - يا فصيحَ المنطق - مِنْ موضوع محمول، وأطرِبْ به - يا شاعر العصر - مِنْ مقطوع موصول، وهو - يا خليلَ العَرُوض - مجمَعُ البحرين، مقتضبٌ وكاملٌ لم يزل مركَّبٌ مِنْ دائرتين، يخرُجُ من بينهما إذا حرّكت الرَّمل، فاعجب لهما مِنْ دائرتين موصولتين، يخرج منهما بالتَّقطيع المنسرح، والمديد والمتدارك والسريع، أوضحتُه وإن خفي عنك - وحاشاك - معناه. فالله يعلم مِنْ كلٍّ منك ومني ومنه متقلَّبه ومثواه، والحمد لله.

فأجابه بما نقلته من خطِّه.

الحمد لله الذي يُخْرِجُ الخَبْء في السَّماوات والأرض، والصَّلاةُ والسَّلام على المصطفى المتطوِّل على أولي التَّقصير بالشَّفاعة يوم العرض.

أما بعد، فقد وقفتُ على لغزٍ أقعدَ المعارض - ولو كان مِنْ أكبر صدرٍ

---

(١) في (أ): «حفظ».

(٢) في (ب، ط): «منقلب».

ـ عجزاً، وتذللت مترفعاً لحرِّ كلامه ليُسفِرَ عن وجهه، فما ازدادت قوَّةُ لفظِه إلا جلالةً، ولا جود[1] معناه إلاّ عزّاً، ورمتُ افتتاح مغلَقِه، وقد أعيى الأُساةَ علاجُه، وأمعنتُ النَّظر الأعشى فيه، إلى أنْ صرتُ كأني أنظرُ إليه مِنْ وراء زُجاجة، فامتلأ الطَّرْفُ لذلك نوراً والقلب سروراً، وثبت عند حاكم الأدب أمره، كان ذلك في الكتاب مسطوراً، فإذا به وصف خديم، لأهل الطاعة مديم، لمحبة السُّنَّة والجماعة كريم، ربّما آثر بجميعِ ما عندَه في ساعة، بل في ثُلث أو سُدس أو خُمس ساعة. مفرد الأصل، مثنَّى الشَّكل، مثلَّثٌ قبل الشَّدِّ، مربَّعٌ عند العدِّ، خُماسيُّ الأحرف والآلات في العين واليد. نعم، هو خماسي وابن أربع عشرة، بل ابنُ مائة وثلاث عشرة، وقد يكون طولُه قَدْرَ أُنْمُلَة، والعجبُ أنَّ له تعلُّقاً بالأُسِّ، وبيتُه السِّحريُّ لا أُسَّ له، وإليه المنتهى في الحساب، وليس يعرف في الحساب مسألة.

وأعجبُ مِنْ ذلك أنَّه مِنْ أسباب التَّوحيد، وهو يدأبُ في خدمة كلِّ كوكب سيّار، ويلازم ارتقابَ أوقاتِ الصَّلوات لأجل العبادة، ثمَّ يرجع[2] بغير طمأنينة، ويسجُد بغير اختيار. عجميٌّ لا يُعرِبُ لسانُه عمَّا في الضَّمير إلا بتُرجمان. كثير الهذرِ لا توقف فيه من سرعة الجواب، ولو كان مع الهذيان. مُقيمٌ سائر لا يزال معروفاً بالدَّوران، سوَّاح يُنسب للدورة الكبرى والدَّورة الصغرى بشهادة الخبر والعيان، وترادُفُه بالنِّسبة إلى أصله المركب السائر يأمل رفع قدم ووضعها بحسب الإمكان، وهو أصل في تحرير طرفة الزمان، وإذا حذفت أوّليه عاكساً، وحوَّلت ثالثَهُ رابعاً، صار ظرف مكان. لا تزيد أحرُف جمعه على مفرَدِه، ولا يقفُ الحاسب عند شيءٍ معين عن عدده، وإن أسقطتَ فاءه ولامه مصحفاً، رأيت صفة مَنْ قام معولاً، وإن قلعت عينه، وجدت فرعاً متفرعاً في الحطِّ، وأصلاً متأصلاً. واعكسه مصحفاً تلق به نسبَ الحافظ أبي سعد، وافتح العَيْنَ تجد بقيته شيءٌ إن ضُمَّ جُرَّ إلى السَّعد، وإذا أُفرِدَ كان اسمَ جِماع أشرف بيت، لكن بعد التَّرخيم،

---

(١) في (أ): «وجود».

(٢) في (ط): «يركع».

واسم لقبيل خالده الذي كان رئيسَ بني تميم، وتمثل بكلم[1] أخت العراقيَّة الفاروق لما استُشهد زيد، ونطق به مَنْ رام قتل الأسود النَّخعي بعد سقوطه مِنَ الفرس في وقعة الجمل في توسط الكبد، وهو[2] اسمُ مَنْ نُودي في رابعة (آل حم)، فلم يَغِبْ مَنْ ناداه، ومَنْ نُودي في الذار المكرم[3] أن لا يجيب في الوقائع سواه.

وإذا صيرت أوَّله ثانياً، وحذفت أداة الاستفهام مراعياً، استفتحْتَ حينئذٍ مغلقَه، وشاهدته معلقاً في أول المعلَّقة. فإن صحَّفته، رأيت قِوامَ ديار مصر ما أعدلَه مِنْ قوام، طالما عدل وربما جار كدأب غيره مِنَ الحكام. ملك ـ وإن شئت قلت: هو ملك ـ يجري الفلك ويدور معه الفلك، طالما تردَّد إلى ضواحي مصر تردُّدَ الزُّوَّار، وقال حين واصل المعشوق: الحمد لله على طول الأعمار والرجوع إلى الآثار.

وفي الجملة، فالوقت يضيق عَنِ استيعابِ صفته، وأقصى نهاية معرفة الأديب أن يُقِرَّ بالعجز عَنْ معرفته. وكيف لا، ومنشئه ذو النَّظم الذي نُشِرَت في الآفاق دواوينه، وزُخرفت مِنْ كلِّ بيتٍ يخترعُه بأنواع الزَّين أواوينُه، وثقلت يوم العرض على الملك الممدَّح لطول نَفَسِه موازينُه، والنَّثر الذي جمع بين الفُحولية والانسجام، فكان ممتنعاً سهلاً، واستعمل المعنى اللطيف باللفظ القوي، فكان جزيلاً جَزْلاً.

فلو رأى ابنُ المنجِّم دراري ألفاظه الملغزة في آلة الوقت، تُشرقُ في دياجي المنثور والمنظوم، للازَمَ في غَسَقِ الليالي لمدحِهِ مراصدَ الفَلَكِ ومواقِعَ النُّجوم. أو ابنُ السَّاعاتي، لأخفى كواكبه السَّيَّارة تحتَ النُّجوم. أو البديع الإصطرلابي، لغيَّبَ شمسَ معرفته وراء الغيوم.

---

(١) في (ب، ط): «بكله».

(٢) في (ط): «وهم».

(٣) في (ط): «المكرمة».

فالله يُبقي لذهنه الكامل الوافِر عمرَه الطويل المديد[1]، ويديم لسناء الملك ـ بل الممالك ـ سعدَه السَّعيد وجدَّه الجديد، ويلهمُه الإغضاء عمَّا وقع في هذا الجواب مِنْ دُرٍّ غير نضيد، وبناء غير مشيد، وبسط عُذر مَنْ شغلته دواعي القضاء المقدور، حتَّى ذُبح بغير سكِّين، وجرى دمُه مِنْ غير وريد، ويرفعُ قدرَه إلى أشرف رُتبة يشرق وجهه فيها طَلْقَ المحيَّا، ويطرق ضِدّه منها كمن أذهب عقله الحُمَيّا، إلى أن يلتقي مِنْ بعد يأس سُهيل في الكواكب والثُّريَّا.

وكتب إليه شيخه حافظ الوقت الزين عبد الرحيم العراقي رحمهما الله ملغزاً[2] في (أنس):

ما اسمٌ إذا ما مُدَّ كان فعلا ... أو سكِّنُوا العَيْنَ تراه أهلا
لقسم من كُلِّف أو قَلَبْتَه ... يكن دواءً للمريض سهلا
أو بلدة أو اسم جمع ماله ... مِنْ واحدٍ على الأصحِّ أصلا
أو اسم أنثى أو مفاعلٌ جرى ... مِنْ حرفة بالغرب تترى تُدلى
وإن تصحَّفَ جاء لاستفهام أو ... فردٍ مِنَ الأسماء عزَّ مِثْلا
وإن قلبتَ يا فتى تصحيفَهُ ... فذاك فصل من سنينا هلاَّ
أو هو فعل ضارع الأسماءَ أو ... شيءٌ مِنَ الأشياء فاسمَعْ حلاَّ

فأجابه وعرضه على الملغز:

ما القَطْرُ أرجاء الرِّياضِ حلاَّ ... فبالزُّهورِ للغصُون جَلاَّ
أحسنَ في نفسِ اللَّبيب منظرا ... ولا ألذ موقعاً وأحلى
من دُرَرٍ نظمَها سيدُنَا ... عبدُ الرَّحيم الفاضلُ المُعلاَّ
يا مالكاً في أنس ألغزَ ما ... يجلى على الأسماع حين يُتلى
ما ملَّ فكري بعد أن كرَّره ... عليه ألفاً والبليد ملاَّ

---

(١) ساقطة من (أ).

(٢) زيادة من (ط).

ولـم أقِـفْ قـطُّ عـلـى مـثـالِـه ... فـي حُـسْـنِ تـفـريـعِ حـواه أصـلا
وقـد تـجـاسـرتُ مـجـيـبـاً قـاصـراً ... والـرَّأي مـنـكـم فـي الـقـبُـول أعـلـى

وكتب للإمام الموفَّق علي بن إبراهيم الإبيّ لمَّا دخل مصر محاجياً:

إنّ الأحـــبَّـــة بـــانـــوا ... وخـــلَّـــفـــونـــي طـــريـــحـــا
فـــحـــاجِ يـــا صـــاحِ مـــا ... عـكـسُ مـثـل بـانُـوا صـحـيـحـا

فأجابه بما أنشدنيه مِنْ لفظه بالمسجد الحرام:

أهـــلاً بـــأُحْـــجِـــيَّـــةٍ قَـــدْ ... طـابـت لـنَـشـرِكَ ريـحـا
كـــالأُقـــحُـــوان نـــداهـــا ... أحـيَـتْ فـؤاداً جـريـحـا

فكتب إليه ثانياً أحجية فيها زيادة على الأولى، وهي:

تـــبـــدَّت دارُ مَـــنْ أهـــوى ... فَـسِـرْ يـا حـادِيَ الـنُّـوقِ
وصـحَّـف قـلـب مـعـنـى قـد[1] ... بـدا مـنـزلُ مـعـشـوقِ

فأجابه بما أنشدنيه أيضاً:

مـقـامـي دُونَ مـا قُـلْـتُـم ... ولا أجـمـالـي[2] ولا نُـوقـي
ويـشـهـد لـي أبـو داود ... بـيـتٌ غـيـرُ مـسـبـوقِ

وكتب إليه القاضي علاء الدين علي بن آقبرس ملغزاً في رِقٍّ:

أيـا قـاضـي الـقـضـاة وقـاكَ رَبِّـي ... مـساوي مـا سـتـحـدثُـه الـدُّهـورُ
ودُمـتَ مُـعـافـيـاً فـيـنـا زمـانـاً ... لـتـشـفـي مـا تـعـلِّـلُـه الـصُّـدورُ
وتُـعـرب عَـنْ مـعـانـي مـشـكـلاتٍ ... سـرى الإبـهـام فـيـهـا والـضَّـمـيـرُ

---

(١) «قد» ساقطة من (ب).
(٢) في (ب): «جمالي».

ففي علم الحديثِ وكلِّ علمٍ ... أُحاشي أن يكونَ لكمْ نظيرُ
فأنت لذي الحقائق قطبُ فهمٍ ... عليه غدت دقائقها[1] تدورُ
عليك تخلُّصي مِنْ قيد إسمٍ ... ثُنائيِّ الحرُوف غدا يجُورُ
وقيل ثلاثةٌ حِسّاً عياناً ... إذا اعتبر المضيُّ مضى الفُتُورُ
وإن شئتَ التعمُّقَ في حسابٍ ... بما يُبديه جُمَّلُنَا الكبيرُ
فذو الآحاد والعشراتِ لغوٌ ... ومرتبة المسيء بها الحضورُ
ثلاثٌ صورة لا باعتبارٍ ... إلى أصلٍ بأربعةٍ تفورُ
قليل لفظُه جدّاً ولكن ... لمعنى لفظِه العدُّ الكثيرُ
وأغربُهُ فظَرْفُ الشَّيءِ غيرٌ ... وهذا إسمه فيه يصيرُ[2]
إذا صحَّفت أوّله فظرفٌ ... لما في اللَّيل يأتي منه نورُ
وإن صحَّفت آخرَه فشيءٌ ... يُشال عليه ما تحويه دُورْ
وإن صحَّفت جُملته فمعنى ... إلى العرسان يَعقُبُه السُّرورُ
وإن يبقى بلا تصحيفِ شيءٍ ... فملكٌ لا يزال به الأسيرُ
تجيءُ إلى القُضاة بكلِّ وقتٍ ... ليُثبتَ ما تضمَّنَه السُّطورُ
ومصدَرُه يُساوي الأمرَ منه ... يلوحُ لمن له منَّا شعورُ
وفي معنى يساوي الأمرَ ماضٍ ... بمعنى جامع فيه مُشيرُ
سألتُك عَنْ معاني كشفِ لغزٍ ... بيانُ بَديعها منكُم جَديرُ
فأنت إمامُنا في كلِّ فنٍّ ... وغيرُك باطلٌ دعواه زُورُ
وبالبُرهان أنتَ إمامُ عصرٍ ... برَوْنَقِ روضِه ضاءَ الزُّهورُ
وأنتَ الكوكبُ الدُّرِّيُّ وصفاً ... وذا التَّمهيدُ أنتَ به خبيرُ

---

(١) في (ط): «وقائعها».

(٢) في (ط): «نظير».

فأجابه:

رياضٌ أم نجومٌ أم سطورُ ... بها فاحت معَ الزَّهرِ الزُّهورُ
ورقَّ بالبها زها رياضاً[1] ... مِنَ النَّوْرِ ابتدا وعليه نُورُ
حوى نظماً يصيرُ بحاسديه ... فليس نظيره إلا النَّضيرُ
ورقَّ اللفظُ منه ودقَّ معنى ... فجلَّ فقدْرُه العالي كبيرُ
بيوتٌ قد عَلَتْ منها وعنها ... تلوحُ لكلِّ ذي أدب قصورُ
وزادتْ رِفْعَةً إذ ألغَزتَ في ... كتابٍ والكتابُ حواهُ طُورُ
ثنائيٌّ ثلاثيٌّ لمعنى ... رباعيٌّ له عَددٌ كثيرُ
يزيدُ حسابه مائةً سواءً ... إذا ما صارَ أوّلَه الأخيرُ
يُحَيِّرُ كلَّ ذي نظرٍ لما في ... معانٍ منه ليس لها نظيرُ
فتدنو ثم تَنْأى ثم تخفى ... وتستترُ ثمَّ أبرزَها الضَّميرُ
وقرَّ القلبُ مِنْ بعدِ اضطرابٍ ... وميطَتْ عَنْ عرائسه الخُدُورُ
وزال اللُّبْسُ بالتَّصحيف عنها ... وزُفَّت حين هُتِّكَتِ السُّتُورُ
وإن أحببت أن تزدادَ فيه ... معمّى ذو الحِجَى فيه بصيرُ
وصحِّفه وضَعِّفْهُ تجدْهُ ... يُظلِّلُ مجلساً فيه الأميرُ
وآخر ما يلي القمر اظَّلِعْهُ ... يواجه متّكَاً وعليه حُورُ
وغيِّر لامَه ميماً تَجدْ ما ... تَضَمَّنَه تُحَرِّزُه السُّطُورُ
وصَيِّر راءَهُ منه أخيراً ... وحرِّكْ يُشرِقِ القمرُ المنيرُ
وإن صيِّرت[2] منه الميمَ دالاً ... «فقِدْرُ القَوْمِ حاميةٌ تفورُ»[3]

---

(١) في (ب، ط): «زهي ضياء».
(٢) في (أ): «صير».
(٣) شطر بيت لجبل بن جوال الثعلبي أوله: «تركتم قدركم لا شيء فيها». =

ويظهرُ إن تزِدْه ثمانَ عشرِ «حريقٌ بالبُويرة مُستطيرُ»
خفيفُ الوزن لكن نصفُه لا يُوازيه الجنادِلُ والصُّخورُ
قُبَيْل (الطُّورِ) يبدُو وَهْوَ فيها بجُمْلَتِها إذا قرأ الخبيرُ
وفِعْلُ الأمرِ منه بكسرِ فاءٍ والاسمُ بفتحها فهو الجَديرُ
وفي لغة يجوزُ الكسر حتَّى يُساوي الأمرَ مصدرُه الشَّهيرُ
فهذا منتهى نظمي جواباً ولولا الشُّغْلُ ضاقَ به الصُّدورُ

وكتب إليه الشرف عيسى بن حجاج الشاعر العالية[1]:

فأجابه:

لقد حيَّيْتَ بالدُّرِّ النَّفيس فأخيَيْتَ المسرَّة للنُّفوسِ
وأسكَرْتَ العُقول بغيرِ راحٍ وما حمَّلتَها مُرَّ الكؤوسِ
وطِرْسٌ عاجَ مثلَ العاجِ حُسناً وذاك النَّقشُ مثلُ الآبنوسِ
بدا لي مُلغِزاً في اسمِ عجيبٍ حبيبٍ للنَّديمِ وللجليسِ
بأحرُفِه خماسيٌّ ولكن كبيرٌ قدرُه عندَ السرَّئيسِ
إذا أسقطتَ خَامسَه وثانٍ تراه دواءَ ذي الوجْهِ العَبُوسِ
وإن أبقيت حاشيتَيْه خاءً ولاماً فهو طَرْفُ الخَنْدَريسِ
وإن أقصَيتَه أبدى دُنُوّاً بتصحيفٍ وحذف في الطُّروسِ

= وقد أجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه بأبيات منها شطر البيت الآتي، وأوله:
«وهان على سراة بني لؤي»
والبويرة موضع منازل بني النضير
انظر ديوان حسان بن ثابت ص ١١٠، ومعجم البلدان ١/ ٥١٢.

(١) هنا بياض في (أ، ط) مقداره أحد عشر سطراً، وفي (ب) أربعة عشر سطراً، ومثلها في (ح).

وطَوْراً كالمجالس حين يدني ... وتلقاه مراراً للجلوسِ
فهذا حلُّ لُغزِكَ يا رفيعاً ... رفَعْنَاه إليك على الرُّؤوسِ
لقد أهدى إليَّ عروسَ فِكْرٍ ... فِداها حاسِدُوها مِنْ عَرُوسِ
أفادت لي صفا عيشٍ تَقَضَّى ... بمَنْ أهواه مِنْ بَعْدِ الدُّروس
وأدخلني به جنَّاتِ عَدْنٍ ... فلم أسمَعْ لواشٍ مِنْ حَسِيسِ
كأن الطِّرْسَ أُفقٌ والمعاني ... نجومٌ واللَّيالي كالنُّفُوسِ
فهاك جوابُ مبتدىءٍ مُعيدٍ ... لشُكرِكَ في الجوامع والدُّروسِ
لبوس الفضل يقرعها لباساً ... عليك وقفتَ عَنْ لبس لَبُوسِ

وكتب إليه المجدُ فضل الله بن مكانس ملغزاً في (سيف):

شهاب العُلا والدِّين يا مَنْ علومُه ... تُشَرِّفُ آفاق العُلا وتُزِينُ
ويا مَنْ غدا كالسَّيف بأساً وخلَّةً[1] ... عظيمٌ على وِفْقِ المراد رصينُ
أبِنْ لي ما شيءٌ يُضاوِدُ وصفَه ... غدا منه في قلبِ الكمِيِّ كمينُ
يقولون أعمى وهو ذو بصرٍ ـ كما ... سمعتَ ـ حديد تحتويه جفونُ
ويختارُ أربابُ الجمالِ لو أنَّهم ... لهم مثلُه في العالمين عيونُ
وأخرسُ لكن طالما كلَّم الورى ... فأفحمَ حقّاً والبيان[2] فنونُ
لك السَّبقُ إن صحَّفتَه ولمَنْ غدا ... يُعاديك شنقٌ في الوجود وهُونُ
فكم مِنْ عدوٍّ راحَ منه بِغيْظِهِ ... وفي قلبه داءٌ يسوءُ دفينُ
وكم رُحْتَ تسقيه فجدُّوا وأوقَعُوا ... به الفعلَ والحكمُ الصَّحيح يكونُ
ويقوى بحرِّ النَّار والبرد والسّقا ... وتعليقُه والنائبات تخونُ
ويشتدُّ بعدَ الضَّرب يا ذا النُّهى وإن ... غمرتَ سواه بالأكفِّ يلينُ

(١) في (ب): «وحكمة».

(٢) في (أ): «واللسان».

ويأتيك إن بدَّلت أولاه طيفُ مَنْ ... تعشَّقتَه والوجدُ فيه متينُ
ويدنو كما تهوى ويقطع مدَّة ... ويُقضَى به للعاشقين دُيونُ
ويمضي إذا أرسَلْتَه لمهمَّةٍ ... وقد كلَّ خِلٌّ دونها وقرينُ
ونفسُك إن أنكرت أمراً فحبّذا ... خديمٌ على كلِّ الأمورِ مُعينُ
ويحلو إذا حلاَّه ذُو الفضل والحِجَى ... ويبقى ولو مرَّت عليه سنُونُ
ويخفى فإن صحَّفته بعدَ عكسِهِ ... فديتُكَ يا ذُخْرَ الرَّجا فيَبينُ
وفي عكْسِ ثُلثيه حقيقٌ فخلٌ مَنْ ... يقولُ مجازاً ظاهراً ويمينُ
فبيِّنه واشهِزْهُ فها هو واضحٌ ... وحقِّك يا ربَّ البيان مبينُ
تحرّزتُ في تركيبه مِنْ زيادةٍ ... تُنقِّصُه بين الورى وتشينُ
وجرَّدتُه مِنْ حَشْوِ قولٍ يَشُوبُه ... ويُرْخِصُه والدُّرُّ فيه ثمينُ

فأجابه بما قرأته بخطه:

أمولاي مجدَ الدين والبارع الذي ... له الفضلُ إن صَاغَ القريضَ قرينُ
فُتِنْتُ بلُغْزٍ منك تصحيفُ عكسِه ... فتًى بثَّ شكوى والحديثُ شجونُ
وشنَّفَ سمعي حين أعجمتَ أوّلاً ... له ولأنَّ العينَ عندِيَ نونُ
يشقُّ على الغَمْرِ البليد اهتداؤهُ[1] ... لتصحيفه إن ظنَّه سيهُونُ
وقلت له: فتِّش بقلب وإن تَسِرْ ... بطُرْقِ الهُوَينا لا يكادُ يبينُ
وإن رُمْتَه مِنْ بَعْدِ ذاك مُحاجِياً ... تجد عبدَ مَلْكٍ لا تراه يخُونُ
إذا قَلَّبُوه للشِّرا قِيسَ طولُه ... لدَى العرضِ في الأسواقِ وهو ثمينُ
يمانٍ وفي قيسٍ له مدخلٌ وكمْ ... ظهورٌ له في قومه وبُطُونُ
وسوفَ تراه بعد تغيير[2] قَلْبِهِ ... وإن عُدْتَ للتغيير كيف يكونُ

---

(١) في (أ): «ابتداؤه»، تحريف.

(٢) في (ب): «تعيين».

وأحرُفه أضحت تُعَدُّ ثلاثةً ... ومَنْ قال: بل حرفين ليس[1] يَمينُ
وفي عَكْسِ ثُلْثَيْهِ دليلٌ على الذي ... أشرتُ إليه والبيان[2] يبينُ
وثُلْثاه بالتَّصحيف شيءٌ محقَّقٌ ... يُظَنُّ مجازاً فيه وهو يقينُ
يُحَدُّ بلا ذَنْبٍ ويُضْرَبُ ظَهرُهُ ... ويلقاه ذلٌّ لا يُحَدُّ وهونُ
وإن قرَبُوا منه الطُّلى عزَّ جاهُه ... وظلَّ بدِينِ العارفين يَدينُ
ويُعرِبُ لكن بعدما كلَّمَ العدا ... بِمقولِه الهنديِّ وهو مُبينُ
وسمّاه بالمِنْدِيلِ قومٌ لمسحِهِ ... رقَابَ العِدا. إنَّ اللُّغات فنونُ
وإن قال قوم: قلبُ معناه ماسحٌ ... فقُلْ[3]: صحَّ والمعنى عليه معينُ
نحيفٌ له جسمٌ يعزُّ ضريبُه ... نحيلٌ وأمّا ضربُه فثخينُ
ومِنْ شدَّة البردِ اعترته اهتزازةٌ ... على أن حرَّ النَّارِ فيه دَفينُ
هو الأبيضُ الفردُ الخضيبُ بنانُه ... له وجنةٌ قد أشرقت وجبينُ
نعم وله كفٌّ وقدٌّ وساعِدٌ ... وليس لمخضوبِ البنانِ يمينُ
عجائبه ليست تُعَدُّ فإنَّه ... فريدٌ أساميه الكرامُ مُبينُ
فإنْ شئتَ فاضرب عنه صفحاً فقد غدا ... لكَ السَّبْقُ حقّاً فيه وهو مُبينُ
ولا زِلْت للآداب سيفاً مجرّداً ... بفضلك تحمي شَرْحَها وتصُونُ

وكتب إليه المجدُ أيضاً:

شهابَ العُلى يا مَنْ زها رَوْضُ نظمِه ... وأهدى لنا منثُوره يانِعَ الزَّهْرْ
أحاجيك: ما تصحيفُ شيءٍ نظيرُه ... تباعد نجمٌ عَنْ مدى الشَّمس والقمرْ
وإن شئت مثْلَهُ وصَحِّفْهُ ثانياً ... وقل جادَ معشوقٌ سبى حُسْنُه البَشَرْ

---

(١) في (أ، ح): «بل حرف فليس»، وما هنا موافق لرواية الديوان وجمان الدرر.
(٢) في (ط): «للبيان».
(٣) في (أ): «فقد».

وإن رُمْتَه[1] أيضاً فصحِّفه عاكساً ... وقل للمُحاجي مثلُه منزلٌ دثرْ
فجدَّدَ ربِّي دارسَ الفضل والعُلا ... وشَيَّدَهُ دهراً بكمُ يا بني حجرْ

فأجابه:

أمولاي مجدَ الدِّين والمفرد الذي ... بجَمْعِ المعاني والنَّدى فخرُه اشتهَرْ
أتانيَ لُغْزٌ منك يُزهِرُ قلت: ذا ... نوالُ حبيبٍ في الأحاجي لمن نَظَرْ
وفي بعضه بُرْجٌ وذاك لأنَّه ... هو النَّجم حقّاً وهو في البُرج قد ظهرْ
وتصحيفُه بالقَلْبِ مع حذْفِ قلبِهِ ... بغيرِ اختلافٍ فيه يا سيِّدي شَجَرْ
فهاك جواباً مِنْ مُقِرٍّ بفضلِكم ... يخاطِبُ عليك الخطيرةَ بالمقَرْ

وكتب[2] إليه المجد أيضاً:

قد فُقتَ في النحو وفي ... الحِجَا ونَظْمِ الدُّرّ
فقُلْ لنا ما مثلُه ... أنار حرف جرّ

فأجابه:

يا ضامِنَ النَّعماء الَّتي ... يَعْجِزُ عنها شُكري
منال ما حاجَيْتَ في ... أوَّلِ لفظ شعري

وكتب إلى المجد المذكور:

إن لان[3] كالغُصْنِ أورَقْ ... خَلَعْتُ فيه عذَاري
مهفهفٌ ذو غنجٍ ... حلوُ الدَّلال تُركي

---

(١) في (ط): «رمت».

(٢) كتب في رأس الصفحة من نسخة (ح) بخط مغاير للأصل ما نصه: «عند الشيخ محمد الحَطب كراريس سبعة». قلت: وكأنها كانت نسخة متداولة تعار لطلبة العلم والمشايخ. والله أعلم.

(٣) في «الديوان»: «لاح».

سَعيي له وحَجّي ... وفيه ضاع نُسْكي
عِذَارُه بنفسجي ... والخالُ منه مِسْكي
والرِّيق خمري والشَّجَى ... مُولَّعٌ بالفَتْكِ
وبالجفا أنا مُحْرَقْ ... وخدُّه جُلُّناري
أشكو بأحشائي لهبْ ... شَرارُه مِنْ دمعي
وفُرقةً أرى عَجَبْ ... وقوعُها بجمعي
يا هاجري بلا سببْ ... هل للِّقا مِنْ رَجْعِ
أقبِلْ[1] ولا تخشَ التَّلف[2] ... بالوتر لا والشَّفعِ
فإنَّ قومي أرفَقْ ... أن يطلبوك بثاري
قلبي للأحِ ما ارْعَوى ... ولا أطاعَ النَّاهي
ولا مُعيني في الهَوى ... إلاَّ الخليعُ اللاَّهي
ولا يُسلِّيني سِوَى ... مديحُ فضلِ الله
مُعْتِقُ رِقِّي مِنْ جَوى ... فيه الحديثُ واهي
له الولا حين أعتَقْ ... والمدحُ فيه شعاري
مولًى له جَدٌّ علا ... من أصله والحَظِّ
بحرٌ بِدُرٍّ يُجتلى ... أبصرته ذا لفظِ
في الفضل لا يُصغي إلى ... مُموِّهٍ بالوعظِ
مجدَ الفخار والعُلا ... حامي الورى باللَّحظِ
وما عليه مُحَقَّقْ ... في فَضْلِه مِنْ غُبار
وغادةٍ قالت سُبِي ... عقلي بحبِّ أسمَرِ

---

(١) في «الديوان»: «اقتل».

(٢) في (ط، والديوان): «الطلب».

يـا جـارتـي لِـمْ[1] بـالـنَّـبـي ... مـا تـسـألـي عـن خـبـري
عـشِـقـتُ غـصـنـاً مـرَّ بـي ... عِـذارُهُ الـطـاري طـري
رمـيـتُ زوجـي لأبـي[2] ... مِـنْ أجـل هـذا الـقـمـرِ
لـيـش مـا أرمـي الـشـيـخ وأعـشـقْ ... عُـذَيِّـرْ أخـضَـرْ وطـاري

فأجابه بما قرأته بخطه.

أحـبـابـي أفـنـيـتُ فـيـكـم شـبـابـي
وضـاع مـنِّـي مـنـامـي ... وحـالَ فـيَّ سُـقـامـي
ولا بـلـغـتُ مـرامـي ... ولا رَعَـيْـتُـم ذِمـامـي
أبـكـي بـكـاء الـسَّـحـابِ
سـيـف الـلِّـحـاظ الـمـهـنَّـذْ ... فـي حـسـنِـه جـاوزَ الـحَـدْ
والـعـسـقـلانـيُّ أحـمـذْ ... بـجـودِه قـد تـفـرَّدْ
يـا أتـرابـي والـعـلـم والآدابِ[3]
سـمـا لأُفـق الـمـعـالـي ... بـالـفـضـل والإفـضـالِ
وجـلَّ فـي كـلِّ حـالِ ... عَـنْ مـشـبـه ومـثـالِ
وعـاب وجـاد لـلـطُّـلابِ
عِـشْ يـا أبـا الـفـضـلِ دهـرا ... وارفـع لـبـيـتـك ذكـرا
وقـل لـمـن شـئـتَ جـهـرا ... هـا قـد تـوَقَّـد بِـشـرَا
شـهـابـي فـجـئـتـكـم بـالـعُـجَـابِ
فـبـدر تـمَّ كـشـمـسِ ... صـبـا لـظـبـيـة إنْـسِ

---

(١) في الديوان: «ليش بالنبي». أقول: ولسنا بحاجة إلى تذكير القارئ الكريم أنه لا يجوز الحلف بالنبي ﷺ أو غيره من المخلوقات، فإن كنت حالفاً، فلا تحلف إلا بالله.

(٢) في الديوان: «وأبي».

(٣) في (أ): «والأدب».

وفيها غابَ حِسِّي فرُحْتُ أنشُدُ نفسي
وأصحابي هويتُ صبيَّةً وصابي

وكتب في شعبان إلى العلامة شاعر الشام جلال الدين أبي المعالي محمد بن أحمد بن سليمان بن خطيب داريًا ملغزاً:

يا إماماً قد اقْتدَى للأحاجي مُمَارِسَا
وجلالاً[1] مع المهابةِ لم يبق عابِسَا
وذكيّاً لمُصْعبِ اللـ ـغزِ كاللَّيثِ فارِسَا
ما اسمُ عينٍ تراه ما بين راءينِ جالِسَا
فيه زهدٌ وطردُهُ صارَ للفِسْقِ عاكِسَا
احذفِ القلبَ مُهْمِلاً طرفه تَلْقَ ناعِسَا
مثل تصحيفه حمى من يرد الشَّوامِسا
إن تُنَقِّصْ بعينهِ فاءَه بانَ مائِسَا
فتفضَّل بحلِّه لستُ مِنْ ذاك آيِسَا
وابْقَ ما عشتَ مِنْ صفائِك تجلُو الحنَادِسا

فأجابه أبو المعالي بما قرأتُه مِنْ خطّه:

يا أديباً أصولُه الغرُّ طابَتْ مغارِسَا
يا جواداً على العِدا مُشْرِقَ النُّورِ شامِسا
ومقراً جنابُه سادَ منهم مَجَالِسَا
والذي ساس بالأنا ةِ مُلوكاً قَنَاعِسَا
فرأى النَّاظرون منه جواداً وسائِسَا

(١) في (ب): «وجلالة».

يـا إمـامـاً لـسـنـة الـ ... مـصـطـفـى صـار حـارِسَـا
كـم جـلـى فـضـلُـه[1] لـخـا ... طِـبِ عـلـمٍ عـرائِـسَـا
أنـت لـولاك لاغْـتَـدى ... مَـهْـيَـعُ الـجُـودِ طـامِـسَـا
وشـجـا الـنَّـاس مـربَـعُ الـ ... عـلـمِ لـولاك دارِسـا
جـاءنـي لـغـزُك الـذي ... لـم أزل فـيـه [هـادِسَـا
نـظـم شـعـبـان بـالـ ... فـضـائـل فـكـراً وهـاجِـسَـا
لـو تـحـديـتَ عـامـراً ... فـيـه][2] خـلاه دارِسَـا
خـلٌ ثـانـيـه ثـالـثـاً ... واعـتَـبِـرْهُ مُـسـايِـسَـا
واحـبُ ثـانـيـه واحـداً ... مِـنْ ثـلاثٍ تـكـايـسـا
صَـيِّـرِ الـهَـنْـعَـة الـشَّـمـال ... فـلا زِلْـتَ رامِـسَـا
تـلـقَ ضـدَّيـن لـيـس ضـد ... لـضـدٍّ مـنـافِـسَـاً
ضُـمَّ فـي وسـطـه عَـبـاً ... لـم يُـدَفِّـيـه فـارِسَـا
ومـتـى تـخـلَـعِ الـعَـبَـا ... تـجـدِ الـشَّـنَّ يـابِـسَـا
فـيـه حـيٌّ وعـادمُ الـ ... رُّوح فـاطـلُـبـه حـادِسَـا
فـتـراه قـبـيـلـةً ... وزمـانـاً مـلابـسَـا
واعـتـبـره مُـفَـصّـلاً ... مـجـمـلاً لـسـت عـاكِـسَـا
سـتـرى لـفـظـه زكـا ... وتـرى لـفـظـه خـسَـا
إن مُـثـنًّـى ومـفـرداً ... حـار فـي أمـرِهِ الأسـى
قـلـب خُـمْـسَـيْـه أوّلاً ... وكـرْمـا طـار حـادِسَـا
ثُـلُـثَـي عَـيـنِـه أزِلْ ... تُـلْـفِـه شـان مَـنْ أسَـا

---

(١) في (أ): «علمه».

(٢) ما بين حاصرتين سقط من (ب).

وكـثـيـراً كـلُّ مـحـسـنٍ كـان لـلـعـمـل قـائـسـا
لـو تـتَّـبـعـتَ وصـفَـه لأضـاقَ الـمـنَـافِـسَـا

وكتب إليه القاضي شمس الدين محمد بن أحمد بن عمر بن كُميل المنصُوري:

يـا كـعـبـةَ الـطُّـلاَّب فـي عـصـرِنـا هـذا ويـا قِـبـلَـةَ أهـلِ الأدبْ
مـا اسـمٌ لـمـمـلـوكٍ لـه قـيـمـةٌ نـفـيـسـةٌ مِـنْ فـضـةٍ أو ذهـبْ
مـحـلُّ وطءٍ بـنـكـاحٍ وقـدْ يُـوطـأ بـلا عَـقْـدٍ ومـا ذا عَـجَـبْ
ثُـلـثـاه بـالـتَّـصـحـيـف طـيـرٌ يُـرى ومـثـلُ ثـلـثٍ مـنـه بـحـرٌ رَسَـبْ
وإن بـدا تـصـحـيـفُ مـعـكُـوسِـهِ مِـنْ سـوءِ مـا يـبـدو نَـوَدُّ الـهَـرَبْ
راحـتُـه بـالـبَـسْـطِ مـعـروفـةٌ وعـيـنُـه يـبـدو مـنـهـا الـعـطـبْ[1]

فأجابه:

يـا أيُّـهـا الـمـولـى الـذي فـضـلُـه سـلَّـمـه أهـلُ الـنُّـهـى والأدبْ
أهـلاً بـلُـغـزٍ طـيـرُه سـانـحٌ واسـتـغـرَقَ الأفـكـارَ لـمَّـا احـتـجـبْ
وفـاؤه يـاءٌ وإن شِـئـتَ قُـلْ واوٌ إذا حـاجَـيْـتَ جـاءَ الـعَـجَـبْ
وعـيـنُـه والـلام حـرفـانِ أوْ حرفٌ عـلـى الـحـالَـيْـنِ مـمَّـن كَـتَـبْ
جـمـيـعُـهـا تُـؤْكَـلُ لـكـنَّـهـا واحـدهـا يـشـربُـهـا ذو الـطَّـرَبْ
وأصـلُـه يُـلـبَـسُ واعـكِـسْ تـجِـدْ فـي مُـدَحِ الـفـاروق حـتـى ضـربْ
وانـقُـطْـهُ مِـنْ تـحـت فـإن تَـدْعُـهُ يـطـعْ ولا يُـنـجـيـه مـنـك الـهَـرَبْ

ولما[2] كان في سنة أربع وعشرين، وحجَّ صاحبُ التَّرجمة، كان ابنُ

(١) مكان هذه المقطوعة بياض في (ب، ط).

(٢) من هنا حتى قوله: «وذكره هذا هنا استطراداً» لم يرد في (ب)، حيث أضافه المصنف بخطه في هامش (ح).

كُميل أيضاً ممَّن حجَّ، واتَّفقَ وصولُهما منزلة الوجه، وليس بها ماءٌ، فقال ابنُ كُمَيْلٍ:

أتيتُ إلى الوجه المرجَّى نوالُه ... فشَحَّ وما سحَّ الحيا بِنَداهُ
وأسفَرَ عَنْ وجهٍ وما فيه مِنْ حيا ... فقلت: دعُوه، ما أقلَّ حيَاهُ

فلمَّا رجعا، كان الماءُ به كثيراً، فسأل شيخنا أن يقول في ذلك، فقال: بل الأولى أن تُصلِحَ أنتَ ما أفسدت! فقال أيضاً:

أرانا الجميلُ الوجه معتذراً لنا ... فأوليتُه شكراً وما زلتُ مُثنيا
وأطرقتُ رأسي منه في الأرض خَجْلَةً ... وما اسْطَعتُ رفْعَ الرَّأسِ مِنْ كثرَةِ الحيَا

وذكرت هذا هنا استطراداً[1].

وكتب إليه الشَّريف صلاح الدين محمد [بن أبي بكر][2] بن علي بن حسن الأسيوطي في العقل ممَّا سمعه منه صاحبنا النَّجم الهاشِمِيُّ:

ألا يا ذوي الآداب والعِلْمِ والنُّهى ... ومَنْ عنهمُ طابت صبا وقَبُولُ
فدَيْتُكم لم لا نفيس نفوسكم[3] ... تصونونه كيْما يعُزُّ وصولُ
فإنِّي رأيت الفضل قد صارَ كاسِدَاً ... على أنَّ أهليه إذاً لقليلُ
فعن رؤساء الوَقْتِ عدَّ وخلِّهم ... فليس إلى حُسْنِ الثَّناء سبيلُ
ولا تنسَ أبناء الزَّمان فشرحُ ما ... يسُوؤك منهم إنَّه لطويلُ

---

(١) يبدو أن شعراء العصر كانوا يكثرون التندر بهذه البلدة، وهي من منازل السفر على طريق الحاج، ومن ذلك ما أنشده الشهاب المنصوري عندما نزل بها:

أقول وقد جئنا إلى الوجه نرتوي ... وتصطبح الحجاج منه بماءِ
ألا إن هذا الوجه قل حياؤه ... ولا خير في وجه بغير حياءِ

انظر المنجم في المعجم للسيوطي بتحقيقي ص ٧٨.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

(٣) في (أ): «نفيسكم».

وجانِبْهُمُ إنِّي نصيحٌ مجرِّبٌ ... ولا تَبْتَئِسْ فالقولُ عنك يخيلُ

فإنَّ الفتى ما دامَ بالحَزْمِ عاملاً ... فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ

خبُرتُهم قِدْماً فما منهمُ[1] وفَا ... بلى عندهم في الأفضَلينَ فُضولُ

سوى صاحبٍ يا صاحِ بي مُتَرفِّقٌ ... وذاك له بين الضُلوع مقيلُ

يحقُّ له منِّي الصِّيانة[2] إنَّه ... قَؤولٌ لما قال الكرامُ فعُولُ

يُصاحبُنِي في القَبْضِ والبَسْطِ دائماً ... وليس له بينَ الأنام عديلُ

يغالِبُ أحياناً وغالبُ غالباً ... وفي كلِّ حالٍ بالسُّطُوِّ يَصُول

ووافرُ قدرٍ كاملٌ فيه خِفَّةٌ ... ولا عجبٌ أن يُنْفَ عنه ثقيلُ

له إخوةٌ مِنْ جنسِه لا بلفظِه ... وربَّتما ساوَوْهُ وهو صقيلُ

وليس بجسمٍ مع جهالةِ قدره ... على أنَّه للجسمِ سوف يؤولُ

وفي الطَّردِ تلقاه وبالقلب ساكنٌ ... وليس لمثل القلب عنه ذُهُولُ

إذا اقتصَّ ممَّن قد جنَى عنهُ لمْ يكُنْ ... وفاءً وقد صحَّت بذاك نُقُولُ

له ديَّةٌ كالنَّفسِ كاملةٌ إذا ... وُجوباً على الجانينَ حينَ يجُولُ

ويُحْسَبُ حرفٌ منه نِصْفٌ جميعُه ... وفي جمل الأسباب فيه فصُولُ

وزاد على عدِّ الثلاثين ثُلثه ... وفيه معانٍ في البيان تطولُ

فيا علماء العصرِ والأدباء من ... تُقِرُّ لهم عند الجدال فحولُ

أبينُوا رُموزي لا عَدِمْتُمْ سعادةً ... مِنَ الله فالأفضال فيه جزيلُ

فكتب إليه معتذراً عن الجواب:

لك الخيرُ لي شغلٌ بقلبٍ مُمَلأٌ ... وجسمُ انتحالي للقريض نحيلُ

فعذراً فما أخَّرْتُ نظم جوابِكُم ... لبُخْلٍ ولكن ما إليه سَبِيلُ

---

(١) في (ط): «فيهم».

(٢) في (ط): «الصبابة».

فكتب إليه الشَّريف ثانياً مرتجلاً، وأرسل بذلك مع مُحضر هذين البيتين إليه مما سمعه منه النجم المذكور أيضاً.

أجِلُّكَ يا قاضي القُضاة لك البقا ... عن الرَّدِّ تمويهاً فأنتَ خليلُ[1]
وعُوفِيتَ مِنْ ذا الإنتحال وإنَّما ... يُحالُ على النَّظمين[2] فهو محيلُ
أو الهدم ما هذا وُقيتَ تمَلأٌّ ... وسُلِّمْتَ مِنْ قولِ العدوِّ هزيلُ
أتاك الذي ألغزتُ علَّق نفسَه ... ببابك لا تطرُدْه فهو نزيلُ
فتصحيفه غُفْلٌ وعَلِّقْ مُحرَّفاً ... وبالغ إذاً يُشْتَقُّ منه عقيلُ
ومثلُك لا يَغْبأ بفكرٍ لحلِّه ... وأنت مليٌّ بالجوابِ كفيلُ
ووالله ما الإعذار والعذر عاذرٌ ... ولا بُدَّ مِنْ جبري فأنتَ قؤول
وحسبُكَ في الجبرِ الحسيب فإنَّه ... مُعينُك فيما تشتهي ووكيلُ

فأجابه:

أيا سيّداً شِيدَتْ عُلاه ورُفِّعَتْ ... وجُرَّت لها[3] فوق السَّحاب ذيولُ
لكم في العُلا والفضلِ أيُّ نباهةٍ ... وللضِّدِّ عندَ العارفين خُمولُ
أتانيَ لغزٌ منك للعقلِ مُدهشٌ ... وقولٌ لما قَالَ الكرامُ فَعُولُ
تنظَّمَ في سلْكِ البلاغة دُرُّهُ ... وكم لك عندي في القلائدِ لُولُو
تقولُ جواباً[4] لاعتذاري تهكُّماً[5] ... لأنت مَلِيٌّ بالجواب كفِيلُ
نعم كان لي ميلٌ إلى النَّظم[6] بُرْهَةً ... وأبكار فكري ما لهُنَّ بُعُولُ

---

(١) في (ب، ط): «جليل».
(٢) في (ب، ط): «التضمين».
(٣) في (ط): «له».
(٤) في (أ): «جوابي».
(٥) في (ط): «تهتكاً».
(٦) في (ط): «الشعر».

فشَغَّبَ منِّي فكرتي عبءُ منصبٍ ... تحمَّلتُه في كاهليَّ ثقيلُ

وفصلُ قضايا في تفاصيل أمرها ... فصولٌ وكم عند الخصوم فصولُ

ومجلسُ إملاءٍ وخُطبَةُ جمعةٍ ... ودرسٌ وتعليلٌ له ودليلُ

حديثٌ وتفسيرٌ وفِقْهٌ قِوامُها ... عقولٌ تعاني فهمَها[1] وتقولُ

لمُسْتَنْبَطاتِ الفِكْرِ مُستَبْطنَاتُها ... تزورُ فإن لم أضبطَنَّ تَزُولُ

ذوابِلُها في روض أفكارِ ريِّها ... تسُلُّ مواضي برْقِها فتسيلُ

وطالبُ إسماعٍ وفُتيا وحاجةٍ ... وطالبُ علمٍ في البُحوث سؤولُ

وكلُّهم يرجُو نجازَ أمُورِهِ ... ويصخَبُ إن أرجأتُه ويصُولُ

وهذا إلى أوقات نومٍ وراحةٍ ... وأكلٍ وشُربٍ يعتريه ذُهولُ

وفي نفس ترويحِ نفسٍ أُجُمُّها ... وتأنيس أهلٍ هزلُهُنَّ هزيلُ

وأمرُ مَعادي رحتُ فيه[2] مفرِّطاً ... وأمرُ معاشي قد حواهُ وكيلُ

ولا تنسَ أبناءَ الرَّسائل إنَّهم ... إذا عوَّقُوا نحو العقوق يميلوا

وأمَّا مُداراةُ الأنامِ وشَرْحُ ما ... أُعانيه منها فالكلامُ يطولُ

فهل لامرىء هذي تفاصيلُ أمرِه ... فراغٌ لنظمٍ فارغٍ فيقولُ

وأنَّى ترى مَنْ ليس للشِّعر شاعراً ... تطيعُ مفاعيلٌ له وفَعُولُ

ولستُ الذي يَرْضَى سُلوكاً لما بِهِ ... يدلُّ عليه العقلُ وهو خليلُ

فأنظِمُ ما لو قالَهُ الغَيْرُ منشِداً ... لعادَ وسيفُ الطَّرفِ عنه كليلُ

فعُذراً فما أخَّرْتُ نَظْمَ جوابِكم ... لبُخْلٍ ولكن ما إليه سَبيلُ

وقد صحَّ قولي أنَّ قلبي مُمَلأٌ ... وجسمُ انتحالي للقريضِ نحيلُ

فلا تلح نظم المستعينِ بِمَنْ مَضَى ... لهَدْمٍ وتضمينٍ عليه يخيلُ

---

(١) في (ط): «فعلها».

(٢) ساقطة من (ط).

فإن أنت لم تَعْذُرْ أخاكَ وجَدْتَه ... وإيثاره للصبر عنك جميلُ
ولُغْزُك في القلب استقرَّ مقامُه ... وثلثاه للقلب الزَّكيِّ مثيلُ
نُفيسٌ[1] إذا قَلَّبْتَه فنفوسُ مَنْ ... يُعاني الصَّبا ظلَّت إليه تميلُ
وقلْبُهُ أيضاً تلقَ عَوْنَ مسافرٍ ... يطيبُ إذا هبَّت عليه قَبُولُ
بَقِيتَ صلاحَ الدِّين تُصْلِحُ بالنُّهى ... فساداً له في الفاضِلينَ دُخُولُ
ولمْ لا يَجُوزُ العقلُ أجمعَ سيِّدٍ ... غدا حمزةٌ عمّاً له وعقيلُ

فكتب إليه الشَّريف حين وقف على الجواب ما نصُّه:

توفَّر عندي عِلْمُ ما أنتَ عالمٌ ... على الحاصلِ المعلومِ دلَّ حصُولُ
أبى الفَضْلُ إلاَّ أن يكونَ لأهلِه ... ومَنْ لمهادِ الخَيْرِ فهو سَليلُ
أتاني جوابٌ مِنْ أميرٍ بلاغةٍ ... وذاك زكيٌّ في الفُروعِ أصيلُ
ألذُّ مِنَ الميعاد في سَمْعِ عاشقٍ ... وأشهى مِنَ المعشوق وهو كحيلُ
وألهى عَنِ الرَّوضِ النَّزيه بوَشْيِهِ ... وعَنْ طيره المُمْلي الشجِيِّ مُمِيلُ
يُسَلِّي عن الأوطانِ ترجيعُ قولِه ... ويُطْرِبُ للأسماعِ وهو يقولُ
تلطَّفتَ في بِرِّي وأظفرتني عداً ... ونوَّهتَ مِن قدري فَصِرْتُ أصولُ
فديتُك ما استمطرتُ باللُّغْزِ ما أتى ... سِوى قصد تدريبٍ عليه أُحيلُ[2]
فيا جِهْبِذَ النُّقَّاد يا جَوْهَريَّها ... ويا فارِسَ الآداب حين تَجُولُ
لأنت لأخبارِ النُّبُوَّة حافظٌ ... وللشِّعر كيلا يعتريه غُلولُ[3]
إمامٌ لنا قاضي القُضاة وخَيْرُنا ... وحَبْرٌ وجَبْرٌ للسَّؤُول حمُولُ
شهابُ العُلا للمستضي وفْق أُفْقِنا ... وبَدْرُكَ أيضاً لا اعتراه أفولُ
فدُمْتَ مُجيباً ما حَبِيتَ تكرُّماً ... ببابِكَ سُؤَّالٌ وأنتَ مَسُولُ

---

(١) في (أ): «نفوس».

(٢)(٣) هذان البيتان لم يردا في (ط).

قلت: وقد أجاب عن اللغز المذكور أيضاً الزَّينُ بن الخرَّاط الماضي قريباً.

وكتب إليه الشريف المذكور مع طاقيّة[1]:

يا شيخَ أهل العلم مَنْ عندَهُ ... مكارمُ الأخلاقِ مجبُولَهْ
هديَّتي جاءت وأرجو بِأنْ ... تكونَ كالأعمالِ مقبُولَهْ

فأجابه:

تقبَّلَ الله هداياك يا ... سيِّدَ أهلِ البيتِ موصُولَهْ
لمَّا غدت عندي موضوعةً ... صارت على رأسِيَ محمُولَهْ

وكتب إليه النَّجم محمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف المُرجاني:

يا فاضلاً بهرَ الورى ... بذكائه وبِنَظْمِهِ
شَخْصٌ يُصَحَّفُ ثمَّ يُعـ ... ـكسُ مثل ما في عِلْمِهِ
أتراه أدرك ما يقولُ ... أم الخَطا في فَهْمِهِ

فأجابه:

حاشا عُلاه مِنَ الخَطا ... مولىً عَلاَ في فَهْمِهِ
فحلُّ الحِجَا تصحيفُه ... يُسبي العُقولَ بنظمِهِ
بلغَ السَّماءَ ويَرْتَجي ... فوقَ السَّماءِ لنظمِهِ

وكتب إليه النَّجمُ أيضاً:

يا إماماً سألتُه حلَّ لُغزٍ ... شطَّ منه مَزاراً أهلُ الذكاءِ
أهملِ الثُّلْثَ باعتناءٍ وقلبٍ ... تره جاءَ قائِدَ الشُّعراءِ

---

(١) في (أ): «طاقته»، تحريف.

فأجابه:

مـرحـبـاً مـرحـبـاً بـلـغـزِ إمـامٍ ... قـد تـلـقّـى لأرْؤُسِ الـرُّؤَسـاءِ
جاءَ لـلـقـلـبِ مـنـه خـيـر طـبـيـبٍ ... لـم يُـصَـحَّـفْ عَـنْ رُتـبـة الـحُـكـمـاءِ

وكتب إليه النجم أيضاً:

يا سادتي ما اخترتُ أسمعُ سبَّكم ... يـومـاً ولا تـاقَـتْ لـه أسـمـاعـي
فـتـأمَّـلُـوا لُـغـزي بـقـلـبٍ تـعـرِفُـوا ... تـصـحـيـفَ مـعـنـاه وحُـسْـنَ طِـبـاعـي

فأجابه:

حاشاك تسمعُ سبَّنا مِنْ بعدِ ما ... أصـبَـحْـتَ فـي الآدابِ خـيـرَ مُـطـاعِ
مـا أمـلـحَ الـلُّـغْـزِ الـذي تـأتـي بـه ... مـع أنَّـه كـالـشَّـهـد فـي الأسـمـاعِ

وكتب إليه النَّجمُ أيضاً:

أبا الفضلِ يا قُطبَ العُلا وشهابَها ... ومَنْ خصَّه الرَّحمٰنُ بالعقلِ والنَّقلِ
تجوَّز ترى مِثْلَه اعكِسْ مصحَّفاً ... أجِبْنِي سريعاً ناظماً يا أبا الفضلِ

فأجابه:

لعَمْري لقد ألغَزْتَ في نسبٍ له ... بك الشَّرَفُ المشْهُورُ بينَ أُولي الفَضْلِ
يـرادفُـه فـي لـفـظِـه سـارَ ظـالـمٌ ... وقد جاز بُستانيَّ رَوْضٍ فمثِّل لي

وكتب إليه البدر محمد بن أبي بكر بن عمر بن الدَّماميني في سنة خمس وتسعين مُلغزاً:

أبا الفضل حقّاً أخصَبَتْ روضةُ المُنَى ... بـآدابِـكَ الـلاتـي تـجـودُ بـهـا صَـوْبَـا
فـمـا اسـمٌ إذا صـحَّـفْـتَـه وعـكَـسْـتَـهُ ... وجِـئْـت بـمـعـنـاه تـجِـدْه شـرى ثـوبَـا

فأجابه:

أمولاي بدرَ الدِّينِ ألغزتَ بلدةً ... لقد جُبْت آفاقَ البلادِ لها جَوْبَا
وفي أذرُعاتٍ باعُ فضلِكَ طائلٌ ... وفي مِصرَ حتى ذَابَ حاسِدُكم ذَوْبَا

وكتب إلى البدرُ محاجياً:

يا فاضلاً بهر[1] الأفهامَ منطقُه ... لقد جَلَوْتَ معمَّى كلِّ مشتَبِه
حاجِ العِدَا لا يَخْطَاك السُّرورُ وَقُلْ ... لجمعِهِمْ ما مِثال الحزنِ جيءَ بِه

فأجابه: . . . . . [2]

وكتب إلي البدر المذكور:

يا فريداً في الذَّكا ما بلدةٌ ... قد غدت في جبهة[3] الإقليم غُرَّهْ
إن تَجِئْ بالمِثْلِ مِنْ تصحيفها ... تُلْفَ يا رَبَّ الحِجَى جئت بِنُدْرَهْ

فأجابه:

يا شهابَ الدِّين يا مَنْ نظمُه ... في سماءِ الحسن قد أشبه نَثْرَهْ
مصرُ فاقتْ بِكَ إشبيليةً ... وبها أصبحتَ في الرَّوضة زهرهْ
حبَّذا لغزُك مِنْ أحجيَّةٍ ... سحرُها أثَّرَ في الأفهام حسرَهْ
شنَّفَتْ سمعي بما قد أفصَحتْ عن ... بيان فهي في الحالَيْنِ دُرَّهْ
لو رأى الأفْقُ مُحَيَّا شَمْسِها ... إذ تبدَّت ودان يَبْذُلُ بَذْرَهْ
فتجاوَزْ عَنْ جواب مُرسَلٍ ... لك يا حامي العُلا في حينِ فترهْ
وتفضَّل وأبِنْ لي بلدةً ... قد غدت للنَّجمِ في الرِّفعَةِ ضرّهْ
صحِّفِ اللَّفظَ وقُلْ مُشبِهُهُ ... إن تُرِد في الحال أنْ تُظْهِرَ سِرَّهْ

---

(١) في (ب): «ابتكر».

(٢) بياض في الأصول.

(٣) في (أ): «جهة».

لـتـرى مـوضـعَ وفـقٍ زُزتَـه فـأبِـنْ مـعـنـاهُ واكـشِـفْ لِـيَ سَـتْـرَهْ
وابـقَ فـي خـفـضٍ مِـنَ الـعـيـشِ ودُم يـا رئـيـسـاً رَفَـعَ الـرَّحـمٰـنُ قـدْرَهْ

فأجابه صاحب الترجمة أيضاً: . . . . . [1]

وكتب إلى البدر أيضاً:

يـا سـيـدي انـظُـر فـي قـريـضِ فـتًـى حـاز الـفـضـائـلَ مـنـكُـمُ والـحـظْ
صـحِّـفْ فـديـتُـك مـا يُـرادِفُـه يـا ذا الـعُـلا مـتـوهّـم أيـقـظْ

فأجابه:

يـا سـيِّـدي أنـتَ الـذي بـالـسَّـعـدِ حـظُّـك صـار يُـلـحـظْ
ونـظـيـرُ لـغـزِكَ فـي الأحـاجـي سـار عـامـاً فـالـحـظُّ ألـحـظْ

وكتب إلى البدر أيضاً:

أبَـدْرَ الـدِّيـن دُمْ واصـبِـرْ لـتـثـقـيـلـي وتـلـفـيـقـي
وصـحِّـفْ قَـلْـبَ مـعـنـى قَـدْ بـدا مـنـزل مـعـشـوقـي

فأجابه: . . . . . [2]

وكتب[3] إليه الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد المُغيربي[4]

---

(١) بياض في الأصول، وقال السفيري في «مختصره»: وأخلى السخاوي لجواب البدر بياضاً.

(٢) بياض في الأصول.

(٣) من هنا إلى قوله: «فالراء في العد خمس الألف للحسبة» ورد في (ب) بعد قصيدة أبي المعالي ابن خطيب داريا السينية في ص ٨٣٠ ـ ٨٣٢، وقد كانت في هذا الموضع في (ح)، ثم كتب المصنف في الهامش: يؤخر أربعة أوراق قبل الهيثمي.

(٤) في (أ، ط): المغربي، تحريف، وقد ضبطه المصنف في الضوء اللامع ٨/ ١٦٤، فقال: الميم مضمومة ثم معجمة مصغر.

مع سلّة مشمش أرسلها هدية، مما أنشدنيه لفظاً:

أرسلتُ مَنْ تيَّمتني فانظروا فاها وفاها
واجبر بفضلك حتَّى ترى شِفَاها شِفَاها

والتمس جوابه، فأبطأ عليه، فأرسل إليه سلّةً أخرى، ومعها:

من تيمَّنتُ به أرسلتُه كدموعي حَيْثُ نابَتْ عَنْ دمي
وجوابي بعدَه برَّحَ بي كالجوابي عند خدٍّ عَنْدَمي

فأجابه:

يا فوزَ حظٍّ بمولى للعهدِ والوُدّ يَحْفَظْ
يقولُ للقلبِ قابِل هديَّتي والحظ ألحَظْ

وكتب إليه المذكور أيضاً مع هدية رُمَّان ما نصه: هديَّةُ الغِلمان على ورق الرُّمَّان.

هديَّةُ العبد إنْ قَلَّتْ مباركةٌ لأنَّها مِنْ حلالِ الرِّزْقِ مُكْتَسَبَهْ
قَبُولُها الجَبْرُ إنْ مرّ[1] الزمانُ بها بالقلبِ محبورة للسَّعد مُرتقبَهْ

فأجابه مع هدية سُكَّر ما نصُّه: الحمد لله شكراً.

حاشى هديّة ذي حِبٍّ يُقالُ بها[2] قِلٌّ وقد أكثر المُهدي لها أدبَهْ
ولم يقلّ زمانٌ مكثرٌ عدداً فالرَّاء في العدِّ خُمسُ الألفِ للحَسَبَهْ

واتَّفق أنَّ المذكور توجَّه عَنِ السُّلطان في كشف بعض الكنائس مع القُضاة، فرأى مِنَ العَلَمِ صالحِ البُلقيني ما يُشعِرُ بمساعدة أهل الذمّة، فقال:

---

(١) في (ب): «منّ».
(٢) في (ط): «لها».

إنّي لأُقسِمُ والوجودُ مُصدِّقٌ لا يُرغمُ الأعداءَ إلا صالحُ

ووصلَ علمها لصاحب الترجمة، فقال:

لا يُرغِمُ الأعداءَ إلاَّ صالحُ بالحقِّ يعبدُ ربَّه ويُناصِحُ
أما والاسمُ يخالِفُ الفِعْلَ الذي يبدو فتِلْكَ قبائحُ وفضائحُ

ونحوُهما قولُ شيخنا: (الاسم غير المسمَّى).... البيتين، وقد أسلفتُهما في خطّاب من الباب الثالث[1].

وكلّ ما عدا الأوّل أثبتُّه استطراداً[2].

وكتب إليه الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن عبد الكريم الهيثمي مُلغزاً في رُطب:.....[3]

فأجابه:

يا فاضلاً فاق في منظومه الحسَنِ لله لُغزُك ما أحلاه حين جُنِي
ألغزْتَ لي في شهِيِّ الطَّعم آكُلُه قريرَ عينٍ قليل الهمِّ والحَزَنِ
حلوٌ كمَنْ إذا حوَّلت أحرُفَه وصارت العين[4] صاداً يا ذوي الفِطَنِ
يزهو ولا عجبٌ فالزَّهْوُ مشترطٌ به لذي البَيْعِ إن ساومتَ بالثَّمنِ
في قلبه بطرٌ مِنْ عُجْبِه وبه رَبْطٌ بتأخير عينٍ منه لم تُعِنِ
وإن تُقَلِّبْهُ مُسْتاماً تَجِدْ طرباً شَوْقاً إليه لسِرٌّ فيه مُكتَمِنِ
زِدْ بعدَ تقليبه وهو الجمادُ ترى طَيْراً إذا استَنطَقُوه كان ذا لَسَنِ
ملوَّنُ الخَلْقِ يبدو أبيضاً وإذا بجسمه كَلَحٌ مِنْ خُضرَةِ البَدَنِ

---

(١) ١/ ٤٥٠.
(٢) من قوله: «واتفق أن المذكور» إلى هنا لم يرد في (ب)، وزاده المصنف في هامش (ح).
(٣) بياض في الأصول.
(٤) ساقطة من (ط).

لـصُـفْـرَةٍ واحـمـرارٍ يـسـتـحـيـلُ إلـى ... سـوادِه مـع قُـربِ الـعَـهْـدِ بـالـوطـنِ
مـصـاحـبٌ لـلـنّـوى إن غَـرَّبُـوه إلـى ... شَـرْقٍ وغـربٍ لـذي الأوقـار والسُّـفُـنِ
هـا قـد أجبتُ كـمـن أهـدى إلـى هَـجَـرٍ ... تـمـراً وجُـؤنـةَ عـطّـارٍ إلـى عـدنِ

وكتب إليه القاضي المُقرىء شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر البغدادي الزركشي في حجر:

يـا شـهـابـاً لاح فـي أُفُـقِ الـعُـلا ... وعـلـى الـشَّـمـسِ ضـيـاهُ قـد طـرحْ
أيُّـمـا اسـمٍ ذي حُـروف أربـعٍ ... وهـو فـي الـوزنِ متـى يُـقْـلَـبْ رجَـحْ
إنْ تُـعـرِّفـه بـمـعـنـى قـلـبـه[1] ... وبـه ربِّـي عـلـيـكـم قـد فـتـحْ
هـو جِـنْـسٌ مـنـه أنـواعٌ إذا ... مـا رآهـا الـطِّـفْـلُ يـومـاً قـال: دَحْ
مـا عـلـيـنـا حـرجٌ فـي قـلـبِـه ... ولـه فـي الـقـلـب جُـرْحٌ قـد وَضَـحْ
غـالـبُ الأوقـاتِ يُـلـقـى بـارداً ... عـجـبـاً إذا أودَعْـتَـه مـاءً نَـزَحْ
فـيـه جـرُّ أبـداً حـيـثُ بـدا ... ومـتـى تـرفَـعْـه أو تَـنْـصِـبْـه صَـحْ
وإلـيـه نَـسَـبُـوا ذا فـطـنـةٍ ... كـاملِ الأوصـافِ مـجـمـوعِ الـمُـلَـحْ
ذا بـهـاءٍ وضـيـاءٍ وحـيـاً ... وهـو فـي الآداب بـحـرٌ قـد طـفَـحْ
زيـنُ راء عـيـنُ مـصـرٍ مُـزْوِيٌ ... لـلـصَّـادِ كـافٍ بـالـعـطـايـا والـمِـنَـحْ
وزن مـدحـي فـيـك[2] قـد حـرَّرتـه ... يـا كـريـمـاً مـا تـراه قـطُّ[3] شَـحْ
فـاسـقـنـي كـأسَ جـوابٍ فـيـه مِـنْ ... زِنْـدِ نـارٍ بـافـتـكـاري قـد قـدحْ
فـعـلـى الـعـبـدِ لـكُـمْ جـارِيَـةٌ ... صـدقـاتٌ إن أجَـبْـتُـم ومِـنَـحْ

فأجابه:

---

(١) في (ط، ح): «قبله».
(٢) في (أ): «فيه».
(٣) في (أ): «قد»، خطأ.

أزهـــورٌ أم نـــجـــومٌ أزهـــرتْ ... أم سحابُ الفكر بالجَوْهَرِ سَحْ
مرحباً باللُّغزِ منظوماً أتى ... بيواقيتٍ ودُرٍّ كالسُّبَحْ
وبَدَتْ لي مُلَحٌ قد مُلِّحَتْ ... فيه بالله ما أحلى المُلَحْ
صحَّ فكري وله في بعضِهِ ... وقفة ثمَّ تجلَّى ووضَحْ
فاستَلَمْتُ الحَجَرَ المرفوعَ مِقْـ ... ـدارُه في القلب لمَّا أن رَجَحْ
كان صدري لهمُومي ضيِّقاً ... فأتى مُغلقَه لي فانْشَرَحْ
بسُطورٍ هُنَّ لي مُغْتَبَقٌ ... في طُرُوسٍ ليَ منها مُصْطَبَحْ
ذا كَمِسْكٍ ضاع بالطِّيب وذا ... في النَّقا والحُسْنِ كافور نفَحْ
حبَّذا ألفاظ شيخٍ قد حَلَتْ ... فإذا الطِّفْلُ رآها قال: نَحْ
كُفَّ عَنْ ذي خاطرٍ.....[1] ... لو كان بحراً لانْزَحْ
خلِّ عنِّي إنَّني في شُغُلٍ ... عنك يا خِلِّي بحالٍ لي صَلَحْ
واسْقِ كأسَ اللُّغزِ مَنْ يشتاقُه ... فإذا فسَّرَه ناديتُ: صَحْ
فالثَّنا في وصفكم مُخْتَتَمِي ... والرِّضا عمَّا نظمتُمْ مُفْتَتَحْ

وكتب إليه الزركشي أيضاً أُحجية (في غزالة)[2]:

أيا حاويَ العِلْمِ منهاجُه ... يدُلُّ الأنامَ على فضلِهِ
بتنبيهك اليومَ أيقظتنا ... فما مِثْلُ جاهد مِنْ أجلِهِ

فأجابه:

غزالةُ أُفقِ السَّما أشرقت ... ولا مِثْلَ لُغزِكَ أو حَلِّهِ
وربُّ الحِجَا أنتَ فارفُقْ بنا ... فشِعْرُكَ يُعجز عن مثلِهِ

---

(١) بياض في الأصول.
(٢) ساقطة من (ب).

وكتب العلاَّمة الفريد محبُّ الدين أبو الوليد محمد بن محمد بن عبد الله بن الشحنة:

ما القَوْلُ في امرأةٍ مع خمسة ورِثُوا ... قرابةً فَدَعَتْ: يا أيُّها النَّاسُ
لابنتيَّ ولي ذا المالُ أجمَعُهُ ... وابني وأُمّي وأُختي وهو أسداسُ

فأجابه عنه صاحبُ الترجمة:

أمٌّ وأختانِ منها إرْثُهُنَّ غدا ... ثُلثاً وسُدْساً سواءً ما فيه إلباسُ
وبالولا وُرِّثَتْ أمُّ الرَّضاع كذا ... ابنٌ وأختٌ فهذا الإرثُ أسداسُ

ثم نزَّله على صورة أخرى لأجل قوله: (ورثوا قرابة)، فقال:

ثنتانِ مِنْ أمٍّ أمّ شبهة وأتى ... إحداهما الأبُ[1] وطئاً فيه إلباسُ
أتتْ بِبِنْتَيْنِ منه ثم من عَصَبٍ ... بابنٍ ومات أبٌ فالمالُ أسداسُ

ثم نظم صورةً أُخرى، فقال:

بنتان مِنْ أمِّ جدٍّ شُبهة وأتت ... مِنْ حافِد الجدِّ الأُولي أيها النَّاسُ
بابنتين وبابنٍ عاصبٍ وتوفي ... الواطئون فمالُ الجَدِّ أسداسُ

وقد أجاب ناظِمُها نفسه بقوله: وهو مناسخة، بخلاف ما قبله، فإنه مِنْ بطنٍ واحدٍ:

أمٌّ وأختانِ منها وابنُ عمِّ أبٍ ... قد مات والمال لم يدركه إمساسُ
ثم ابنَتَيْنِ وابن واحدٍ وُلِدُوا ... مِنَ إحدى الاختين فالميراث أسداسُ[2]

---

(١) في (ط): «للأدب».

(٢) قال السفيري في «مختصره» بعد هذا: قلت: وصورة السؤال نثراً أن يقال: إن قيل: أي امرأة جاءت ومعها خمسة، فقالت: إن قرابتنا قد مات، وإن ميراثه لي ولابنتيَّ ولأمي وأختي أسداساً لكل منا سدسه. =

وكتب إليه الحافظ جمال الدين محمد بن موسى بن علي بن عبد الصَّمد بن محمد بن عبد الله المراكشي أحد تلامذته، وهما بينبُع مِنْ درب الحجاز في أوائل العشر الأخير مِنْ ذي القعدة سنة خمس عشرة وثمانمائة ما نصُّه، كما نقلتُه من خط ابن موسى:

أواحِدَ عصرِهِ مِنْ غَيْرِ خُلْفٍ فيه لاثنينِ
أَبِنْ بلداً لمن أهوى دنا مِنْ غير ما بَيْنِ
له اسمٌ وهو فِعْلٌ لامُه عينٌ بلا مَيْنِ
كدمعي وهو بالتَّصحيف بَعْدَ القَلْبِ في عين[1]

= وصورة الجواب الثاني لصاحب الترجمة نثراً أن يُقال: زيد وطىء جدته أم أمه وَطْءَ شبهة فأولدها بنتين، ثم نكح إحداهما عمرو ابن عم زَيد لأب، فأولدها ابناً، ثم وطىء زيد هذه المنكوحة وطء شبهة فأولدها بنتين، ثم إن عمروا قتل زيداً عمداً، فحاصل ما ترك زيد من الورثة جدته وأربع بنات وابن عم لأب، ومرأة القاتل له هي زوجة عمرو وابنها ابن ابن عم الميت، وأمها هي الجدة أم الأم الموطوءة وأختها وبنتاها، فهن أربع بنات للميت، وصدق أنهم ورثوا المال أسداساً، لأن للبنات الثلثين وهن أربع، وللجدة السدس، وللعاصب ما بقي، وهو السدس.

وقال القاضي عبد البر بن الشحنة في كتاب «الألغاز» التي وضعها على مذهب الحنفية بعد نقل ما أجاب به ابن حجر: «البنتان الأخيران، وهما بنتان من أم جد إلى آخرها»: أحسن الأجوبة التي أجاب بها قاضي القضاة ابن حجر. قال: وأما ما أجاب به الجد رحمه الله نفسه، فصورته نظماً قوله: أم وأختان منها... إلى آخرهما، كما تقدم في كلام السخاوي.

ونثراً: أن هذا رجل مات عن أمه وأختين لأم وابن عم أبيه، فلم تقسم التركة، ثم إن ابن العم تزوج إحدى الأختين، فأولدها بنتين وطلقها وتزوجت بابن عم له، فأولدها ابناً، ومات زوجها الثاني ثم الأول الذي منه البنتان، فيخص الأم من التركة الأولى السدس والأختين الثلث لكل واحدة منهما السدس، والباقي لابن العم، فلما مات قبل قسمة التركة عن بنتيه، كان لهما الثلثان من تركته، وهي ثلث أصل المال، فكان لكل واحدة منهما سدسه، والباقي وهو ثلث تركته وسدس أصل المال، فكان لكل واحد سدس المال، والله الموفق. انتهى.

(١) في (ط): «عيني».

فأجابه: . . . . . [1]

ولنختم هذا الفَصْلَ بشيءٍ مِنْ ألغازه التي ما علمتُ عنها جواباً، ونبذةٍ مِنْ مقاطيعه [البديعة معنى وخطاباً][2].

فمِنَ الأول:

قوله في أنس:

لك أخبارُ معال[3] ... خُبْرُها في النَّاسِ أحسَنْ
وسَناءٌ في اطِّرادٍ ... بانعكاسِ الضِّدِّ أعلَنْ
أيُّما اسم هو فِعْلٌ ... مع تحريفٍ يُعَيَّنْ
لم يَبِنْ إنْ صحَّفوه ... ومَعَ الحَذْفِ تبيَّنْ

وقوله في إسماعيل:

لي عامٌ ساءَ قلبي ... فيه بُعدي عن حبيبي
أضمَرَ القلبُ اسمَهُ عَنْ ... كلِّ لاحٍ ورقيبِ

وقوله:

يا إماماً فضلُه في ... كلِّ معنى ليس يُحصَرْ
أيُّ شَيءٍ قلتُه في ... كلِّ بحرٍ قد تقرَّرْ
أنت إن بدَّلتَ منه ... ثُلْثَهُ الآخر[4] يظهرْ

وقوله:

ما اسم أُحاجيكَ به يا فتى ... دام على كلِّ بليغٍ مَسُودِ
إنْ بدَّلَ القلبَ أخو فِطنَةٍ ... سوفَ يَراهُ طالعاً بالسُّعودِ

---

(١) بياض في الأصول.
(٢) ما بين حاصرتين زيادة من (ب).
(٣) في (ب): «معان».
(٤) في (ط): «الأخير».

فقِسْ مَحَلَّ اللُّغْزِ تجْرَحْ[1] بِه ... مِنْ بعد تصحيفِكَ قلبَ الحَسُودِ

وقوله في ناقة:

يا أيُّها القارئُ ما آيةٌ ... أحرُفُها أربعةٌ ظاهِرَهْ
وقبل حرف واحدٍ كلُّها ... فاعجب لها مِنْ آيةٍ باهرَهْ

وقوله في مصحف:

وما اسمٌ شريفٌ في اسمه وصفاتِه ... ومقداره مِنْ[2] كلِّ ما لاح أشرفُ
يحرِّفُه الأعداءُ لكن مُحبّه ... إذا حرّفوه قال: هذا مُصحفُ

وقوله في عرفة:

ما اسمٌ يحبُّه أولو[3] التقى[4] غدا ... ظرفَ مكانٍ وزمانٍ وصِفَهْ
يخفى على ذي الحِذْقِ لكن إن بدا ... مِنْ بعد وَضْفٍ فيه بقلبٍ عرفهْ

[مقاطيعه]

ومِنَ الثاني قوله:

وقائلٍ هلْ عملٌ صالحٌ ... أعددتَه يدفعُ عنكَ الكُرَبْ
فقلت: حسبي خدمةُ المصطفى ... وحبُّه، «فالمرءُ مع مَنْ أحبْ»

وقوله:

يقولُ حسودي إذْ مدحتُ محمَّداً ... ليَشْفَعَ لي هل أنت بالشِّعرِ واصلُ
وهل لكَ عند المصطفى مِنْ وسيلةٍ ... وهل أنتَ مستجدٍ؟ فقلت: وسائلُ

---

(١) في (أ): «تخرج»، تصحيف.
(٢) في (ط): «في».
(٣) في (ط): «أولي»، خطأ، وفي مختصر السفيري: «أهل».
(٤) في (أ): «التقوى».

وقوله:

أفٌ لمدَّعي الاتِّحاد فأهلُها ... منْهَا جَهْمٌ في الدِّين أصبح أعوجا
إن قمتُ أهجوهُم فإنِّي باتِّباعِ ... السُّنَّة الغرَّاء أقومُ مَنْهَجَا

وقوله، وكتبهما في خطبة «ديوانه»:

يا سيِّداً طالَعَهُ ... إنْ راقَ معناه فعُدْ
وافتَحْ له بابَ الرِّضا ... وإنْ تَجِدْ عَيْباً فسُدْ

وقوله في العشرة المشهودِ لهم بالجنة، فلم يُسبَق، لكونهم في بيت واحد:

لقد بشَّر الهادي مِنَ الصَّحْبِ زُمرةً ... بجنَّاتِ عَدْنٍ كلُّهُم فضلُه اشتهَرْ
سعيدٌ زُبيرٌ سَعْدُ طلحةُ عامرٌ ... أبو بكر عثمانُ ابن عوف عليٌّ عُمَرْ

وقولُه مِن أبيات:

النَّاسُ بالحقِّ قد أقرُّوا ... أنَّ المعالي لكُمْ قرارُ
واتَّفقُوا أنَّكَ المُعلَّى ... ما اختلفَ اللَّيلُ والنَّهارُ

وقوله، وقد وقف على قولِ الأصمعي: من لم يحتملْ ذُلَّ التَّعلُّم ساعة، بقِيَ في ذُلِّ الجهلِ أبداً.

عن الأصمعيِّ جاءت إلينا مقالةٌ ... تُجدِّدُ بالإحسان في النَّاسِ ذِكْرَهُ
متى يحتَملْ ذُلَّ التعلُّمِ ساعةً ... وإلاَّ ففي ذُلِّ الجهالةِ دهرَهُ[1]

---

(١) قال السفيري في مختصره بعد هذين البيتين قلت: وقد نظم بعضهم هذا المعنى وزاده فقال:

ومن لم يذُق ذُلَّ التعلُّم ساعة ... تجرَّع ذلَّ الجهل طول حياتِهِ
ومن فاته التعليم حين شبابه ... فكبِّر عليه أربعاً لوفاتِهِ
فإن حياة المرءِ بالعلم والتُّقى ... فإن لم يكونا لا اعتبار لذاتِهِ

وقوله:

لـذَّةُ دنـيـاكَ[1] بـسـبـعٍ فـاعـلَـمِ ... يـجـمـعُـهـا قـولُـك لـلـمـسـتـفـهِـمِ
اسـكـن كـل اشـرَبْ الـبَـسْ ... اسـمـع نـك نـمِ

وقوله:

والَهْفَ نفسي على سبعٍ لو اجتمعَتْ ... عـنـدي فـإنِّـيَ لـلَّـذات مـحـتَـقِـرُ
بيتٌ على البحرِ والبستانُ داخلُهُ ... والـبـابـلـيُّ والـبـقـا والـبـدرُ والـبِـدَرُ

وقوله:

ثلاثٌ مِنَ الدُّنيا إذا هي حُصِّلَتْ ... لشخصٍ فلَنْ يخشى من الضُّرِّ والضَّيْرِ[2]
غنىً عَنْ بينها والسَّلامةُ منهمُ ... وصحَّةُ جسمٍ ثمَّ خاتمةُ الخَيْرِ

وقوله:

دعِ الذَّمَّ للدُّنيا فكم مِنْ مُوَفَّقٍ ... يـقـولُ وقـد لاقـى الـنَّـعـيـمَ بـجـنَّـةِ
حياتي لو مُدَّتْ لزادت سعادتي ... فـيـا لـيـتَ أيَّـامـي أُطِـيـلَـتْ ومُـدَّتـي

وقوله:

مَنْ يأتِ معصيةً فليُخفها حذراً ... مِنْ أن يَعُمَّ البلا بالنَّاس إن جَهَرَا
وكـارِهُ الـمـنـكَـرِ الـدَّانـي كـغـائِـبـه ... ومن نأى وهو راضٍ مثلُ مَنْ حَضَرَا[3]

وقوله، وكتب بها إلى القاضي صدر الدين الأدَمي أوَّل ما وَلِيَ كتابة السِّرِّ بدمشق عِوَضاً عَنِ الشَّريف علاءِ الدِّين:

---

(١) في (أ): دنياه.

(٢) في (ط): «الضرر».

(٣) هذان البيتان لم يردا في (ب).

تهنَّ بصدرِ الدِّين يا منصباً سما ... وقُلْ لعلاء الدِّين فليتأدَّبا
له شرفٌ عالٍ وبيتٌ ومنصِبٌ ... ولكن رأينا الصَّدرَ للسِّرِّ أنسبَا

وقوله:

بالله سر يا رسولَ حِبِّي ... إليه إذ ظلَّ لي مُبَاعِدْ
فإنْ جرى عندَه حديثي ... أعِنْ وكُنْ لي يداً وساعِدْ

وقوله:

رأينا معيداً جالساً وسْطَ حلقةٍ ... فقيل تعالَوْا تسمَعُوا الأوحدَ الفَرْدَا
سيُبدي لكم لما[1] يعيدُ فضائلاً ... فلمّا رآنا لا أعادَ ولا أبدى

وقوله:

أُنهي[2] بحضرتك السعيدة أنّني ... مِنْ فرطِ ما هَمَلَتْ دموعي أرمَدُ
وعجَزْتُ حتَّى ليس لي سَمْعٌ لمَنْ ... يُلحي وليس بِدَفْعِهِم عني يدُ

وقوله:

أيُّها النَّجمُ دعاءٌ ... مِنْ سقيمٍ كاد يَهْلَكْ
عُذْتَه يوماً وما[3] عُذْتَ ... فإيهٍ عُذْ بفضلِكْ

قلت: وهما مِنْ محاسن قوله، لأنَّه جمع المعاني الثَّلاثة التي قال فيها القائل:

مِرضتُ لله قومٌ ... ما فيهمُ مَنْ جفاني
عادوا وعادوا وعادوا ... على اختلافِ المعاني

---

(١) في (أ): «ما».
(٢) في (ط): «أهني»، تحريف.
(٣) «وما» ساقطة من (ط).

يعني: أن الأول: مِنَ العيادة، والثاني: مِنَ العَوْد، والثَّالث: من قولهم: اللهمَّ عُدْ علينا مِنْ فضلِك، [أو مِنَ العائدة الصِّلة][1]:

وقوله في مقدمة كتاب جاءه ممَّن يُسمَّى بأبي بكر:

أتاني كتابٌ منكَ أحسِبُ أنَّه ... حوى زهرة المنثورِ والعنبر الشِّحري
تقدَّمْتَ فيه الكاتبينَ وفُقْتَهُم ... بفضلِكَ والتَّقديمُ حقُّ أبي بكرِ

وقوله في رسالة للزَّيني عبد الباسط لمَّا حجَّ في سنة أربعٍ وثلاثين:

مَنْ فاته أنْ يراك يوماً ... فكلُّ أوقاتِه فواتُ
وأينَ ما كنتَ في جهاتٍ ... فلي إلى وجهِكَ التفاتُ

وقوله:

أمولاي نورَ الدِّين دعوة مُبعَدٍ ... حزينٍ قضى أنَّ الوِصالَ سُرُورُهُ
يَقيكَ بقلبٍ أنتَ أوقدتَ نارَهُ ... ويَفديك بالطَّرف الذي أنت نورُهُ

وقوله:

مولاي نورَ الدِّين غبتَ ... فزادَ دمعُ العين فيضا
ومضى الرُّقادُ وناظري ... مِنْ بعدِه والنُّورُ أيضا

وقوله:

أنسَ فلانُ الدِّين ذكرى مَنْ مضى ... كرماً وبأساً ما عليه غطاءُ
فَلَنَا نهارُ الحربِ منه مجاهدٌ ... ولنا نهارُ السِّلْمِ منه عطاءُ

(وقوله)[2] من قصيدة طويلة:

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب، ط).
(٢) ساقطة من (ب).

مَنْ للغريب مساعدٌ ومُدارِ غيرُ اللَّطيف بجودِه المِدْرارِ
مَنْ للغريب المُبتلى بصبابةٍ ونوىً فلا ينفكُّ في أفكارِ
قد كان لا يرضى الوصالَ تجنِّياً والآن يقنَعُ بالخيالِ السَّاري

وقوله رداً على الشهاب بن فضل الله، حيث قال إذ ألزم شهُودَ دمشق بإرخاء العذَبات[1].

أدلَتْ شهودُ الشَّامِ خلفهُمُ ذوائباً في العيان تُحتَقَرُ
كانوا بني آدمَ فمنذ بدت أذنابُهم صحَّ أنَّهم بقرُ

فقال:

قل للَّذي شبَّه الذوائب بالأذنا بِ أخطأت ما هم بقرُ
فآيةُ الرَّأس ليس تُشبِهُ ما في السُّفل بل في غصونهم ثمرُ

(وقوله)[2] لما سقطت منارةُ الجامِعِ المؤيَّدي:

لجامعِ مولانا المؤيَّد رَوْنَقٌ منارتُه بالحُسْنِ تزهو وبالزَّيْنِ
تقولُ وقد مالت عَنِ القَصْدِ أمهِلُوا فليس على جسمي أضرُّ مِنَ العينِ

فتوهَّم الشَّيخُ بدر الدين العيني أنَّه عرَّضَ به، فقيل ـ وهما للنَّواجي المسكين[3] ـ:

منارةٌ كعروس الحُسْنِ إذ جُلِيَتْ وهدَّمَها بقضاءِ الله والقدرِ
قالوا: أُصيبَت بعينٍ قلت: ذا غلطٌ ما أوجبَ الهَدْمَ إلاَّ خسَّةُ الحَجرِ

وكان سبقهما التَّقِيُّ بنُ حجَّة، وعرَّض بابن البُرجي ناظِر العمارة، فقال:

---

(١) في (ط): «العنايات»، تحريف.
(٢) ساقطة من (ب).
(٣) في «جمان الدرر»: فلمَّا سمعها العيني ذهب للنواجي، فنظم له معارضاً..

على البُرجِ مِنْ بابَيْ[1] زويلة أُنشِئَت ... منارةُ بيتِ الله والمعهدِ المُنجي
فأخنى بها البُرجُ الخبيثُ أمالها ... ألا صَرِّحُوا يا قومُ باللَّعنِ للبُرجي

وكذا قال شعبانُ الآثاري:

عَتِبْنا على ميل المنارِ زويلةً ... وقلنا تركْتِ الناسَ بالميل في هَرْجِ
فقالت قريني برجُ نَحسٍ أمالني ... فلا بارك الرَّحمن في ذلك البرجِ

وأنشدني الشيخ نجمُ الدين بنُ النَّبيه أوحد الموقعين (لنفسه)[2] معرضاً عن هذه المعاني كلِّها، فقال:

يقولون في مَيْلِ المنارِ تواضُعٌ ... وعينٌ وأقوالٌ وعندي جَلِيُّها
فلا البُرْجُ أخنى والحجارةُ لم تُعَبْ ... ولكن عروسٌ أثقلتها حُلِيُّها

وقال أيضاً:

بجامعِ مولانا المؤيَّد أُنشِئَتْ ... عروسٌ سمَتْ ما خِلْتُ قطُّ مثالَها
ومُذْ علِمَتْ أنْ لا نظيرَ لها انثنتْ ... وأعجبَها والعجبُ عنَّا أمالَها

ومن نظم شيخنا مَوَالْيَا قوله:

لك يا علي عينْ ... نقدُها بألف عينْ
ووجه مِنْ عينْ ... شمس الحُسن نُورُ وعينْ
وكم عليك عينْ ... أجْرَتْ دمع عيني عينْ
لا صابتْكَ عينْ ... يا مَنْ أوَّل اسْمُو عينْ

[الأولى: الجارحة، والثانية: الذهب، والثالثة: الذات، والرابعة: الحقيقة، والخامسة: الرقيب، والسَّادسة: الماء، والسابعة: العيان، والثامنة:

---

(١) في (أ): «يأتي».

(٢) ساقطة من (ط).

الحرف][1].

وله موشحات وزجل واحد نَظَمُه تجربةً لخاطره. وله دُوبيت:

يا مَنْ هجروا فالصَّبرُ كالرَّبع عفا ... والدَّمع مِنَ الجفونِ حسبي وكفى
رِفُّوا لفتى لرقّه ملكُكُم قد راق ... نسيب منه فيكم وصَفَا

وقوله:

العارضُ فوقَ الورد زاهٍ زاهر ... يا بدر لوَجْنَتَيْك باهٍ باهر
والقلبُ لصبري عنك ناهٍ ناهر ... والطَّرف وقد نأيت ساهٍ ساهر

وكان ـ رحمه الله ـ إليه المنتهى في كلِّ ما يصدُرُ عنه مِنْ ذلك في سائر أنواعه، مع سرعة عمله، كما ستأتي الإشارة لذلك عقب جوابه عن أبيات (أيا عُلماء الدِّين) مِنَ الفصل الذي بعد هذا[2].

وقد رثى شيخه البلقيني بقصيدة طويلة طنَّانة تزيدُ على ثمانين بيتاً، لم يتَّفق لأحدٍ من طلبة الشَّيخ ومحبِّيه ـ مع كثرتهم وتفنُّنهم ـ أن يأتي بنظيرها وقد جازاه ولدُه على ذلك بما لا يقابلُه عليه إلاَّ الذي أنطقه به.

وكذا له مرثيَّة لشيخه العراقي قافِيَّةٌ بديعةٌ في معناها[3].

وممَّا نُسِبَ إليه ما وُجِدَ بمجلس السُّلطان المؤيَّد في شعبان سنة إحدى وعشرين وثمانمائة في ورقه نصُّها:

يا أيُّها الملكُ المؤيَّدُ دَعْوَة ... مِنْ مخلصٍ في حُبِّه لك ينصَحُ
انظُر لحالِ الشَّافعيَّة نَظْرَةً ... فالقاضيان كلاهُما لا يصلُحُ

---

(١) ما بين حاصرتين ورد في (ط)، فقط، وقد كتبت هذه المعاني فوق كلمات (عين) في (أ، ح).

(٢) ص ٨٧٨ من هذا الجزء.

(٣) وقد أورد المرثيتين صاحب «جمان الدرر».

هـذا أقـاربـه[1] عـقـاربُ وابـنُـه ... وأخٌ وصِـهْـرٌ فِـعْـلُـهُـمْ مُـسْـتَـقْـبَـحُ
غطَّوْا محاسنه[2] بقُبْحِ صنيعهم ... ومتى دعاهم للهدى لا يُفلحُ
وأخو هراة بسيرةِ اللَّنك اقتدى ... فلَهُ سهامٌ في الجوارحِ تَجْرَحُ
لا درسُه يقرا ولا أحكامُه ... تُدرى ولا حِينَ الخَطَابَة يُفصِحُ
فافرُج هُمومَ المسلمين بثالثٍ ... فعسى فسادٌ منهم يُسْتَصْلَحُ[3]

ووقعت الموقع مِنَ السلطان، وصار يكرر إنشادها، فرحمه الله تعالى كيف لو أدرك زماننا هذا، وقد طُمِسَ الصَّلاحُ بفساده، وسكن إنكار المنكر من المؤمن في صميم فؤاده. نسأل الله حُسْنَ الخاتمة.

ويقرُب مِنْ هذا ما في ترجمة عبد الحاكم بن سعيد مِنْ قضاة مصر في قاضيين من أبيات فيها:

فلا ذا بسيرته يُرتضى ... ولا ذا بتدبيره يُسْتَضا
فهذا رئيسٌ به لوثَةٌ ... وهذا وضيعٌ بعيدُ الرِّضا
فما فيهما أحدٌ يُرتجى ... ولا فيهما أحدٌ يُرتضى
فلا بارك الله فيمن أتى ... ولا بارك الله فيمن مضى

(١) في (أ): «عقاربه».
(٢) في (ط): «محاسنهم».
(٣) في (أ): «مستصلح».

الفصل الخامس
فيما ورد عليه من الأسئلة المنظومة وجوابه عنها بفكرته المستقيمة

فمن ذلك ما كتب إليه إبراهيم بن عمر البقاعي[1]، ونصُّه:

الحمد لله العليِّ[2] الأمجَدِ ... الحاكمِ العدلِ الجليل السَّيِّدِ
ثم الصلاة مع السلام على الرَّ ... سولِ وآلِهِ والصَّحب أهلِ السُّؤدُدِ
ما قولُ شيخِ العصْرِ حافظِ وقته ... أستاذِ أهلِ الدَّهر نجمِ المهتدي
زين الزَّمان طرازِه سلطانِه ... مَلِكِ العلوم به الأئمة تقتدي
علاَّمةِ الدُّنيا ضِيَا أيامِها ... عينِ العبادِ إمامِ كلِّ مُوَحِّدِ
جبلِ الفحول وحَبرهم بل بحرهم ... قاضي القضاة شهاب ملَّةِ أحمدِ
في ناظرٍ ولِّي عمياً جاهلاً ... تدريسَ أخبارِ النبيِّ محمَّدِ
ثمَّ ارتماه حين حقَّق جهله ... وأقرَّ من يرضى لهذا المقصِدِ
ثم ارتضى الغمرَ الغبيَّ فردَّه ... وأقرّه مِنْ بعدِ عَزْلِ الأرشدِ

---

(١) في (ب): «الشيخ أبو الحسن إبراهيم....»، وقد كانت هكذا في (ح)، ثم محاها المصنف غفر الله له، وأبدلها بما هو موجود هنا، فانظر إلى خلاف القُرناء ماذا يصنع! نسأل الله السلامة.

(٢) في (ط): «الأعلى».

هل كان تقرير الجهُولِ محرّماً ... بَدْءاً عليه عند كلِّ مُسَدِّدِ
وهل التَّفَحُّصُ كان عنه واجباً ... قَبْل الولاية يا كريمَ المحتدِ
أو فاسقٍ هو مِنْ وظائف دينه ... عزل بتقرير الجهول المُعْتَدِ
وبما يُؤدَّبُ ذا العَريّ بفعله ... إن مَدَّهُ في سَعْيه بتمرُّدِ
لا سيما مع عزل الأهل ومنعه ... مِنْ غير جُرْمٍ ناله يا سيِّدِي
وهل السُّكوتُ لقادِرٍ عن زجرِهِ ... جُرْمٌ يؤدي للشَّقاوةِ في غدِ
ومن المصادف صحّة تقريره ... يا منقذَ الحيرى وأحسنَ مرشدِ
فانظم بجدِّك شملَ عبدٍ وانثرن ... أهلَ الضَّلالةِ بالكلامِ الأحمدِ

فأجابه بعد أن غيَّر في السُّؤال عدَّة ألفاظٍ، وكذا غيَّر غيره ممَّن أخذ عني الشَّطر الأول مِنَ البيت الثالث:

أثني على ربِّي بحمدٍ سرمدي ... دَأْباً يروحُ مع الحياةِ ويغتدي
ثمَّ الصَّلاةُ مع السَّلام الأكملا ... ن الأطيبان على النَّبي محمَّدِ
والآل والصَّحبِ الكرامِ ومَنْ على ... آثارِهِم مِنْ مُقْتَفٍ أو مقتدي
هذا وإن الناسَ ذا الوقت اقتدَوا ... في أمر دينهمُ بغير المهتدي[1]
لا يعرِفُون الحقَّ بل هو عندهم ... كالنَّوم قد فَقَدَتْه عينُ الأرمَدِ
بعضٌ على بعضٍ مشى لكن على ... طُرُقِ الضَّلالِ وسادَ غير مُسَوَّدِ
وترأَّسَ الأنذالُ فيهم فانثنى ... مَنْ كان ذا تقوى بقلبٍ مُكْمَدِ
وتغيَّرت أحوالُهم فالدِّينُ عا ... دَ كما بدا في غُربةٍ وتوحُّدِ
يا قلبُ دَعْ هذا وعُدْ لجوابِ مَنْ ... وافاك يسأل عَنْ فِعالِ المعتدي
رَكِبَ الهوى فهوى وأقلع نادِماً ... ثمَّ ارتمى في غيِّه المتردِّدِ
مَنْ يرتضي الغَمْرَ السَّفيه ويعزلُ الـ ... ـحُرَّ الرَّشيدَ فذاك غيرُ الأرْشَدِ

(١) هذا البيت لم يرد في غير (ح).

فمتى تعمَّدَ فعلَ ذاكَ وقد درى ... تحريمه وأصرَّ في الفعلِ الرَّدِي
يفسق ويُعْزَلُ مِنْ وظائِفه وفي ... تعزيرِه بالعزلِ أقصى المقصِدِ
حتَّى يتوبَ عَنِ اللَّجاجِ وينتهي ... فيعودُ فيما كان فيه ويبتدي
يا بُؤْسَ كلِّ معاندٍ في الحقِّ بَلْ ... نِعْمَ المساعدُ ثم سَعْدُ المُسْعِدِي
هذا جوابي عاجلاً نظَّمتُه ... متبلِّداً عن خاطرٍ مُتَبدِّدِ
وعلى النَّبيِّ مِنَ المليكِ صلاتُه ... وسلامُه دَأْبي أُتِمُّ وأبتدي

قلت[1]: وممَّن أجاب ناظم هذه المسألة عن سؤاله بحاصل ما أجابَهُ به صاحبُ الترجمة في مقالهِ جماعة، وهم: مِنَ الشَّافعية: البُلقيني، ومِنَ الحنفية: ابن الدّيري، كلاهما نثراً ثمَّ نظماً، وكذا مِنَ الحنفية: العيني، ومن المالكيَّة: الشهاب بن تقي والعلم الأخنائي والبدر بن التِّنسي، أربعتهم نظماً. ومن الحنابلة: المحبُّ بن نصر الله نثراً ثم نظماً، وتقرَّرَ عنده الحكمُ منهم.

ثم بعد أزيدَ من أربعين سنة بَسْبَسَ ووسوس في الوقوع في أشد مما سأل عنه، مع كونه ممَّن لا اعتداد بموافقته ولا مخالفته. ولكن كُلٌّ يعملُ على شاكلته.

إذا رَضِيَتْ عنِّي خيارُ عشيرتي ... فلا زالَ غضباناً عليَّ شِرارُها

وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ أعانَ في خُصومةٍ بباطلٍ، لم يَزَلْ في سَخَطِ الله حتَّى ينزعَ». نسأل الله العافية مِنْ كلِّ بليَّةٍ.

وكتب إليه الشهاب أحمد السُّنباطي ما نصُّه، وهو مِنْ نظم القاضي شمس الدين ابن كُمَيل المنصوري كما علمتُه بعد:

يا أيُّها الحبرُ الإمامُ المطلبُ ... يا فاتحاً أقفالَ ما يُستصعَبُ
يا قامعاً أهلَ الضَّلال ودامغاً ... أهلَ المُحَالِ وللجهالةِ مُذْهِبُ
يا مَنْ لعُمْدَةِ عصرنا إنسانُها ... ولجِلَّةِ العصرِ الطرازُ المُذْهَبُ
أنتَ الشِّهابُ المستضاءُ بنورِهِ ... فيكَ استضاءَ مُشَرِّقٌ ومُغرِّبُ

(١) من هنا إلى قوله: «من كل بليه» لم يرد في (ب)، وأضافه المصنف بخطه في هامش (ح).

ما قولُكم في مسلمٍ متزوِّجٍ ... ثنتينِ للأولى[1] يميلُ ويقرُبُ
وإذا أراد جماعَ الاخرى عاقهُ ... عُذمُ انتشارٍ فهو عنها يُحْجَبُ
هل للتي لا يُستطاع جماعُها ... طلبُ انفساخٍ أم له لا تطلُبُ
إنْ قيل إنَّ لها انفساخاً[2] كيف ذا ... مع وَطْئِه الأولى وهذا مُعْجَبُ
نرجوا الجوابَ معلَّلاً بدليله ... مِنْ سُنَّةٍ أو مِن قياسٍ يُصْحَبُ
أو مِنْ كتابٍ مُسْنَدٍ لأئمةٍ ... ألفاظُهم بين الورى تُسْتَعْذَبُ
ولك الثَّوابُ عن الجواب إذا بدا ... يومَ القيامةِ كلُّ هولٍ مُصْعَبُ
عِشْ سالماً لا فُضَّ فوكَ ولا هنا ... عيشٌ لمَنْ يجفوك يا ذا المطلبُ
ثمَّ الصَّلاةُ على النَّبيِّ وآلِه ... ما زَمْجَرَتْ رعدٌ ووافى صيِّبُ

وكتب السَّائل في ظهر السؤال ما حاصله: إنَّه سأل عنه الشيخَ شمس الدين القاياتي، وكان إذ ذاك قاضي القضاة، فلم يُجب عنه بعد أن أقام عنده نحو الخمسين يوماً، لعجزه عَنِ النظم. وألحَّ على صاحبِ التَّرجمة في الجواب، فكتب، وأُخبرتُ أنَّ ذلك ارتجالاً:

مِنْ بعد حمد الله مَنْ لا يعزُبُ ... عَن علمِه بادٍ ولا مُسْتَغْرَبُ
ثمَّ الصَّلاةُ على النَّبيِّ محمَّدٍ ... والآل والأتباع ممَّن يُصحَبُ
قال الفقير العبد أحمد من[3] غدا ... بين الأنام العسقلاني[4] يُنْسَبُ
العلم أفضل ما اقتناه مكلَّفٌ ... لا سيَّما الشَّرعي[5] فهو المطربُ[6]

---

(١) في (ط): «الأولى».
(٢) في (ط): «انفساخ»، خطأ.
(٣) في (أ): «ابن من»، خطأ.
(٤) في (ب، ط): «لعسقلان».
(٥) في (أ): «الشرع».
(٦) في (ط): «المطلب».

الفقهُ والتَّفسير والخَبَرُ الذي ... يُروى فذاك المورِدُ المستَعْذَبُ

وسوى الثَّلاثةِ آلةٌ للمُنْتَهي ... فيها اللِّسان مِنَ العقول[1] يُهَذَّبُ

وفضيلة المنظوم إن تَكُ فضلةً ... تُحْمَد وإلا فهو ما لا يعجبُ

ولقَدْ وقفتُ على سؤال مهذَّبٍ ... في النَّظم يقرُب مِنْ عُلاه الكوكبُ

مستكشِفاً عَنْ حُكم مسألة لها ... غَوْرٌ وعلةُ حُكمِها قد تَصْعُبُ

إن كان ذو[2] الزوجين يُحْجَبُ عنهُما ... أو كان عَنْ إحداهما يتحجَّبُ

فالأوَّلُ العِنِّينُ والثاني كذا ... فالحكمُ للأخرى التي لا تُقرَبُ

ودليلُه حكمُ القياس لنظمِ ذا ... مع تلك في فقد التِذاذٍ يُطرِبُ

ولأجل ذا ثبتَ الخِيَارُ لها إذا ... جلّ البلا لهما وعزَّ المطْلَبُ

والرَّافعيُّ مصرِّحٌ بالحكمِ في ... هذا ومِنْ بعد «الوجيزِ» «المطلبُ»

هذا جوابُ العبد أحمدَ راجياً ... بعد القَبُولِ العفوَ عَنْ ما يُذْنِبُ

وكتب إليه عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن العديم، [ثم أخبرني الخطيب تقي الدين عبد الرحمن السَّمَنُّودي ـ وهو ثقة ـ أنها لوالده شرف الدين يحيى بن شرف الدين موسى بن محمد العسَاسِي[3] السَّمَنُّودي الخطيب، وأن والده قدَّمها لصاحب التَّرجمة يوم عَرَضَ ولدُه (المخبِرُ)[4] المذكور عليه «المنهاج»، فأجابه عنها في الوقت بالجواب المذكور، وهو عنده بخط المجيب، والمسجد بسمنُّود، والكائنةُ معروفةٌ بين أهلها][5]:

ما قول سيدنا (المولى)[6] الإمام أبي الـ ... ـعباس قاضي القُضاة العلم والعَمَلِ

---

(١) في (ط): «القؤول».

(٢) في (ب، ط): «ذا».

(٣) العساسي، ضبطه المصنف في «الضوء اللامع» ١٠/ ٢٦٢، فقال: بمهملات أولاها مفتوحة والثانية مشدَّدة. وقد أشار إلى ما ورد هنا.

(٤)(٦) من (ط).

(٥) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

مفتي الأنام ومِصباح الظَّلام ومَنْ ... له سماءُ الفضل بين النَّاس والدُّوَلِ
في مسجدِ بسَمَنُّود[1] يؤمُّ به ... شخصٌ ويأكل رُبْعَ الوَقْفِ لم يُبَلِ
وقد تداعى بناهُ من جوانبه ... وناظرُ الوقفِ أمسى عنه في شُغُلِ
فهل يقدِّمُ إصلاحَ المكان على ... إمامةٍ وبنا ما كان مِنْ خَلَلِ
أم يأخذُ الرُّبعَ والإصلاح يتركُه ... ويجعلُ الأمرَ موقوفاً على العِلَلِ
أفتي بعلمِكَ مأجوراً تُثابُ على ... فعلِ الجميلِ وخلِّصنا مِنَ الزَّلَلِ

فأجابه:

الحمد لله هادي مَنْ يشاء إلى ... صراطه المستقيمِ الواضحِ السُّبُلِ
ثمَّ السَّلامُ الذي يتلو الصَّلاة على ... محمَّدٍ خاتم الأنبياء والرُّسُلِ
وبعدُ، فالأمرُ بالمعروف عزَّ ومَنْ ... يأتي المناكِر عند النَّهي لم يُبَلِ
عِمَارةُ الوقفِ ما زالت مقدَّمةً ... إن قالها واقفٌ أو كان لم يَقُلِ
وفي الإمامةِ ما بين الأئمة منْ ... قبل اختلاف بجَعْلِ الجُعْلِ لم يزَلِ
فلا تقدِّم ما فيه الخلافُ على ... ذي الاتِّفاقِ فهذا فعلُ ذي خَطَلِ
هذا جوابُ سؤالِ الحَبْرِ سطَّره ... بخطِّه العبدُ طوعاً أحمدُ بنُ علي

قلت: وقد قال شيخنا أبو النَّعيم رضوان المستملي ـ فيما قرأته بخطه ـ: لو قال السائل:

مِنْ بعدِ حَمْدِ إلٰهي خالقِ الدُّولِ ... ثم الصَّلاة على مَنْ سادَ في الرُّسلِ
ما قولُ سيِّدِنا قاضي القضاة [أبي الـ
ـفضلِ][2] الذي شهدت بفضله فُضَلاء العِلْمِ والعَمَلِ

(١) في (ب، ط) ومختصر السفيري: «بدمنهور».
(٢) ما بين حاصرتين ساقط من (ط)، وكتب المصنف بخطه في هامش (ح): «لعله: ما قول سيدنا الحبر الذي شهدت».

لسَلِمَ من كُنيته[1] بأبي العباس، ولأتى بالسُّنَّة في البداءة بالصَّلاة والسَّلام على رسوله ﷺ.

وكتب إليه الزَّينُ عبدُ اللطيف بن الشمس محمد بن جمال الدين عبد الله الجَوْجَري:

قاضي القُضاة وصاحبَ الجاهِ الوفي ... قلبي يحدِّثُني بأنَّك مُنصفي
هذا سؤال غيرَ بابِكَ لم يَزُرْ ... أحداً وكيف يزورُ مَنْ لم يعرفِ
في حالفِ بطلاقه وعِتاقه ... ابنُ النُّباتةِ فاق أشعار الصَّفي
فأجابه رجلٌ بمثل يمينه ... أن الصَّفيَّ زلالهُ العذب الصَّفي
وله «البديعة» والبديع بنثره ... وبنظمه خلقٌ بغيرِ تكلُّفِ
فأبِنْ بفضلٍ عن سؤالي[2] شافياً ... فلعلَّ نارَ جوانحي أن تنطفي

فأجابه بقوله:

يا مَنْ يُسائِلُني عن ابنِ نُباتةٍ ... وعَنِ الصَّفي الحلِّيِّ كيما يَصْطَفِي
اسمع مقالة عادلٍ في حُكْمِهِ ... بالذَّوق لا يُصغي لِمَنْ لم يُنصِفِ
مصريُّنا في نظمه أحلى ومَنْ ... رام انسجاماً راقه شِعْرُ الصَّفي
وطريقةُ الحِلِّيِّ شارَكَهُ بها ... مَنْ ليس يُحصى مِنْ شهيرٍ أو خفي
وجمالُنا سَلَكَ الطَّريق الفاضِليَّـ ... ـةَ فاكتسى منها الجمالَ اليوسُفِي
في نظمه الزَّاهي وفي منثُورِه الـ ... باهي وفي الحظِّ القويِّ وفي وفِي

ويقال: إنَّ الشَّيخ سعد الدين بن الدَّيري سُئل عن ذلك أيضاً، ولم يكن حينئذٍ قاضياً، وأنَّه ابتُدىء السؤال بقوله: شيخ الشيوخ، فأجابه بقوله:

يا سائلي عن حالِفَيْنِ تجاذبا ... طَرَفَيْ نقيضٍ مع أَلِيَّة مسرفِ

---

(١) في (ط): «تكنيته».

(٢) في (أ، ب): «سؤال»، والمثبت من (ط، ح) و«جمان الدرر» و«مختصر السفيري».

قد حادَ كلٌّ عن سواء مَحَجَّةٍ ... إذ أطلق التَّفْضيل للمستوصِفِ

إني وقد عزَّ[1] التَّفاضل فيهما ... في الجانبين فمن بقي لم يعرفِ

ولئن سما نظمٌ لنَجْلِ نُباتةٍ ... بتغزُّلٍ وترفُّقٍ وتألُّفِ

وقريحةٍ شقَّت معاني أنبأتْ ... عَنْ حُسْنِ مأخذ مُنْشِيءٍ أوْ مَقْتفِي

فلكَمْ جَنَتْ[2] أيدي البديع جنًى دَنَا ... وصفا لمُشْتَارٍ مِنَ الدُّرِّ الصَّفي

إن لم يكن كلٌّ بدا متأوِّلاً ... فالجِنْثُ حَتْمٌ لازمٌ لا يختفي

لكن أعم نظام الأوَّل فائقٌ ... عند الأعمِّ فبَرُّ ناويه وفي

ولربَّما اقتضت البواطنُ ضدَّ ما ... اقتضتِ الظَّواهرُ فاحكُمَنْ بتوقُّفِ

هذا وتركُ الخوضِ في أمثال ذا ... أولى وأسلمُ مِنْ شباكِ الموقفِ

وكتب إليه التَّاجُ عبد الوهاب بن شَرَف[3] ما سمعته منه، فقال:

يا مَنْ قطفتم مِنَ الآداب أزهاراً ... ومِنْ علوم النُّهى والنَّقْلِ أثمارا

ماذا تقُولُون في أمرِ الوباءِ إذا ... نجمُ الثُّريا بدا مِنْ بعدِ ما غارا

وما المُرادُ مِنَ الغُفْرانِ تسألُه ... عَنِ الصِّغار وما فارَقْنَ أوزارا

فاغْنَم ثوابَيْنِ مِنْ أجل ابنِ مسألةٍ ... فقد تركت[4] له سمعاً وأبصارا

فأجاب:

إذا الثُّريَّا صَبَاحاً حين تطلُع لا ... يخشى على[5] الزَّرْعِ مِنْ عاهاته عارا

---

(١) في (ب، ط): «عرف».

(٢) في (أ): «جنى».

(٣) هو عبد الوهاب بن محمد بن محمد الجوهري، ترجمة المؤلف في الضوء اللامع ٥/ ١١٠ ـ ١١٢، وأشار إلى هذه المسألة التي هنا.

(٤) في (ب، ط): «تركن».

(٥) في (أ): «من».

كذا روى الطبراني في «الصغير» وعن ... أبي حنيفة جا التَّقييدُ أثمارا
وجاء عاماً بلفظ النَّجم في السُّنَنِ الـ ... ـشَّهير عند أبي داود أذكارا
وحكمةُ الغُفْرِ للأطفال قد بَلَغَتْ ... سَبْعَ احتمالاتٍ جلَّ الله غَفَّارا

قلت[1]: النَّجمُ: هو الثُّريَّا، كما بينه الطَّبراني في «الصَّغير» عَقِبَ روايته، وطلوعُها صباحاً يقع في أوَّل فصلِ الصَّيف، وذلك عند اشتداد الحرِّ في بلاد الحجاز، وابتداء نضج الثِّمار[2].

وقد ذكر شيخُنا المسألة في بيع الثمار قبل أن يبدُو صلاحُها من «شرح البخاري» ولفظ الحديث، وهو عند أبي داود من طريق عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة، رفعه: «إذا طلع النَّجمُ صباحاً، رُفِعَتِ العاهةُ عَنْ كلِّ بلدة»، وكذا هو عند أبي حنيفة عن عطاء، مع اقتضاء النظم لخلافه.

نعم. قال أبو يوسف صاحبه: تفسير العاهة أن تُرْفَعَ عَنِ الثِّمار. قال: والنَّجم الثريا.

وروى أحمد من طريق عثمان بن عبد الله بن سُراقة، قال: سألتُ ابنَ عمر عن بيع الثِّمار، فقال: نهى رسول الله ﷺ عن بيع الثِّمار حتَّى تذهبَ العاهَةُ. قلت: ومتى ذلك؟ قال: حتى تَطْلُعَ الثُّرَيَّا.

لكن قد عزا شيخُنا في «شرحه» لفظ «رفِعَتِ العاهةُ عنِ الثمار» لرواية أبي حنيفة عن عطاء، وهو موافق لما في النَّظم، إلاَّ أني لم أقف عليه كذلك، فيُحَرَّر.

ولا بأس بذكر الاحتمالات المشار إليها هنا لتتمَّ الفائدة.

---

(١) من هنا إلى قوله: «فيحرره» لم يرد في (ب) وقد أضافه المصنف بخطه في هامش (ح).

(٢) في (ط): «النهار»، وهو تحريف.

قال صاحب الترجمة، وقد سئل عن قولهم في الصَّلاة على الجنازة: «اللهم اغفِرْ لحيِّنا وميِّتِنا وكبيرِنا وصغيرنا»، هل هو أمرٌ نسبيٌّ، وكلاهما مكلَّف، أو المراد بالصَّغير غيرُ المكلَّف؟ ما نصه: يحتمل أوجُهاً:

أحدها: أن يكونَ المراد ما أُشير إليه في السؤال، وهو اختصاص ذلك بالبالغين، والصَّغير والكبير فيهما نسبي.

ويحتمل أن يكون أيضاً خاصاً بهم، والصَّغير والكبير في الصفات لا في الأعمال.

ويحتمل أن يكون على عمومه في البالغ وغير البالغ، لكن مَنْ لم يبلُغ منهم يكون المرادُ بطلبِ المغفرةِ له تعليقها ببلوغه إذا بلغ، وفعل ما يحتاج إلى المغفرة.

ويحتمل أيضاً أن يكون طلبُ المغفرة لغيرِ البالغ ينصرف إلى والديه، أو أحدهما، أو إلى مَنْ ربَّاه.

ويحتمل أن ينصرف إليه برفع منزلته مثلاً، كما في البالغ الذي لا ذنب له إذا فرض، كمن مات بعد بلوغه بقليل، أو بعد إسلامه الخالص بقليل.

ويحتمل أيضاً أن يتخرَّج على أحدِ أقوال العلماء في الأطفال، وعلى أحد أقوال العلماء في المراهق، وكذلك مَنْ بلغ العشر مِنَ السِّنين، فإنَّ كلَّ ذلك محتملٌ، لأنَّ المسألة اجتهاديَّةٌ، فيحسُنُ الدُّعاءُ لهم باعتبارِ ذلك.

وهذا ما فتح الله به مِنْ جواب هذا السؤال، ولم أقف على مَنْ جمع في هذا الجواب بين هذه الاحتمالات، والله سبحانه وتعالى المانُّ بفضله. انتهى.

وحكي لي أن هذا الناظم لم يكتَفِ بجوابِ صاحبِ التَّرجمة، وأنَّه كتبَ للبدر العينيِّ ما نصه:

ماذا يرى عين الورى العَينيُّ في حُكْمِ الوَبا إذا به النَّجْمُ الخَفِي

وسؤالنا الغفرانَ عندَ دُعائِنا ... لصغيرنا ونراه غيرَ مكلَّفِ
فاغنم إجابةَ سائلٍ مُتَضَرِّعٍ ... يا أيُّها البحر العبابُ الحَيْرَفي
إني اهتديتُ بِسُؤْلِ غيرِكَ ضِلَّةً ... فظفرت مِنْ سؤلي بغيرِ معرِّفِ

فامتنع البدرُ من الجواب كما حكاه لي مَنْ كان عنده. وقال: إذا كان هذا المقول في فلان، فماذا يقولُ فينا، أو في غيره، أو كما قال.

وكتب إليه المذكور أيضاً، كما قرأته بخطه:

يا مَنْ يقولُ النَّثْرَ دراً أزهرا ... والنَّظمَ ياقوتاً توقَّدَ أحمرا
ماذا يصحُّ روايةً ودِرايَةً ... فيما حكوه[1] مِنَ السَّماء إلى الثَّرى

فأجاب:

قد صحَّ خمس مِئن رواه الترمذي ... وإلى أبي ذرٍّ عزاه مقرَّرا
أو عشر سبع مِئنْ وثنتان روى ... هذا أبو داود فيما حبَّرا
والجَمْعُ أنَّ الخمس للسَّير البَطِي ... والسبع[2] للثاني والأوَّل شهرا

قلت: وما نسبه إلى الترمذي في خصوص كونه من حديث أبي ذر أشهر. والذي في الترمذي ـ وكذا عند أحمد ـ إنما هو من حديث الحسن عن أبي هريرة رفَعَهُ: «إنَّ بينَ كل سماء وسماءٍ خمسمائة عامٍ، وإنّ سُمْكَ كلِّ سماءٍ كذلك، وإنَّ بين كلِّ أرضٍ وأرضٍ خمسمائة عامٍ».

نعم، حديثُ أبي ذرٍّ أخرجه إسحاقُ بن راهويه والبزَّار في «مسنديهما»، ولم يبيِّن شيخُنا صحابيَّ حديث أبي داود، وهو عنده، وكذا الترمذي وابن ماجه جميعاً مِنْ حديث العبَّاس بن عبد المطَّلِب مرفوعاً: «بين كلِّ سماء وسماء إحدى أو اثنان وسبعون سنة».

---

(١) في (ط): «رويت».

(٢) في (ب، ط): «والسعي».

وجُمع بينهما ـ كما أشار إليه شيخُنا ـ بأن اختلاف المسافة بينهما باعتبار بطء السير وسرعته. انتهى.

وقد سأل عن هذا السؤال بعينه ـ لكن نثراً ـ الشيخ جلال الدين المحلي، وأجابه صاحب الترجمة عنه بما أثبته في موضع آخر، والله المستعان.

وكتب إليه الشريف صلاح الدين محمد بن أبي بكر الأسيوطي يوم ختم «شرح البخاري» وهم بالتَّاج ما نصه: ما يقول شيخ المُحَدِّثين الأقدمين والمُحدَثين، فائق الكمال والإكمال بتهذيبه وتقريبه، غُنْيَةُ الطَّلَبَة، كفاية الطَّلِبَة، نهاية الأرب في فنون الأدب، علاَّمة ذوي الألمعية، قاضي قضاة الشافعية، أدام الله مسراته، وحفظه وسراته، في قول القائل، وإن لم يكن طائل:

لك الهنا بفضلٍ منك يشمَلُنا ... معنىً وحسّاً بموجودٍ ومعدومِ
كم للبخاريِّ مِنْ شرحٍ وليس كما ... قد جاء شرحُكَ في فضلٍ وتتميمِ
شروحُها الذَّهبُ الإبريزُ ما حَظِيَتْ ... بمثلِ ذا الخَتْمِ في جمعٍ وتكريمِ
وشرحك الرائح المصريُّ بهجتُها ... وهل يوازَنُ إبريزٌ بمختُومِ

وفي هذا الثاني العاني بما اشتمل مِنَ المعاني:

أقاضي[1] قُضاة الدِّين حقاً بليغَهم ... ومَنْ هو في أوج[2] المعاني كلامُهُ
شروح البخاري مُذْ سُقِينَا رحيقَها ... أتى شرحُك الوافي ومِسْكٌ ختامُهُ

هل بينهما تواخٍي، أم لأحدهما عن الآخر تراخي؟ وهل صاحب هذه البيوت في قصور، أم حام حول خام مَنْ عليه الحُسْنُ مقصور؟ وهل له في مجاري الأدب أدنى يُنبوع، وما يحكم به الذَّوقُ السليم المطبوع؟

---

(١) في (ب): «أيا قاضي».

(٢) في (أ): «أوجي»، وفي (ط): «أرج».

فإن تفضَّلتم الآن بجواب، فغيرُ بِدْع أنَّه يومُ الإجابة، وإن عدَلْتُم للاسترواحِ إلى غدٍ، فذاك عينُ الإصابة، ورأيُكم العالي أعلى، وحسبُنا الله ونعم الوكيل.

فكتب ما نصه: أسألُ الله حُسْنَ الخاتمة. ذقتُ حلاوة هذه الممالَحَةِ، وشرَحْتُ صدري بلطافة هذه المطارحة، وتبيَّن أن ناظِمَها واحدٌ حِسّاً ومعنى، بل أوحدُ في حُسْنِ التَّلطُّفِ وزيادةِ الحسنى، وهما يتجاذبان الجَوْدَةَ مِنْ هنا وهنا كالفرقدين، إذا تأمل ناظر... إلى آخره.

وكتب له الكاتب لي[1] بالإجازة الإمام شمس الدين محمد بن الخضر بن المصري من القدس الشريف ضمن مطالعة ما نصه:

يا حَافِظَ العَصْرِ ويا مَنْ له ... تُشَدُّ من أقصى البلادِ الرِّحَالْ
ويا إماماً للورَى أمَّةً ... محطُّ آمالِ الشُّقاتِ الرِّجالْ
ابن العمادِ الشَّافعيِّ ادّعى ... ورودَ ما فَاهَ بِهِ في المَقَالْ
«شراركم عزَّابكم» إنه في الـ ... ـخَبَرِ المرويِّ حقّاً يُقَالْ
فهل أتى مِنْ مُسْنِدٍ ما ادّعى ... أو أثرٍ يَرويه أهلُ الكمالْ
بَيِّن رعاكَ الله يا سيِّدي ... جوابَ ما ضمَّنْتُه في السُّؤالْ
لا زلت يا مولى لنا دائماً ... في الحال والماضي كذا في المآلْ

فأجابه بقوله:

أهلاً بها بيضاءَ ذاتَ اكتحالْ ... بالنَّقْشِ يزهُو ثوبُها بالصِّقالْ
مَنَّتْ بوَصْلٍ بعد بُعْدٍ شفى ... مِنْ ألمِ الفُرقة بعدَ اعتلالْ
تسألُ هَلْ جاء لنا مُسْنَداً ... عَنْ مَنْ له في المجدِ شأوُ الكَمَالْ
ذمُّ أُولي العُزْبَةِ قلنا: نعم ... مَنْ مال عَنْ إلْفٍ وفي الكَفِّ مالْ

(١) في (أ): «له»، خطأ. وقد ترجمه المصنف في «وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام» ٢/٥٥٦ وقال: أجاز لي.

أخرجه أحمد والموصلي ... والطبراني الرحّال الصَّوّالْ[1]
أراذلُ الأمواتِ عُزّابُكم ... «شرارُكم عُزّابكم» يا رِجالْ
مِنْ طُرُقٍ فيها اضطرابٌ ولا ... تخلُو مِنَ الضَّعف على كلِّ حالْ

وكتب إليه ابن المصري مِنَ القدس أيضاً ما نصه:

أسيّدنا قاضي القُضاةِ ومَنْ غدا ... يُفيد طُلاَّبَ العِلْمِ كلَّ غريبِ
حديثاً روينا في «ابنِ ماجَةَ» مسنداً ... بلفظ أبي الدَّرداء خيرِ حبيبِ
فمعناه خيرُ الرُّسْلِ لم يخْشَ فقرَنا ... يصدِّقُ هذا قلبُ كلِّ مُنيبِ
سوى صَبَّةِ الدُّنيا علينا تزيغُنا ... إلٰهيَّة في الزَّيغِ زَيغُ عجيبِ
فكُلٌّ نَحَا في النُّطق فيه مخالفاً ... لصاحبه معناه غيرُ قريبِ
فبيِّنْ رعاكَ الله تحريرَ متنِه ... وألفاظِه بالقَوْلِ قولَ مصيبِ
فلا زلت يا مولى[2] لكل ملمة ... فأنتَ إمامي في الورى ومُثيبي

فأجابه بقوله:

سألتَ رعاكَ الله يا شَمْسَ دينِه ... لتُشْرِقَ إشراقاً بغيرِ غُروبِ
وتُبدي لطُلاَّب العلوم فضائلاً ... بأسئلة تَسْمُو[3] لكلِّ مُجيبِ
فلبَّيْكَ ألفاً عن دعائِكَ مُسْرِعَاً ... ولو كنت بالأقصى فخيرُ قريبِ
وإنَّ التي قد[4] أشكَلَتْ جملةٌ جرى ... بها قلمٌ ما كان خطَّ أريبِ
فإلا للاستثناء مِنْ بعدِ هاهيَه ... تلي هِيَ هاءُ سكت وغيرُ غريبِ
بقارِعَةِ القُرآن قد سُكِّنَتْ إذا ... وقفت ودَمْجاً عندَ كلِّ أديبِ

---

(١) في (ط): «الثقات الرجال»، وفي هامش (ح): «لعله الرحلة».
(٢) في (ب): «مأمولاً»، وفي (ط): «يا مولانا».
(٣) «تسمو» ساقطة من (ب).
(٤) في (ط): «وإن الذي».

ومِنْ دَونِ هاءِ السَّكْتِ جاءت روايةٌ فلَمْ يَبْقَ شكٌّ بعدَها لمُرِيبِ

وكتب إليه ابن المصري أيضاً:

أسيِّدنا قاضي القضاة ومَنْ له علينا أيادٍ لا تَنَاهى تَعَدُّدَا
سؤال طرا: في أي موطنٍ قد أتت حياةٌ لميْتٍ بعدما كان مُلْحَدَا
بأمرِ الذي لولاه ما عُرِفَ الهدى ولا أتهَمَ السَّاري إليه وأنْجَدَا
وهذا «الشِّفا»[1] فيه دليلٌ وإنَّما يَرُوم زيادات بحفظك يُقتَدَى
فبيِّنْ - رعاك الله - يا حافظاً حوى مِنَ السُّنَّةِ الغَرَّاءِ صدراً ومَوْرِدَا

فأجابه:

نعم عاش أمواتٌ بدعوَةِ مَنْ أتى مِنَ الله للأحياء بالنُّور والهُدَى
فمنها ابنُ مَنْ قَد هاجَرَتْ ودعت وقد قَضى عاشَ عَيْشاً حيّاً طيباً ومُرْغَدا
ومنها التي ماتت بوادٍ فخُيِّرَتْ ومنها ذراعُ الشَّاة تنهى عَنِ الرَّدى
فهذا الذي يحوي «الشفا»، وبغيره إعادةُ إبراهيمَ مِنْ بعدِ ما ارتدا
ومثلُ ذِرَاعِ الشَّاة شاةُ الَّتي دعت إلى دارِها قالت: أُخذتُ بلا فدا
وأصرَحُ مِنْ كلِّ شُوَيْهَةُ جابرٍ دعا فلقد كادت تُلَبِّي له النِّدا
وأصدَرها للبيتِ مِنْ بعدِ ذبحِها عليه سلامُ الله مثنى وموحدا

ثم قال السائل: فهذه سبعةُ أشياء ما بين بهيمةٍ تنطقُ بعد الموت وإنسانٍ كذلك، واحدٌ بالفعلِ وآخرُ بالقوَّة، وما بينَ مَنْ عاش بعد الموتِ، إمّا إنسانٌ وإمّا بهيمة، وشرحُ ذلك:

أما القصة الأولى، فذكرها عياضٌ عَنْ أنس، أنَّ شاباً مِنَ الأنصار توفي وله أمٌّ عجوزٌ عمياءُ. قال: فسجيناه وعزَّيناها[2]، فقالت: مات ابني؟

---

(١) أي: كتاب الشفا في حقوق المصطفى للقاضي عياض رحمه الله.
(٢) في (أ): «وعزيناه».

قلنا: نعم. قالت: اللَّهُمَّ إن كنتَ تعلمُ أنِّي هاجرتُ إليك وإلى نبيك رجاءَ أن تُعينَني على كلِّ شدَّةٍ، فلا تحملنَّ عليَّ هذه المصيبة. قال: فما بَرِحْنَا أن كشفَ الثَّوبَ عَنْ وجهه، فطَعِمَ وَطَعِمْنَا.

وأمَّا قصَّةُ ذراعِ الشَّاة التي سُمَّتْ بخيبر، فأصلها في الصحيحين وغيرهما مِنْ حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظُه عَنْ أبي داود: أن يهودية أهدت إلى النبي ﷺ بخيبرَ شاةً مَصليَّةً سمَّتها، فأكل رسولُ الله ﷺ منها وأكلَ القومُ، فقال: «ارْفَعوا أيدِيَكم، فإنَّها أخبرتني أنها مسمومة».

ورواه البزار مِنْ حديثِ أنسٍ رضي الله عنه بلفظ: «إنَّ عُضْوَاً مِنْ أعضائها يُخبرني أنَّها مسمومةٌ». ورواه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه ونحوه.

وفي حديث جابر رضي الله عنه: «أخبرتني هذه الذراع».

ومن حديث كعبِ بنِ مالك رضي الله عنه، فقال ﷺ للمرأة: «هل سَمَمْتِ هذه الشاة»؟ قالت: مَنْ أخبرك؟ قال: «هذا العظمُ»، لساقها، وهو في يده. قالت: نعم. أخرجه الطبراني.

وأما قصة الذي وَأَدَ بنتَه، فذكرها عياضٌ عَنِ الحسن مرسلاً، قال: جاء رجل إلى النبيِّ ﷺ، فذكر له أنَّه طرح بُنَيَّةً له في وادي كذا، فانطلق معه إلى الوادي، فقال لها باسمها: «يا فلانة، اخْبِي بإذن الله»، فخرجت وهي تقول: لبَّيكَ وسعدَيْكَ، فقال لها: «إن أبويك[1] قد أسلما، فإنْ أحبَبْتِ أن أرُدَّك عليهما». قالت: لا حاجة لي فيهما، فقد وجدتُ الله خيراً لي منهما.

وأما قصة إبراهيم، فرواها أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نُبَيط بن شُريط[2] في «نسخته» المشهورة عن أبيه، عن جده إبراهيم، وكان قد أدركَ النَّبيَّ ﷺ، فمات عنده، فبعث النبيُّ ﷺ إلى أمِّه الفُرَيْعَة[3] بنتِ جابر أنَّ

---

(١) في (أ): «أبواك»، خطأ.

(٢) في (ط): «شريك»، خطأ.

(٣) في (أ، ح): «العذيقة». وقد أوردها الحافظ ابن حجر في الإصابة ٨/١٦٨، فقال: فريعة أم إبراهيم بن نبيط...

ابنَك إبراهيم قد مات، فقالت: الحمد لله. اللهم إنِّي قد هاجرتُ إليك وإلى نبيِّكَ، ليكون لي عندَ كلِّ مصيبةٍ، فلا تحمل عليَّ هذه المصيبة اليوم. قال: فأحياه الله عندَ ذلك، وأكلَ وطَعِمَ بين يدي النبيِّ ﷺ. انتهى.

وهذه تُشبه القصَّة الأولى، إلا أنَّه قال في الأولى: إنَّ الشَّابَ مِنَ الأنصار، وإبراهيم بنُ نُبَيْطٍ أشجعي، فالظَّاهرُ التَّعدُّدُ.

وأما قصة تخيير والدِ الميت، فرواها أبو نعيم في «الدلائل» من طريق مَيْسَرٍ الحلبي، عن عتبة بن ضُمَيْرَة، قال: سمعت والدي يقول: كان لرجل صِرْمَةٌ مِنْ غنم، وكان له ابنٌ يأتي النبي ﷺ بقدحٍ مِنْ لبنٍ إذا حَلَبَ. ثم إنَّ النبي ﷺ افتقده، فجاء أبوه، فأخبره أنَّ ابنه هلك، فقال النبي ﷺ: «أتريدُ أن أدعَوَ الله تعالى أن ينشُرَهَ لك، أو تصبر. فيُدَّخَرَ لك إلى يوم القيامة، فيأتِيَك فيأخُذَ بيدك، فينطلق بك إلى باب الجنَّةِ، فتدخُل مِنْ أيِّ أبوابها شئت»؟ فقال الرجل: ومَنْ لي بذلك يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «هو لك ولكلِّ مؤمنٍ».

وأما قصَّة المرأة التي دعتِ النَّبيَّ ﷺ إلى طعام، فقدَّمَتْ بينَ يديه شاةً، فلما أراد أن يأكُلَ، قال: «إنَّ هذه لشاة أُخِذت بغيرِ حقٍّ»، فأصلها في «سنن أبي داود» وغيره.

وذكرها صاحب «شفاء الصدور» بلفظ: أنَّ امرأةً رأتِ النبيَّ ﷺ، فأرادت أن تُطعِمَه شيئاً، ولم يكن عندها شيءٌ، فذكرتْ عند جارتها عَنَاقاً، وكانت جارتُها غائبةً، فقالت: إنَّها لا تمنَعُني، فذَبَحَتْها، ثمَّ شوتها وقدَّمتها بين يدي النَّبيِّ ﷺ، فقال: «إنَّ هذه العَناقَ لتُخبرني أنَّها أُخِذت بغيرِ حقٍّ»، فقالت المرأة: قد كان ذلك.

وأما قصة شاةِ جابرٍ رضي الله عنه، فأخرجها أبو نعيم في «الدَّلائل» مِنْ طريق أبي البدَّاح بنِ سهل، عن أبيه سهل بن عبد الرحمن، عن أبيه عبد الرحمن بن كعب، عن أبيه كعب بن مالك الأنصاري، قال: أتى جابرُ بنُ عبد الله رسولَ الله ﷺ، فردَّ عليه السلام. قال جابر: فرأيتُ في وجه رسول الله ﷺ تغيراً[1]، وما أحسبه تغيَّر إلا مِنَ الجوع، فقلت

(١) ساقطة من (أ).

لامرأتي: هل عندَكِ مِنْ شيءٍ؟ قالت: والله ما لنا إلا هذه الدّاجنُ وفَضْلَةٌ مِنْ زاد نعلِّلُ بها الصِّبيانَ، فقلت لها: هل لك أن تذبحي هذه الدَّاجن، وتصنعين ما عندك، ثم نحمِلُه إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: أفعل ما أحببتَ مِنْ ذلك.

قال: فذَبَحت الداجن، وصنعت ما كان عندها، وطحنَتْ وخبَزَتْ وطبخت، ثم ثرَدَتْها في جفْنَةٍ لنا، فوضعتُ الدَّاجِنَ، ثم حملتها إلى رسول الله ﷺ، فوضعتُها بين يديه، فقال: «ما هذا يا جابر»؟ قلت: يا رسول الله، ظننتُ أنَّ وجهَك لم يتغيَّر إلا مِنَ الجُوعِ، فذبحتُ داجناً كانت لنا، ثمَّ حملتُها إليك. فقال النبي ﷺ: «يا جابرُ، اذهبْ فادعُ لي قومك». قال: فأتيتُ أحياءَ الأنصارِ، فلم أزل أجمعُهم، فأتيتُه بهم، ثم دخلتُ إليه، فقلت: يا رسول الله، هذه الأنصار قد اجتمعت. قال ﷺ: «أدخلهم عليَّ أرسالاً». فكانوا يأكلون منها، فإذا شبعَ قومٌ، خرجوا ودخل آخرون، حتَّى أكلُوا جميعاً، وفَضَلَ في الجَفْنَةِ شِبْهُ ما كان فيها.

وكان رسول الله ﷺ قال لهم: «كلوا ولا تَكْسِرُوا عظماً». ثم إن رسول الله ﷺ جَمَع العظام في وسط الجَفْنَةِ، فوضع يده عليها، ثم تكلَّم بكلام لم أسمَعْه، إلاَّ أنِّي أرى شفتَه تتحرك، فإذا الشَّاةُ قد قامت تنفُضُ أذُنيهَا، فقال لي: «خذ شاتك يا جابر، بارك الله لك فيها»، فأخذتها ومضيت، فإنها لتُسارعني بأذنها، حتى أتيتُ بها البيتَ، فقالت لي المرأة: ما هذا يا جابر؟ قلت: هذه شاتُنا التي ذبحناها لرسول الله ﷺ، دعا الله، فأحياها لنا. قالت: أشهد أنه رسول الله. انتهى.

وأصل هذا في الصحيح باختصار بدون قصَّةِ إحياءِ الشَّاة، وهذا الإسناد لا بأس به، وهو أصرحُ ما رأيتُ في هذا الباب، والله أعلم.

وكتب إليه قاضي صفد ثم دمشق حسام الدين بن بريطع الحنفي، وهو محمد بن عبد الرحمن بن العماد ابن قاضي غزة، بعد أن قرأ على صاحب الترجمة شيئاً من شرح «ألفية الحديث» للعراقي ما نصه:

ماذا يقولُ إمامُ العصر سيِّدُنا قاضي القضاة أدامَ الله أيامَهْ

هل صحَّ نقل بأنَّ الشَّافعيَّ لَقِي ... يعقُوبَ بعدَ بُلوغِ الحَبْرِ أحلامَهْ

وابن الحسن معه عند الرَّشيدِ وهل ... أبدى السُّؤالَ الذي استشكلا أحكامَهْ

وهل هما عجزا فيما سأله فجُدْ ... بالرَّدِّ فأنت وحيدُ الدَّهْرِ علاَّمَهْ

فأجابه بقوله:

ما صح لُقْيَا الإمام الشَّافعي أبا ... يوسف[1] يوماً ببغدادٍ ولا شامَهْ

وما روى البلويُّ في رحلةٍ شُهِرَتْ ... قد ردَّه ونفاه كلُّ علاَّمَهْ

ولائحٌ أثرُ الوضع المنمَّقِ في ... تلكَ المسائلِ لا يرضاهُ فهَّامَهْ

هذا جوابُ محبٍّ في الجميع غدا ... مُنَاهُ أن يغفِرَ الرَّحمٰن آثامَهْ[2]

---

(١) في (ط): «لنا يعقوب»، وقد كتب المصنف في هامش (ح): «لعله: لنا يعقوب».

(٢) قال السفيري في «مختصر الجواهر والدرر» بعد إيراد جواب الحافظ ابن حجر: قلت: وقد أوضح ذلك صاحب الترجمة في كتاب مناقب الشافعي، المسمّى بكتاب «توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس» فقال: وأما الرحلة المنسوبة إلى الشافعي المروية من طريق عبد الله بن محمد البلوي، فقد أخرجها الآبري والبيهقي وغيرهما مطولة ومختصرة، وساقها الفخر الرازي في «مناقب الشافعي» بغير إسناد، معتمداً عليها، وهي مكذوبة، وغالب ما فيها موضوع، وبعضها ملفَّق من روايات مفرَّقة، وأوضح ما فيها من الكذب قوله فيها: إن أبا يوسف ومحمد بن الحسن حرَّضا الرشيد على قتل الشافعي. وهذا باطل من وجهين:

أحدهما: أن أبا يوسف لما دخل الشَّافعي بغداد كان مات، ولم يجتمع به الشافعي.

والثاني: أنهما كانا أتقى لله مِنْ أن يسعيا في قتل رجل مسلم، لا سيما وقد اشتهر بالعلم، وليس له إليهما ذنب إلا المدلة على ما آتاه الله من العلم،وهذا مما لا يُظَنُّ بهما وإن علمهما وجلالتهما وما اشتهر من دينهما ليصُدَّ عن ذلك.

والذي تحرر لنا بالطرق الصحيحة أن قدوم الشافعي بغداد أول ما قدم كان سنة أربع وثمانين، وكان أبو يوسف قد مات قبل ذلك بسنتين، وأنه لقي محمد بن الحسن في تلك القدمة، وكان يعرفه قبل ذلك من الحجاز، وأخذ عنه ولازمه، فكان محمد بن الحسن يبالغ في إكرامه والتأدُّب معه والاغتباط به.

قلت: وقد أورد البصروي في «جمان الدرر» مثل ذلك، ونقل مثله أيضاً عن النووي في «تهذيب الأسماء واللغات».

وكتب إليه بعض الطلبة ما نصه:

جوابكم يا حافظَ العصرِ والذي على ... عذبه الصَّافي يسوغُ التَّيمُّمُ
ويا مُزْنةً مِنْ رَحْمَةِ الله أُرسِلَتْ ... قوابِلُها الهامي علوم وأنعم
إذا أثبتَ القاضي ثُبوتاً مجرَّداً ... وما عنده مِنْ مانعٍ فيه يعلمُ[1]
ولم يحكم القاضي ولا غيرُه به ... فذو الحقِّ مدفوعٌ عَنِ الحقِّ مُعْدَمُ
فهل دفْعُه عَنْ صاحبِ الحقِّ حقَّه ... ولا مانعٌ في الشَّرع فعلٌ محرَّمُ

فأجابه:

يقول الفقيرُ العبدُ أحمدُ ذو الغِنَا ... بربٍّ قويٍّ حمدُه مُتَحَتِّمُ
إذا الحاكم استوفى الشُّروطَ فمنعُه ... مِنَ الحُكْمِ مِنْ بعْدِ الثُّبوتِ تحكُّمُ
ولا سيما أن طالِبَ الحقِّ جاءه ... فقال له: احكُمْ فالدِّفاع محرَّمُ
وأما إذا كان التَّنائي لمقتضٍ ... فلا لَوْمَ فيما يقتضيه التَّلوُّمُ
فهذا جوابي مع شواغِلَ أوجَبَتْ ... تأخُّرَه يومين والله أعلمُ

وكتب إليه بعض الطَّلبة أيضاً يلتمسُ منه الجواب عن السُّؤال المشهور الذي أجاب عنه العلاء[2] القونويُّ شارح «الحاوي»، وهو مِنْ نظم بعض الزَّنادقة، قاله على لسانِ بعض يهُودِ الشَّام، وهو:

أيا علماءَ الدِّين ذِمِّيُّ دينِكم ... تحيَّر دُلُّوه بأوضح حُجَّةِ
إذا ما قضى ربِّي بكُفري بزعمِكُم ... ولم يرضَهُ منِّي فما وَجْهُ حيلَتي
قضى بضلالي ثمَّ قال: ارْضَ بالقَضَا ... فهل أنا راضٍ بالذي فيه شِقْوَتي
دعاني وسدَّ البابَ دُوني، فهل إلى ... دخولي سبيلٌ بيِّنوا لي قضيَّتي

---

(١) هذا البيت ساقط من (ط).

(٢) في (أ): «العلامة»، وهو علاء الدين علي بن يوسف بن إسماعيل القونوي، المتوفى سنة ٧٢٩هـ مترجم في الدرر الكامنة ٣/ ٢٤ ـ ٢٩.

إذا شاء ربِّي الكفرَ مِنِّي مشيئةً ... فهل أنا عاصٍ باتِّباعِ المشيئةِ

وهل لي اختيارٌ أن أخالف[1] حُكمَه ... فبالله فاشْفُوا بالبراهين غُلَّتي

فكتب ما نصه:

يقول الفقير العسقلانيُّ أحمدٌ الذي ... لم يَصِلْ في الفهم للرتبة التي[2]

ولكنَّه يُثْني على الله حامداً ... له ويُثَنِّي بالصَّلاة الحميدةِ

على أحمد الهادي البشيرِ وآلِه ... وأصحابِهِ الزَّاكينَ خيرِ البريَّةِ

ويُثني إلى هذي المسائل عاطفاً ... إلى حلِّها مِنْ عُقدِها بالحقيقةِ

لئن كنتَ يا هذا تقرُّ بأنَّه ... تعالى له مُلْكُ الوُجودِ بقُدْرَةِ

فمهما يشاءُ الله يفعَلُ في الذي ... يراهُ ويُمضي حُكْمَه في الخليقةِ

فسلِّمْ له تَسْلم ودِنْهُ تَفُزْ فَمَنْ ... له يعترِضْ يذهب إلى حَيْثُ ألقتِ

وكتب بعد الجواب ما صورته: ويُقسم بالله جلت قدرتُه أنه كتب هذا الجواب مرتجلاً في حالة يُخَيَّلُ له فيها أن ثَمَّ من يمليه عليه، بحيثُ لم يشطُب في مُسَوَّدَتِها إلاَّ على ثلاثة ألفاظ، وعمدتُه في هذا الجواب شيئان:

أحدهما: أن الخطابَ مع مَنْ يُقِرُّ بالتَّوحيد ووجودِ الإله الحقِّ الذي ابتدأ الوجود، لا مع مَنْ يعطِّل.

والثاني: أنه تعالى يفعلُ ما يشاء، ولا يُسألُ عمَّا يفعل، ومَنْ توقَّف في هذا، فإنَّه يستند إلى قياسِ الغائب على الشاهد وهو قياسٌ فاسد لفقد الجامع، والله أعلم.

وكتب له بعض العامَّة، ويقال: إنه القيم محمد بن علي بن محمد الفالاتي، عم صاحبنا الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن علي، يسأله عن معنى الكرد، فقال:

سردت كلَّ علوم الناس أوفى سَرْدْ

---

(١) في (ط): «أفارق».

(٢) في (ط): «لم يصل يوماً إلى الرتبة التي».

يـا شـيـخ الإسـلام أفـتـيـنـا وزِيـحَ الـطَّـرْدْ
الـكَـرْدُ مـا هـو فـخـبـرنـا[1] صـفـات الـكـرد
يـا واحـدَ الـعـصـر يـا كـامِـلْ مُـفَـنَّـنْ فَـرْدْ

فأجابه:

الـكَـرْدُ بـالـفـتـح والإسـكـان مِـثْـلُ الـطَّـرْدْ
وزنـه ومـعـنـاه قـالـوا راح يَـكْـرُدُ كَـرْدْ
والـكـتـفْ عـنـد الـعَـرَبْ أيـضـاً يُـسَـمَّـى الـكَـرْدْ
خـذ فـائـدة مِـنْ «صـحـاح» الـجـوهـري يـا فَـرْدْ

وكتب إليه آخر يسأله عن أديبين نظما مطلَعَيْ زجل، أحدُهما قال:

دار عـذار الآس بـوجـه الـرَّوْض وأمـس خـدّ الـورد مِـنُّـو خـالْ
والـشَّـقـيـق فـوق وجـنَـتُـه نـقـطـة[2] يـحـسـب الـعـنـبَـرْ عـلـيـهـا خـالْ

وقا الآخر:

وجـه روضـي فـيـه عُـيـونْ تـجـري لـلـورود كَـفُّـو الـزَّهـر يـا خَـالْ
والـذي كـفـاه وسـاق نَـهَـرُه خـطّ فـي خَـدّ الـشَّـقـائِـقْ خـالْ

فكتب ما نصُّه: العزة لله جميعاً. لقد أجادَ كلٌّ منهما في صفة الروض، وزيَّنا وجهَ السكن الخال بالخدِّ والحال، ولكن الأول أرشق، وناظمه عند ذي الذَّوق أذوق، والعلم عند الله تعالى.

وكتب إليه بعضُ الفُضلاء يسألُه عن قول علي بن الجهم الشاعر الشهير:

ربـمـا عـالـج الـقـوافـي رجـالٌ تـلـتـوي بـهـم[3] تـارة وتـلـيـنُ

---

(١) في (ط): «فأخبرنا».
(٢) في (أ): «يقطفه».
(٣) «بهم» ساقطة من (ب)، وفي (ط، ح): «تارة بهم».

طاوعَتْهُم عَيْنٌ وعَيْنٌ وعَيْنٌ وعصَتْهُمْ نونٌ ونونٌ ونونُ

ما المراد بالطاعة والعصيان؟ وأنَّ الصَّفِيَّ الحِلِّي أجاب عنه بقوله:

كفم مع دم خمسة أعين اللَّفظات منها حرفُ الرويِّ يكونُ
ودواةٌ وحرفُ خطٍّ وحوتُ اليم يعصي الرَّوِيَّ والكلُّ نونُ

فأجاب بما سمعته مِنْ لفظه: نِسْبَةُ البيت لمن ذُكر فيه نظر، والنسبةُ لمَنْ أجابَ صحيحة، وقد أجاب عنهما قبل الصَّفِيِّ الحِلِّي الأستاذ أبو عمرو بن الحاجب، لكنَّ نظمَه فيه قَلَقٌ كعادته، ونَظْمُ الحليِّ منسجم.

وأما الجواب عَنِ المراد بالطَّاعة والمعصية، فهو ظاهر في النظم المسؤول عنه، وذلك[1] أنَّ العينَ لفظٌ مشترك في ثلاثة معاني، وكذلك النون، [فأما العين][2] فأطاعت في لفظها ومعناها في الرَّوِيِّ، فإنَّ النُّونَ لفظُها والميمَ معناها، وكلاهما رويُّ النُّون، فأطاعت بلفظها، وعصت بمعناها؛ لأنَّ لفظَها مُتَّفِقٌ وهو النُّون، ومعناها مختلفٌ، وهو الهاء والفاء والياء؛ لأنَّ الثَّلاثةَ عَيْنُ الفعلِ مختلف لفظاً، والله أعلم.

وكتب إليه بعضُهم مِنْ بيت المقدس يسأله عَنْ قول القائل:

كَيْدُ حسودي وهَنَا فلي سرورٌ وهَنَا
«الحمدُ لله الذي أذْهَبَ عنَّا الحَزَنا»

وقول الآخر:

قلبي إلى الرُّشد يَسِيزْ وعِنْدَه النَّظْمُ يَسِيزْ
«الحمدُ لله الذي فضَّلنا على كَثِيزْ»

---

(١) من هنا إلى قوله: «فلم يتيسر لي...» ص ٩٥٣ في هذا الجزء سقط من (ط) حيث فقد من أوراقها قرابة كراسة.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

أيهما أولى؟ فقال: المقدَّم مؤخَّر.

قلت: وأظن المقتضي لتأخُّره الإتيان بألف الإطلاق، بخلاف الثاني، فقد جاء بالآية على وجهها.

وسئل عن قول بعضهم:

حبي الذي سادُوا رِقَاب الأعادي دَاسْ
والقَلْبْ في شاطْ بَحْرِ العِشْقْ لأجْلُو طَاشْ
لو قَدْ قَدْ سام غُصن البَان لمَّا ماسْ
إذا سعى شام طرفي في بدر مِضري ماسْ
ولو ترى ساق يحلي الماء وقَلْبُو قاسْ
عشقي له شاع بل غيري بوَصْلُو عَاشْ
كم شابْ مُذْ ساز مِنْ هجر وصَدْ وراسْ
واللَّحظ لو شان كالهندي ويُوقِدْ ناس

وقول الآخر:

حبي الذي ماس سوء البُعْدْ قلبي سامْ
والعِشْقْ لو نار تَغْشَى القَلْبْ لاجْلُو رانْ
والوَصْلْ ما ماح بل جارِحْ لحَاظُو حامْ
وكم (مِنْ)[1] فتى ناح مِنْ هَجْرُو وحَتْفُو خانْ
والقَدْ قَدْ مَالْ والعاذِلْ بجَهْلُو لامْ
هذا وقد نال ميل الغُصْنْ لمَّا لانْ
والرِّدْف قَدْ ماجْ لما أن تعاطى حامْ
والدَّهر لو ناب يوقد غُصني بانْ[2]

(١) ساقطة من (ح).

(٢) في (ب): «مذ بان».

فكتب ما صورته: لله الأمر. الذي يشهد به الذَّوْقُ السَّليم أنَّ كلاً منهما في النَّظم مستقيم، وليس لهما في قسم البلاغة قسيم، إلا أنَّ الثاني أبعدُ في إيجابه مِنَ السلب، وأقربُ في آدابه إلى القَلْب، وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليم.

ويلتحق بهذا أنَّ الشيخ شهاب الدين الأبشيطي نزيلَ المدينة النبوية، على ساكنها أفضلُ الصَّلاةِ والسلام، سألَ فقيه الوقتِ الشَّرفَ يحيى المناوي عَنْ بعضِ الأسئلة نظماً، وأجابه المشارُ إليه كذلك نظماً، وأرسل بالجوابِ لصاحب الترجمة، ليقفَ عليه، ويقرِّضَه، فكان في ذلك عدَّةُ أبياتٍ امتدح الشرف بها صاحبَ التَّرجمة، علمتُ منها الآن قوله:

إمامَ الهدى غَيْظَ العِدَا صَيْبَ النَّدى ... حَلِيفَ الجدى مُجلِي الصَّدى أوحدَ العَصْرِ
لأجْعَلَ منه جوهرَ اللَّفْظِ حِلْيةً ... على جيد قولي فهو في الحُسْنِ كالدُّرِّ

فكتب صاحب الترجمة ـ رحمه الله ـ ما نصُّه ـ مع أنَّه لم يكن القَصْدُ أن يكون كتابته إلا نظماً ـ: تأملت هذا الجواب، فوجدتُه بعون الملك الوهاب في غاية الصواب.

وكتب إليه الشَّيخُ شهاب الدين ابن أبي السعود ما نصُّه[1]: الحمد لله، لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله العلي العظيم.

يا بَحْرَ عِلْم أرانا لفظُه دُرَراً ... وفي الطُّروس يُرينا زَهْرَ بُسْتَانِ
رَوْضُ القَرِيضِ أتى يشكُو إليكَ فتىً ... جَنَى فَصُلْ واحتكم وانقُمْ عَلَى الجاني
فالشِّعْرُ نادى وقد قامتْ قرائِنُه ... شكواي مِنْ خائنٍ في النَّظم أوزانِ

هذا شخص، ولا أقولُ مِنَ النَّاس سمع بَيْتَي الصَّفِيِّ الحليِّ، وهما:

لحَى الله المزيِّنَ قَدْ تَعَدَّى ... وجاءَ لقَلْعِ ضِرْسِكَ بالمُحَالِ
أعاقَ الظَّبْيَ في كِلْتا يَدَيْه ... وسَلَّطَ كَلْبَتَيْنِ على غَزَالِ

---

(١) في هامش (ح) بخط المصنف ما نصه: بلغ الشيخ عبد العزيز بن فهد الهاشمي قراءة علي في ٢٥ سماعاً.

فقلع رجلٌ يلقَّبُ وليَّ الدِّين ضرسه، فنظم ذلك الشخص، وأغرب عَنْ قدره، وبُرغمي أن أقول في شعره هذين البيتين، وزعم أنَّهما مِنْ منخلع البسيط، ومن خطِّه نقلتُ، وهما:

إنَّ الـمـزيِّـن قَـدْ تَـعَـدَّى ... فـي قـلـعِ ضِـرْسِـك الـعَـلِـيَّـا
أغـرى عـلـى الـظَّـبْـيِ كَـلْـبَـتَـيْـنِ ... وضـلَّ إذ آذى وَلِـيَّـا

فماذا يستحقُّ مِنَ الإجازة على هذا المدح الذي جَمَعَ في التَّخلُّفِ أبلغَ الوجازة، وفي التَّكلُّفِ والتعجرف ما لا يستطيع طبيب علاجه، افعلوا ذلك مثابين.

فكتب: الحمدُ لله واهب العافية. يستحقُّ مَنْ سَلَحَ هذا المقطوعَ أنْ يُقْطَعَ، ويستوجب مَنْ رَضِيَ بنسبة هذين البيتين إليه أن يُصْفَع، فلو رآه الصَّفدي، لرجع عَنِ «اختراع الخراع»، ولقضى على من نازعه في هذه الطريقة بالموت بعد النزاع، فما بلغ هذه الغاية إلا وهو في[1] اختيار انبساطِ الإخوان، فقد جاوز النهاية، والسلام.

قلت: وكذا كتب على هذين البيتين الشِّهابُ الحجازي والشِّهابُ ابنُ أبي السُّعود المذكور، وكتابتُه عندي بخطِّه، والشهابُ بنُ صالح، حتى قيل: إنَّ قائلهما رُمي بالشُّهبِ الأربعة.

ومما اتّفق: أنَّ شيخنا جلس مرَّةً ومعه الشِّهاب بنُ تَقِيِّ والشِّهاب الشَّيْرَجِي والشِّهاب الريشي والشِّهاب الحِجازي والشِّهاب بنُ يعقوب وشهابٌ آخر، بحيثُ صاروا بصاحب التَّرجمة سبعةً، فقال الحجازي: يا مولانا لقبتم[2] ذنوابكم[3] بالسبع السيارة، وقد اجتمعَتْ هنا، فقال شيخُنا بديهةً: فمن جاء بينهم فقد احترق. ولله در القائل: مَنِ ادَّعى عِلْمَ ما لا يعلم، كذب فيما يعلم، فما بالُك فيمن يُنازعُ في الجميع!

---

(١) «في» ساقطة من (أ، ط).
(٢) «لقبتم» لم ترد في غير (ح).
(٣) كذا في «الأصول» وأظنها «ديوانكم».

وما الناس إلاَّ كالصَّحائِفِ عُوِّدَتْ وألسُنُهم إلا كمِثْلِ التَّراجِمِ
إذا اشتَجَرَ الخصمان في فِطْنَة الفتَى فمِقْوَلُه في ذاك أعدَلُ حاكمِ

وروينا في «المجالسة» للدينوري مِنْ طريق النَّضر بن شُمَيْل، قال: كنتُ عند الخليل بن أحمد، إذ دخل عليه شيخٌ مِنْ أهله، فقال له: لو اشتغلتَ بمعاشك، كان أعودَ عليك مِنْ هذا، فأنشأ الخليل يقولُ:

لو كنتَ تَعْقِلُ ما أقولُ عذرتني أو كنتَ تعقِلُ ما تقولُ عذَلْتُكا
لكن جَهِلْتَ مقالتي فعذلتني وعَلِمْتُ أنَّكَ جاهِلٌ فعذَرْتُكا

ثم التفت إلينا، فقال: الرِّجال أربعة: رجلٌ يدري ولا يدري أنَّه يدري، فذاك غافلٌ فأفهموه، ورجلٌ يدري، ويدري أنَّه يدري، فذاك عاقلٌ فاعرِفُوه، ورجلٌ لا يدري، ويدري أنَّه لا يدري، فذاك جاهلٌ فعلِّمُوه، ورجلٌ لا يدري، ولا يدري أنَّه لا يدري، فذاكَ مائِقٌ فاحذَرُوه.

وروينا عن عمرو بن مُرَّة، قال: حدَّثتُ إبراهيم بحديثٍ عَنْ رجلٍ، فقال: ذاك صاحبُ أمراء، يعني: ليس مثلَ غيره في الحديث.

قلت: وهذا المبهمُ اسمُه عبدُ الرحمن.

إذا جَمَعَتْ بينَ امرأيْنِ صناعةٌ فأحبَبْتَ أن تدري الّذي هُوَ أحْذَقُ
فلا تتأمَّل مِنْهُما غيرَ ما جَرَت به لهما الأرزاق حينَ تُفَرَّق
فحيثُ يكونُ الجَهْلُ فالرِّزْقُ واسِعٌ وحيثُ يكونُ العِلْمُ فالرِّزْقُ ضَيِّق

نسأل الله تعالى التوفيق والهداية إلى أقوم طريق. وكل[1] هذا استطراد.

وكتب إليه القاضي الحنفي ـ وما علمت الآن من هو ـ [بل عندي في كونها من نظمه نظر][2]:

---

(١) من هنا إلى قوله: «وابق كنزا» في الصفحة التالية ورد في (ب) قبل باب الألغاز مباشرة.
(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

أيُّها الحاكمُ الذي قطُّ ما مال ... وإنْ كان مذهباً يتحنَّفْ
والإمامُ الذي سما في سماء العلم ... إياساً وفاق في الحِلْمِ أحنفْ
ما ترى في عُدُولِ قاضٍ أقاموا ... كلمتا الحق عنده في مكلَّفْ
إنْ يُكذبهم فقد ثبتَ الحقُّ ... عليه وإن يصدق يحلِّفْ
ويرد القاضي الشهادة مع ... فقد المعاداة بينهم إذ توقفْ
هل أصابَ التفضل إذ عكس الأمر ... جهاراً أم فيه سِرٌّ سيُوصَفْ
مُنَّ بالكَشْفِ عنه لا زلتَ في ... مسرَّة مِنَ الله دائماً ليس تُكشفْ

[فأجابه هذا المبهم][1]:

وكتب إلى بعض العلماء ممن لم أعلمه الآن، [وفي صحة نسبتها إليه أيضاً نظر][2]:

يا إماماً له الفضائل تُعزى ... زادك الله في مثالِك عزّا
ما الجوابُ السَّديد في رجل أزّ ... ضعيفِ المشي على الأرضِ أزّا
فتثنَّت ثنيَّتاه إلى أن ... سقطا عِنْدَ وكزِه الصَّعْبِ وَكْزَا
حيثُ يعفو عَنِ القِصاصِ ويَرْضَى ... دِيَّةً كي يكونَ في الناس حِرزا
هل لذاك ارتجاعها أن تعد تلك ... الثنايا يا أوّلاً أفِدْ وابْقَ كَنْزَا

فأجابه هذا المبهم[3]...

ولنقتصر على ما أوردناه مِنْ نثره الذي فاق فيه أهلَ عصره، ثم على ما أوردناه مِنْ منظومه الذي لم يُلحق فيه، (مع)[4] ما منحه الله مِنْ شريفِ علومه؛ فما مِنْ نوعٍ مِنْ أنواعه إلا ولو أُفْرِدَ بالتَّصنيف، لكان جديراً بذلك لاتساعه،

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).
(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب) وبعده في (أ) بياض مقداره ثلاثة أسطر.
(٣) هذه العبارة لم ترد في (ب)، وبعدها بياض في (أ).
(٤) ساقطة من (ب).

على أنَّ الإحاطة بجميعه لا تُستطاع، وحصرُه غير ممكن بالإجماع، فتقاريظُه ـ مع كثرتها ـ إليها المنتهى بالاتِّفاق، ورسائلُه فاقت مع سيرها في الآفاق، وأجوبته عَنِ الألغاز غاية في الإيجاز والاحتراز، وكتابتُه لمن عَرَضَ عليه، أو جلس مستفيداً بين يديه، أو سمع عليه الحديثَ في القديم والحديث، أو قرأ عليه شيئاً مِنْ مصنفاته أو شافهه بإملائه ورواياته، فأشهر مِنْ أن تُذْكَر، وأظهر مِنْ أن تُحصر، ومنظومه الذي ليس له فيه شرك وإن جَمَعَهُ في سلك فلم نلتزم (فيه)[1] الاستيعاب، إنما[2] اقتصر منه على الكثير مما يحلُو ويُستطاب، إذ منه على طريقة أهل الأدب ذوي الحجا والرتب ما كان يستغفر الله منه، ويعتذر لخواصه عنه، كما سمعت ذلك منه مراراً، سراً وجهاراً، لوفور ديانته وعظيم أمانته، على أنَّ بعض أعدائه وحُسَّاده قد دسَّ فيه ما ليس وَفْق مُراده ممَّا يتحقَّقُه أهلُ العرفان المخالفين حظ النفس واتِّباع الشيطان. ومما ينسب إليه أبياتٌ[3] في قصِّ الأظفار أيام الأسبوع، ولا يجوز نسبتها إليه[4].

وبالجملة ففي عُلُوِّ منزلته وشريفِ مرتبته ما يمنعُ الافتخارَ بما ذكرناه ورتَّبناه وحرَّرناه، لكن إنَّما أردنا الاقتطاف مِنْ تلك الأزهار والاستجناء مِنْ تلك الثمار، لارتياح النفوس إليها، وتجدُّدِ العهد القديم لديها، والله تعالى يتفضَّلُ عليه بالقَبُول، ويبلِّغه في الآخرة وإيَّايَ خيرَ مأمول، بمنِّه وكرمه.

ولنختم هذه الفصول بقصيدةٍ له فيها مواعظُ وآداب على طريقة ابن القيم، حيث ذمَّ نفسَه وازدراها في الأبيات التي أولها «بُنَيَّ أبي بكر»، قالها شيخُنا لمَّا وعك في سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة، فقال ـ وسمَّاها «الموقظة»ـ:

بُنَيَّ عليٌّ قد تفاقم وِزْرُه ... فليس على مَنْ خاض في عِرضِهِ وِزْرُ
بُنَيَّ عليٌّ مثلما قال ربُّه ... ظَلُومٌ كَنُودٌ شأنُه الغَدْرُ والمَكْرُ

---

(١) ساقطة من (ب).
(٢) في (أ): «بما».
(٣) في (أ): «أبياتاً»، خطأ.
(٤) وقد أوردها السفيري في «مختصره» ثم قال: وقال شيخنا السيوطي في «الإسفار عن قلم الأظفار»: وقد اشتهر على الألسنة هذه الأبيات، ولا ندري قائلها ولا هي صحيحة في نفسها.

بُنَيَّ عليٌّ خاب والله سعيُه ... إذا لم يكُنْ في الصَّالحين له ذِكْرُ
بُنَيَّ عليٌّ يأمرُ النَّاسَ بالتُّقى ... ويغفُلُ عمَّا يقتضي النَّهْيُ والأمرُ
بُنَيَّ عليٌّ قد غدا متصدِّراً ... لِفَقْدِ أُولي العَلْيَا وأنَّى له الصَّدْرُ
بُنَيَّ عليٌّ صار يُفتي ويجْتَري ... عليها ولا فَهْمٌ لديه ولا ذِكْرُ
بُنَيَّ عليٌّ ليس يُذْكَرُ إذْ نَشَا ... ذليلاً يتيماً ما لَهُ في الورى قَدْرُ
بُنَيَّ عليٌّ صار مِنْ بعد يُتمه ... وحظُّ اليتامَى عِنْدَه النَّهْرُ والقَهْرُ
بُنَيَّ عليٌّ صار مِنْ بعدِ ذُلِّه ... عزيزَ أُناسٍ دَأْبُه البَأْوُ والفَخْرُ
بُنَيَّ عليٌّ صارَ مِنْ بعدِ جهلِه ... عَليماً وبعد القِلِّ صارَ له وَفْرُ
بُنَيَّ عليٌّ كلُّ ما يَشْتهي جَرَى ... على وَفْقِ ما يَهْوَى وليس له شُكرُ
بُنَيَّ عليٌّ ما أحبَّ رَأْيٍ ولا ... يميلُ إلى التَّقوى فهلْ يُؤْمَنُ المَكْرُ
بُنَيَّ عليٌّ صار للأمرِ مالكاً ... وهيهات عَنْ قُرْبٍ لقد قُضِيَ الأمرُ
بُنَيَّ عليٌّ قد أتاه نذيرُه ... وليس لمَنْ جاء النَّذيرُ له عُذْرُ
بَنَيَّ عليٌّ جاز في العمر سِنَّ مَنْ ... مضى مِنْ أبٍ وابنٍ كذا العمُّ والصِّهرُ
بُنَيَّ عليٌّ ما الذي ترتجيه مِنْ ... سوى الله هيهات انقضى الأمَلُ الغِرُّ
إلٰهي أنا الخَطَّاءُ للذَّنْبِ عامداً ... وكم نِلتُ[1] أطماعاً وما كنت اضطرُّ
إلٰهي قد خوَّلْتَني فَوْقَ ما أنَا لَهُ ... الأهل[2] والتقصير وَصْفِيَ والعُذْرُ
إلٰهي كم نِعْمَةٍ إثرَ نعمةٍ ... أزَلْتَ بها بُؤسِي فما مَسَّني الضُّرُّ
إلٰهي فما قابَلْتَ بالشُّكر نِعْمَةً ... ولكني بجَهْلٍ لاح للنِّعَمِ الكُفْرُ
إلٰهي كم نجَّيتني مِنْ مُلِمَّة ... فأذْعَنَ لي في سَيْرِيَ البرُّ والبَحْرُ
إلٰهي أنا العبدُ المُسيءُ وأنت يا ... إلٰهي المليكُ المحسنُ المُنعمُ البَرُّ

---

(١) ساقطة من (أ).

(٢) كذا في الأصول، وفي «جمان الدرر» للبصروي «إلٰهي».

إلٰهي أنتَ الرَّبُّ شيمَتُك الغِنَا ... وإنِّي لعبد السوء شيمَتِيَ الفَقْرُ
إلٰهي عاملني بما أنتَ أهلُه ... فللذَّنب في ظهري إذا لم تُعِنْ وَقْرُ
إلٰهي تداركني برحْمتِكَ التي ... يقابلُها مِنْ فيضِ فضلِكَ لي الجَبْرُ
إلٰهي كما أنعمتَ زِدْ وأدِمْ ولا ... تُغَيِّرْ فتُشْمِتْ بي عَدُواً به غمرُ
إلٰهي بذنبي بُؤتُ فاغفِره لي عسى ... أكون كمن في الحشر أوجُهُهُمْ زُهْرُ
إلٰهي كم عبدٍ أدَمْتَ سُرورَه ... فوافاك بعدَ الموت بالعفو يَنْسَرُّ
إلٰهي فاجعلني برحماك منهمُ ... فإن شفيعي أحمدُ المصطفى الطُّهْرُ
فلا عملٌ أرجو سوى حبِّه ومَنْ ... إليه أنتمي عُسري بحبهم يُسْرُ

وأفاد رضي الله عنه أنَّ أصلَ هذه الطريقة سبق إليها محمدُ بنُ كثير المصِّيصي، فذكر الحاكم، قال: سمعت أبا منصور الحسن بن أحمد المعادي يقول: سمعت موسى بنَ العباس الجُوَيني ـ ونزل في دارنا ـ يُنشد أبياتاً بعد أن يقوم اللَّيل، فيصلِّي ثمَّ يبكي طويلاً، فسُئِلَ عنها، فقال: سمعتُ محمَّدَ بنَ عوفٍ يقول: سمعتُ محمَّدَ بنَ كثيرٍ المصِّيصي يقول:

بُنَيَّ كثيرِ الذُّنوبِ ... في الحِلِّ والبلِّ مَنْ كان سبَّهْ
بُنَيَّ كثيرِ دَهَتْه اثْنَتَانِ ... رياءٌ وعُجْبٌ يخالِطْنَ قَلبَهْ
بُنَيَّ كثيرِ أكولٌ نَؤُومٌ ... وما ذاك فعل مَنْ خاف ربَّهْ
بُنَيَّ كثيرِ يُعلِّم علماً لقد[1] ... أعْوَزَ الصُّوفَ مَنْ جزَّ كلبهْ

قلت: وقرأتُ في «شرح الشَّاطبية» للجعبري ما نصُّه: وسأله ـ أي عبدَ الله بنَ كثيرٍ القارىء ـ الناسُ أن يجلس للإقراء بعد شيخه، فأنشد في ذم نفسه تواضعاً، وساق الأبيات، وعندي أنَّ نسبتها لابن كثيرٍ المقرىء سهو، والله الموفق.

(١) في (أ): «لنا»، وكانت كذلك في (ح)، ثم عدلها المصنف بقلمه.

ثم رأيت في ترجمة محمد بن الخضر بن إبراهيم المِحْوَلي خطيب المحول، أحد القراء من «ذيل تاريخ بغداد»، لأبي سعد السمعاني، أنشدنا محمد بن الخضر بن إبراهيم المحولي بها في داره، أنشدنا أحمد بن علي بن سوار المقرىء أنشدنا شيخنا أبو علي الحسن[1] بن علي بن عبد الله العطار المقرىء، أنشدني أبو الحسين محمد بن عبد الله الفرضي، أنشدنا أشياخُنا، عن عبد الله بن كثير أنَّه قال في ذمِّ نفسه، حيث[2] سأله أهلُ مكَّةَ أن يُقرِئَهم القرآنَ بعدَ وفاة مجاهدِ بن جبرٍ، فذكرها. سمع هذا مِنْ أبي سعد السمعاني أبو رَوْحٍ الهروي، فالله أعلم.

وإذا[3] تأملتَ هذا مِنْ صنيع هؤلاء، واستحضرتَ جلالَتَهم وتقدُّمَهم في السُّنَّة وغيرها، علمتَ شدة حُمْقِ القائل في مدح نفسه، زاعماً أنه السنة، مِنْ أبيات أودعها في مجلد يطول التعرض لما فيه مِنْ منكر، يعظِّم فيه نفسه، ويترفَّعُ فيه عَلى كلِّ أهلِ عصرِه، بحيثُ يشهد العقل والنَّقل بأنَّ ذلك هو المذموم من ضربي مدح المرءِ نفسَه.

كأنك بي أُنْعَى إليك وعندها ... ترى خبراً صُمَّت له الأُذُنانِ[4]

فلا حَسَدٌ يَبْقَى لديك ولا قِلًى ... فينطِقُ في مدحي بأيِّ معَانِ

وتنظُرُ أوصافي فتعلمُ أنَّها ... عَلَتْ عَنْ مُدانٍ في أعزِّ مكانِ

ويُمسي رجالٌ قد تهدَّمَ رُكنُهم ... فمدمَعُهم لي دائِمُ الهملانِ

فكم مِنْ عزيزٍ بي يذل جماحَه ... ويطمَعُ فيه ذو شقا وهوانِ

فيا ربِّ مَنْ يُفجَأ بِهَولٍ يؤودُه ... ولو كنتُ موجوداً إليه دعاني

ويا ربِّ شخصٌ قد دَهَتْهُ مصيبةٌ ... لها القلبُ أمسى دائمَ الخَفَقَانِ

---

(١) في (أ): «الحسين».

(٢) في (ب، ط): «حين».

(٣) من هنا إلى بداية الفصل السادس لم يرد في (ب)، وقد ألحقها المصنف في ورقة مفردة في نسخة (ح).

(٤) في (أ): «الآذان»، خطأ.

فيَطلُبُ مَنْ يجلو صداها فلا يَرَى ... ولو كنتُ جَلَتْها يدي ولِسَاني
عَدوِّي قاصٍ عنه ظُلمي آمن ... مِنَ الجُور داني النَّفْعِ حيثُ رجَاني
فإن يَرْثِنِي مَنْ كنت أجمَعُ شملَه ... بتشتيتِ شملي، فالوفاء رثاني
وإلا نعاني كلُّ خَلْقٍ ترفَّعَتْ ... به هِمَمي عَنْ شائِنٍ وبكاني

وهي أكثر مِنْ هذا.

وقد استحضرتُ حكايةً لطيفة رويتُها مِنْ طريق محمد بن يزيد الضَّرير، قال: حدثني عبد الرحمن بن مسهر ـ وهو المذكور بخفَّة العقل ـ قال: ولأَّني أبو يوسُف القاضي قضاء جَبُّل، فانحدر الرَّشيد هارون إلى البصرة، فسألت مِنْ أهل جَبُّل أن يُثنُوا عليَّ، فوعدوني أن يفعلوا، فلمَّا قرُبَ تفرَّقُوا، وأيسْتُ منهم، فسرَّحت لحيتي، فوافى أبو يوسف مَعَ الرَّشيد في الحرَّاقة، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، نِعمَ القاضي قاضي جَبُّل، قد عدل فيها وفَعَلْ، وجعلت أثني على نفسي، فطأطأ أبو يوسف رأسه وضحك، فقال له الرشيد: ممَّنْ تضحك؟ فأخبره، فضحك حتى فَحَصَ برجليه، ثم قال: هذا شيخ سخيفٌ عقلُه، فاعزِلْه، فعزلني، فلمَّا رجع أبو يوسُف، جعلت أختلف إليه، وأسأله قضاء ناحيةٍ، فلم يفعل، فحدَّثت النَّاسَ عن مُجالِد عن الشعبي أنَّ كنية الدجال أبو يوسف، فبلغه ذلك، فقال: هذه بتلك فحسبُك، فصِرْ إليَّ حتى أوليك ناحية، ففعل وأمسكت عنه.

نسأل الله أن يلهمَنا رشدنا، ويعيذنا مِنْ شرورِ أنفسنا بمنِّه وكرمه.

الفصل السادس
في نبذة من فتاويه المهمة المتلقاة بالقبول بين الأئمة

وكان مِنْ حقّه أن يُفتَتَحَ به البابُ لشرفه في الانتساب، لكنه لمَّا وقع عندي التردُّدُ أولاً في إثباته أو حذفه مع إفراده مكمَّلاً، ثمَّ رأيتُ بعدَ كتابة ما سبق والتَّحرير مِنَ الفُصول لما وسق، أنَّ خُلُوَّ الترجمة منها يكون نقصاً، فاستخلصتُ منها ما كان بديعاً في معناه نصّاً، بل كنتُ عزمتُ أن أذكرَ منها جميعَ ما عندي، وأستوعِب ما وقفتُ عليه، رجاء الانتفاع به في الحياة وبَعدي، مرتباً على الأبواب، طلباً لمزيد الثواب، فأشارَ بعضُ الأصدقاء عليَّ ممَّن أخلص في نصيحته للكافة ـ لا سيما إليَّ ـ بإفراده في تصنيفٍ مفرد، فهو أولى وأجود، وأيضاً فربَّما طالَ الكتاب، ويكون وسيلة للانتخاب، فامتثلتُ في هذا قوله، لكن مع الإتيان منها بجملة، فأبدأ بالمكيَّة منها والمدنية، ثم بالقدسية والشاميَّة، ثم بالحلبيَّة واليمنيَّة، ثم بالقاهرية[1] والمصرية. يسَّرَ الله ذلك بفضله، وأعان على فهمه ونقله.

فأما المكيات:

فعندي منها جملةٌ وردت على صاحبِ التَّرجمة مِنْ صاحبنا محدِّث[2]

---

(١) في (ب): «القاهرة»، خطأ.

(٢) أبدلت في (ح) إلى «حافظ»، وكتب في الهامش ما نصه: لفظة (حافظ) من إصلاحه قابله الله، وكأنها في الأصل كانت (محدث)، فأبدلها هذا المجترئ بحافظ، قابله الله!.

الحجاز النَّجم بن فهدٍ الهاشميّ مرَّةً بعد أخرى.

ومن جملتها قوله، وقد سئل عن طُول عِمامة النَّبي ﷺ:

لا يحضرني في ذلك قدرٌ محرَّرٌ، وقد أخرجَ الطَّبراني في «المعجم الكبير» عن ابن عمر رضي الله عنهما، كان رسولُ الله ﷺ يدير كُورَ العمامة على رأسه، ويغرِزُها مِنْ ورائه، ويرسلها بين كتفيه. وهذا يُستفاد منه صِفَةُ التَّعميم، ولا دلالة فيه على قدرها، وقد سُئل الحافظُ عبدُ الغنيّ عن ذلك، فلم يذكر فيه شيئاً. انتهى.

وعندي لصاحب الترجمة أيضاً الجواب في أنَّه هل كانت له ﷺ عَذَبَةٌ سيأتي بعدُ، وكذا وقفتُ على جواب للعراقي في نحو ذلك، أثبتُّه في غيرِ هذا الموضع.

ومن المكيات أيضاً: عدّة وردت عليه مِنَ العفيف محمد ابن الشرف عبدالرحيم الجرهي والد الشيخ نعمة الله، من جملتها: قوله:

لم يصح أنَّ للخليل عليه السلام ولا للصِّدِّيق رضي الله عنه لحيةً في الجنة، ولا أعرفُ ذلك في شيءٍ مِنْ كتب الحديث المشهورة، ولا الأجزاء المنثورة. وعلى تقدير ورُوده، فيظهر لي أنَّ الحكمة في ذلك؛ أمَّا في حقِّ الخليل، فلكونه مُنَزَّلاً منزلةَ الوالدِ للمسلمين؛ لأنه الذي سماهم بهذا الاسم، وأقرُّوا له باتباع ملَّته.

وأما في حقِّ الصِّدِّيق رضي الله عنه، فيُنْتَزَعُ مِنْ نحوِ ما ذُكر في حقِّ الخليل عليه السلام؛ فإنه كالوالد للمسلمين، إذ هو الفاتِحُ لهم بابَ الدُّخول إلى الإسلام.

لكن أخرجَ الطَّبرانيُّ مِنْ حديث ابن مسعود رضي الله عنه بسندٍ ضعيفٍ: «أهلُ الجنَّةِ جُرْدٌ مُرْدٌ إلا موسى عليه السلام، فإن له لحية تضرِبُ إلى سُرَّته». وذكر القرطبي في «تفسيره» أنَّ ذلك ورد في حق هارون عليه السلام أيضاً. ورأيت بخط بعض أهل العلم أنه ورد في حقِّ آدم عليه السلام، ولا أعلم شيئاً من ذلك ثابتاً[1].

---

(١) قال السفيري في «مختصره»: قلت: في هذا رد لما قاله شيخه ابن الملقن في شرح حديث المعراج من أنه ورد في بعض الأحاديث المرفوعة «أهل الجنة ليس لهم كنية =

قلت: ووردت مِنْ مكَّة قبل ذلك على صاحب الترجمة أسئلة مِنَ العلاَّمة الحافظ تقي الدين أبي الطَّيِّب الفاسي[1]، افتتحها مرة بقوله:

سيدي ومولاي الحافظ الأوحد الناقد شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، [أدام الله به النَّفع بمحمد وآله، يعلم أنَّ مملوكه... ثم

= إلاَ آدم، فإنه يُكنى أبا محمد، وأهل الجنة ليس لهم لحية إلاَّ آدم، له لحية سوداء إلى سُرَّته، وذلك لأنه لم يكن له في الدنيا لحية، وإنما كانت اللِّحى لأولاده من بعده. انتهى.
ويحتمل أن يكون هو المراد بقول الشيخ [يعني السخاوي]: «ورأيت بخط بعض أهل العلم» إلى آخره.
وقال البصروي في «جمان الدرر» في هذا الموضع: قلت: وذكر تلميذ صاحب الترجمة العلامة البرهان الناجي الدمشقي في رسالته المسمّاة «حصول البغية فيمن يدخل الجنة بلحية» أن ابن جرير وابن أبي حاتم في «تفسيرهما» والبيهقي في «دلائل النبوة» وابن عساكر في «تاريخ دمشق» وغيرهم أخرجوا من طريق أبي هارون العبدي، واسمه عمارة بن جوين، بالجيم مصغراً، وهو متروك، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في حديث الإسراء المطوّل، قال: «ثم صعدت إلى السماء الخامسة، فإذا أنا بهارون ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء تكاد تضرب لسرته من طولها».
وذكر أبو حفص الميانسي وصاحب «الفردوس» لكن لم يخرجه ولده في «مسنده» عن جابر بن عبد الله مرفوعاً: «أهل الجنة مُرْدٌ إلا موسى، فإن له لحية إلى سرَّته، ويُدعى أهل الجنة بأسمائهم إلا آدم، فإنه يكنى بأبي محمد». وفي رواية ابن عباس: «فإن لحيته إلى سرته».
وقال صاحب «البحر» القاضي أبو المحاسن الروياني: أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد، حدثنا الحسن بن داود بن مهران، حدثنا سويد بن الحكم، حدثنا حماد بن سلمة، عن ليث، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: «أهل الجنة مُرْدٌ إلا موسى بن عمران عليه السلام، فإن لحيته إلى صدره، وكلُّهم يُدعى باسمه إلاَّ آدم، فإنه يُدعى بأبي محمد». فيه مجاهيل، وليث هو ابن أبي سُليم صدوق فيه ضَعفٌ يسير من سوء حفظه، ثم اختلط ولم يتميز حديثه، فيترك.
أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه بسند ضعيف من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «أهل الجنة مُرْدٌ إلا موسى عليه السلام، فإن له لحية تضرب إلى سُرَّته».
قال: كذا نقله شيخنا قاضي القضاة ابن حجر في فُتياه، ولم يُبيّن وجه ضعف سنده.

(١) في (ح): «تقي الدين بن فهد الهاشمي». وكأن أحدهم حرفها عن الأصل، حيث جاء في الهامش: «كذلك أظن أنه كان في الأصل بعد (تقي الدين) (فلان الفاسي)، وهو صاحب تاريخ مكة، فأبدله هذا بابن فهد الهاشمي. قابله الله ما أجرأه.

ساقها، وقال: فمولانا يتفضَّلُ ببيانِ ذلك بياناً شافياً.

ومرة أخرى بقوله: المسؤولُ مِنْ سيِّدنا العلامةِ الحافظِ الحجةِ شيخِ الإسلام أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني[(١)] ـ أدام الله النَّفْعَ بعلومه ـ الجواب عما سطّر فيها مِنَ السؤالات، وذكرها، وقال: بيِّنُوا لنا ذلك بياناً شافياً عاجلاً، بحيثُ لا يتأخَّرُ ذلك عَنِ الحُجَّاجِ في هذه السنة إن شاء الله تعالى، فضلاً وإحساناً.

وكتب له شيخُنا بالجوابِ عنهما.

وكذا وردت عليه مِنَ الحافظ جمال الدين محمد بن موسى المراكشي أسئلةٌ صدَّرها بقوله: المسؤول مِنْ إحسان سيدنا الإمام الحافظ الناقد شهاب الدين ـ سلَّمه الله تعالى ـ الإفادةُ فيما يُذكَرُ فيه مِنَ الأحاديث، وإرسالُ ذلك إلينا عاجلاً. ثم ذكره، وراسله[(٢)] شيخُنا بالجواب، لكن أضربتُ عَنْ إيراد ذلك كلِّه، مع كونه عندي؛ خشيةَ الإطالة بما لا يمكن استيعابُه.

وأما المدنيات:.....[(٣)]

وأما القدسيات:

فعندي من أسئلةِ كلٌّ مِنَ الشَّيخ شمس الدين بن المصري، حيث كان شيخَ الباسطيَّة هناك، وأسئلة الأوحد الزين عبد الكريم بن القلقشندي أشياء.

فمن أسئلة الثاني: سؤال يتعلق بمستدرك الحاكم، هل موضوعُه أن يُخرِّجَ ما هو على شرطِ الشَّيخين أو أحدهما ولم يخرِّجاه، أو أعمُّ مِنْ ذلك، وهو كلُّ حديث صحَّ عنده، فإن كان الأوَّلَ، فليس بظاهر؛ لأن في «المستدرك» أحاديثَ لا يقولُ فيها: على شرطهما، ولا على شرط أحدهما،

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (ب).

(٢) في (أ): «وأرسله».

(٣) بياض في (أ) مقداره تسعة أسطر وفي (ب) عشرون سطراً وفي (ح) مقدار صفحة.

بل يقول: هذا الحديث صحيح الإسناد فقط، أو يقول: لولا فلان أو جهالة فلان، لحكمتُ للحديث بالصِّحَّة، وإن كان الثاني، فيخرُج موضوعُ الكتاب عن أن يكون مستدركاً عليهما أو أحدهما. ثم ما المراد بشرطِهما؟

فأجاب بأن تصرُّفَه يقتضي أنَّه بنى على الثاني، وهو الأعمُّ، ويُعتَذَرُ عما أُورِد عليه أنَّ الكتاب بذلك يخرج عَنْ أن يكونَ مستدركاً على «الصحيحين» بأن يقال: الأصلُ فيه أن يُخرِّج ما يُستدرك به على «الصحيحين»[1]، وما زاد على ذلك، فهو بطريق التَّبعيَّةِ، لقصد تحصيل ما يمكن أن يُطْلَقَ عليه اسم الصَّحيح، ولو على أدنى الوجوه.

وأمَّا المرادُ بقوله: على شرط فلان، فقد وقفتُ للعلامة الحافظ قُدوةِ الفقهاء والمحدثين صلاح الدين العلائي شيخ شُيوخنا تغمده الله برحمته في مقدمة كتاب «الأحكام» لهذا الغرض على كلام[2] في غاية الإتقان، بحيثُ لا مزيدَ عليه في الحُسْنِ، والذي اختارَهُ رجحانَ القول بأنَّ مُرادَ الحاكم بقوله: على شرط فلان، أنَّ رجال ذلك السند يكون من نسب إليه الشرط أخرج لكل منهم احتجاجاً. هذا هو الأصل، وقد يتسامَحُ الحاكمُ، فيُغضي عَنْ مَنْ يتَّفق أنه وقع في السند ممَّن هو في مرتبة مَنْ أخرج له، وإن لم يكن عيَّنَه، وذلك قليلٌ بالنِّسبة إلى المثل، وتراه ينوِّعُ العبارةَ، فتارة يقول: على شرطهما، وذلك حيثُ يتفرَّدُ أحدُهما بالتَّخريج لراوٍ مِنْ ذلك السند، كعكرمة بالنِّسبة للبخاري، وحمادِ بن سلمة بالنسبة لمسلم؛ ففي الأول يقول: على شرط البخاري، وفي الثاني يقول: على شرط مسلم، كما لو اتَّفق أنَّهما أخرجا للجميع، فيقول: على شرطهما. ومتى كان أكثرُ السَّندِ ممَّن لم يخرِّجا له، قال: صحيح الإسناد، ولا ينسُبُه إلى شرطِ واحدٍ منهما، وربما أورد الخبر، ولا يتكلَّمُ عليه، فكأنَّه أراد تحصيلَه، وأخَّرَ التَّنقيب عليه، فعوجل بالموت مِنْ قبلِ أن يتقن ذلك، وقد وقفتُ على

---

(١) في (ب): «الصحيح».

(٢) في (ب) و«جمان الدرر»: «لهذا الغرض كلاماً» وكانت كذلك في (ح)، ثم شطب عليها المصنف، وكتبها في الهامش كما هنا.

نسخةٍ مِنَ «المستدرك» في ستِّ مجلدات، فوجدت في هامش صفحةٍ مِنْ أثناءِ النِّصف الثاني مِنَ المجلد الثاني: «إلى هنا انتهى الحافظ الحاكم». ففهِمْتُ مِنْ هذا أنَّه قد حرَّر مِنْ أوَّلِ الكتاب إلى هنا، وأنَّ الباقي استمرَّ بغيرِ تحريرٍ، ولذلك يُوجَدُ فيه هذا النوع مِنْ أنه يوردُ الحديثَ بسنده، ولا يتكلَّم عليه.

وأما اليمنيات:

فمن جملة ما ورد السُّؤال عنه مِنْ هناك مِنَ العلاَّمة السيد البدر حسين بن عبد الرحمن بن محمد الأهدل عَنِ الخضرِ صاحب موسى عليهما السلام، وبيان الاختلاف في بقائه ونُبُوَّتِهِ وغير ذلك، وهي في غاية التحرير في كتاب «الإصابة» للشَّيخ، فلا نُطيلُ بإيرادها، لكن سمى هذه «الزهر النضر في نبأ[1] الخضر»، وختمها بزيادة، فقال: والذي تميلُ إليه النَّفسُ مِنْ حيثُ الأدلَّةِ القويَّةِ خلافُ ما يعتقدُه العوام مِنَ استمرارِ حياته.

لكن ربَّما عرضت شبهةٌ مِنْ جهةِ كثرة النَّاقلين للأخبار الدالّة على استمراره، فيقال: هبْ أنَّ أسانيدها واهيةٌ، إذ كلُّ طريقٍ منها لا تسلَمُ مِنْ سببٍ يقتضي تضعيفها، فماذا نصنع في المجموع؟ فإنَّه على هذه الصورة قد يلتَحِقُ بالتواتُرِ المعنويِّ الذي مثَّلوا له بجُودِ حاتم، مع احتمال التأويل في أدلة القائلين بعدم بقائه كآية ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وكحديث «رأس مائة سنة»، وغيرِ ذلك ممَّا تقدم بيانه.

وأقوى الأدلة على عدم بقائه: عدمُ مجيئه إلى رسول الله ﷺ، وانفراده بالتعمير من بين أهل الأعصارِ المتقدِّمةِ بغيرِ دليلٍ شرعيٍّ، والذي لا يتوقَّفُ فيه الجزم بنبوَّتِه[2]، ولو ثبتَ أنه مَلَكٌ مِنَ الملائكة، لارتفعَ الإشكال كما تقدَّم، والله أعلم.

---

(١) في (أ، ح): «بيان».

(٢) في (ب): «بثبوته»، تحريف.

ومنه مسألة قاضي جِبْلة وعدن محمد بن عمر الحزيزي عن رجل يصلّي بالنَّاسِ إماماً، فإذا سلَّمَ، تأخَّرَ قليلاً، وجعل وجهه إلى المشرق وظهره إلى المغرب، وأتى بالذِّكرِ ثمَّ بالدُّعاءِ وهو على الحالة المذكورة، وزعم أنَّ ذلك قد رُوي عَن النَّبيِّ ﷺ، واستقرَّ حالُه دائماً على ذلك في جميع الصلوات، فهل ذلك صوابٌ؟ وهل كان النَّبيُّ ﷺ إذا فرغ مِنَ الصلاة وقف في المصلى يأتي بالذِّكر والدعاء المأثور وهو على حالة الاستقبال، أو على ما يفعله الإمام المذكور؟ وهل المراد بالانصراف من الصلاة الانصراف[1] في الجهات عند الخروج مِنَ المسجد عن اليمين والشمال كما ذكره صاحبُ «البيان» مفسِّراً به لما ذكره البغداديون، ما نقله عن صاحب «الإبانة» أنَّ المرادَ عن اليمين عند أكثرِ أصحابنا أن يفتِلَ يدَه اليسرى، ويجلس على الجانب الأيمن[2] من المحراب. وقال القفال: الانصراف عن اليمين هو أن يفتِل يدَه اليمنى، ويجلس على الجانب الأيسر من المحراب كما في الطواف يجعل يده اليُسرى إلى الكعبة واليمين إلى الناس.

فهل لما قالاه دليلٌ مِنَ السُّنَّة؟ وهل صحَّ ما نقلاه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قبل الذكر أو بعده. ونصّ الشافعي رضي الله عنه على استحباب الانصراف للإمام عَقِبَ السَّلامِ إن لم يكُنْ معه نساءٌ، كما ذكره الشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيره.

وهل في الأحاديث الصحيحة ما يخالِفُ هذا النص؟ وهل في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما، حيث قال: كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ أحببنا أن نكونَ عَنْ يمينِه يُقبِلُ علينا بوجهه. إلى آخر الحديث، دليلٌ لما يفعلُه المصلِّي المذكور مِنَ التأخُّرِ قليلاً واستقبال المشرق، واستدبار المغرب دائماً أو لا؟ إذ قد يقال: إنَّ مراد البراء رضي الله عنه بقوله: «يُقبل علينا بوجهه» حالة السلام، أو أنه انحرف، ولم يكن انحرافُه ﷺ ليذْكُرَ ويدْعُوَ مستقبلاً للمشرق، أو قد يكون لسببٍ ما.

---

(١) ساقطة من (أ).

(٢) في (ب): «الآخر».

المراد إيضاح ذلك بجوابٍ شافٍ للنفس يشرَحُ الصَّدرَ، ويزيلُ اللَّبْسَ، يحقِّق ذلك كلَّه، وما يُعتمَدَ وما يكون الآتي به متبعاً لا مبتدعاً.

فأجاب بما نصُّه:

أما ما وقع في السُّؤال مِنْ أنَّ الإمام إذا سلَّم التسليمة الثانية، جعل وجهه إلى المشرق وظهره إلى المغرب، فلعلَّه خصَّ ذلك بالبلد الذي هو بها، حيثُ تكونُ القبلةُ بين المشرق والمغرب، فينحرِفُ هو إلى جهة المشرق، وهي جهةُ يسارِه، ويُقبِلُ بوجهه على مَنْ هو على يمينه حين الائتمام، وهذا هو الذي يظهر مِنْ حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما، ولكن الذي يتحصَّل مِنْ مجموع أحواله ﷺ أنَّه كان لا يفعلُ ذلك ديْدَناً، بل هذا الفعل خاصٌّ بما إذا أراد أن يجلِسَ في مصلاَّهُ بعدَ انقضاء الصَّلاةِ للوعظ والافتاء وغيرهما مِنْ مصالح المسلمين، وهو لائق بالصلاة التي لا نافلة بعدها كالصبح، فقد صحَّ أنه ﷺ كان يلبَثُ في مصلاه حتى تطلُعَ الشمسُ حسناء. وأما إذا كانت بعد الفريضة نافلةٌ كالظُّهر، فإنه كان ينصرف إلى منزله على يساره؛ لكون حجرة عائشة وغيرها مِنْ نسائه رضي الله عنهن كان من جهة يسار القبلة، ولذلك قال بعضُ الصَّحابة رضي الله عنهم: كثيراً ما رأيتُ رسول الله ﷺ ينصرف عن يساره، راداً على من كان يرى استحباب الانصراف عن يمينه، ويراه حتماً لا يعدل عنه[1]. وهذا الانصراف غير الانصراف الذي نُقِلَ في السُّؤال عَنِ الفقهاء، فإنَّ الانصرافَ الذي ذكروه هو الحركة بعد السلام مِنَ الصلاة، وهذا هو الحركةُ عندَ إرادةِ التوجُّه مِنَ المسجد، وكان انصرافه هذا الثاني إلى منزله، ليستريح ويصلي فيه حينئذٍ سنة الظهر التي بعدها، وكذا كان يصلِّي سُنَّةَ الظُّهر التي قبلها في منزله؛ لأنه كان إذا فرغ مِنَ المصالح، توجَّه عند القيلولة إلى منزله ثمَّ يخرُجِ لصلاة الظُّهر، كما جرى له حين جاءه وفدُ عبدِ القَيْسِ، فشغلُوه فلم يُصَلِّ الركعتين بعد الظهر حتى دخل منزله بعد صلاة العصر، فصلاهما فيه.

---

(١) في (ب) و«جمان الدرر»: «ويراه احتمالاً يعدل عنه».

(٢) في (أ): «في الحركة».

وأمَّا الذِّكْرُ (بعد الفرائض)[1]، فقد صحَّ أنه كان لا يجلس في مصلاه إلا قدْرَ ما يقول: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام... إلى آخره»، فالظَّاهِرُ أنَّ المأثور مِنَ الذكر والدعاء كان يكون في المسجد؛ حيثُ لا يتوجَّه منه، وفي منزله حيث يتوجه مِنَ المسجد.

وإذا تحرَّر هذا، يُستنبط منه أنَّ مَنْ ليس في مِثْلِ حاله من إرادة الوعظ والإفتاء ونحوهما إذا ذكر الذكر والدعاء المأثور لكل صلاة يستمر على استقبال القبلة حتى يفرغ وينصرف إلى منزله، وإنما كان ذلك، لأن الأمر ورد باستقبال القبلة عند الدعاء، فإذا خُصَّ منه شيءٌ للمصلحة المذكورة، بَقِيَ ما عداه على عُمومه. وهذا مما غاب بيانُه عَنْ كثيرٍ مِنَ النَّاس، فحملوا صنِيعَه ﷺ في الهيئة المذكورة مِنَ الجلُوس على عموم الأحوال، والذي يظهر أن الذي يستحب التفصيل المذكور، والله الموفق.

[وكذا سأله الشِّهابُ أحمد بن أبي القاسم الضَّراسي اليماني سؤالاً يتعلَّق بقوله ﷺ «مَنْ صلَّى الصُّبْحَ، ثمَّ جلس في مُصلاَّه، إلى أن تطلُعَ الشَّمس».

كتبته مع جوابه في غير هذا الموضع][2].

وأما الشاميات:

فقد ورد السُّؤال منها عَنْ واقفٍ وقفَ وَقْفاً على نفسه مدَّة حياته، ثم من بعد موته[3] على أولاده الموجودين، ثمَّ مِنْ بعدهم على أولادهم، ثم على أولاد أولادهم، ثمَّ على أولاد أولاد أولادهم ونَسْلِهِم وعَقِبِهم بينهم بالفريضة الشرعية للذَّكرِ مِثْلُ حظِّ الأنثيَيْن مِنْ أولاده الظَّهر والبطن، واحداً كان أو أكثر، ذكوراً كانوا أو إناثاً بينهم بالفريضة الشرعية، يسْتَقِلُّ[4] به

---

(١) هذه العبارة ساقطة من (أ).

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب)، وقد أشار المصنف إلى هذا السؤال في ترجمة الضراسي من الضوء اللامع ٢/ ٦٤، وقال: أوردته في فتاويه، يعني الحافظ بن حجر.

(٣) في (ح): «من بعده».

(٤) في (أ): «يشتغل».

الواحد، ويشترك فيه الاثنان فما فوقهما مدة حياتهم مِنْ غيرِ مشاركٍ لهم فيه ولا في شيء منه يحجُبُ الطَّبقة العُليا منهم أبداً الطبقة السفلى مِنْ أولاد الظَّهر والبطن بالفريضة الشرعية، على أنه مَنْ تُوفِّي مِنْ أهل هذا الوقف، وترك ولداً أو ولدَ ولدٍ أو أسفلَ مِنْ ذلك مِنْ ولد الولد، انتقل نصيبهُ إليه، واحداً كان أو أكثرَ على التَّرتيب المشروح أعلاه، فإن لم يكن للمتوفى منهم ولدٌ ولا ولد ولدٍ ولا أسفل مِنْ ذلك، أو كانوا وانقرضوا، كان ما للمتوفى مِنْ رُبع ذلك لإخوته وأخواته المشاركين له في استحقاق الوقف، ووجوب الصَّرف إليه مِنَ الذُّكور والإناث مِنْ ولد الظَّهر والبطن على ما شُرِحَ فيه، فإن لم يكن للمتوفَّى أخٌ ولا أختٌ، أو كانوا انقرضوا، كان ما[1] للمتوفى مِنْ ذلك لأقرب الطبقات إليه من أهل الوقف المذكُور[2] ممَّن يشاركه في حال حياته في استحقاق الربع، ووجوب الصرف إليه من ولد الظهر والبطن من أهل الوقف بينهم بالفريضة الشرعية، وحكم حاكم يرى صحة الوقف على النفس، ثم مات الآن مِنَ المستحقين محمد وأحمد ولدا محمَّد بن أم هانىء بنت عبد القادر بن أبي بكر ابن الواقف وعائشة وفاطمة بنت الشيخ علي بن أنس بنت فاطمة بنت عائشة بنت الواقف عن[3] غير ولد، ولا ولدِ ولدٍ ولا إخوةٍ ولا أخوات. ثمَّ الآن مِنَ المستحقِّين الموجودين بركةُ بنتُ فاطمة بنت حسن بن محمد بن موسى ابن الواقف، وإبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن سومَلَك بنت الواقف، وبي خاتون بنت أحمد بن إبراهيم بن يوسف بن سوملك بنت الواقف، ومحمد بن بلينة بنت أنس بن سليمان بن موسى ابن الواقف، وبي خاتون وزينب بنتا عائشة بنت يونس بن أبي بكر ابن الواقف، وقضاة بنت عائشة بنت فاطمة بنت إبراهيم ابن الواقف، وتولت بنت إبراهيم بن يوسف بن سوملك بنت الواقف، ومحمد وفاطمة ولدا عائشة بنت زينب بنت أبي بكر ابن الواقف، وأغُل بنت

---

(١) «ما» ساقطة من (ب)، وفي «جمان الدرر»: «كان ما كان للمتوفى».

(٢) في (أ): «الذكور».

(٣) في (أ): «من».

عبد الرحمن بن أبي بكر ابن الواقف، وأسماء بنت فاطمة بنت أبي بكر ابن الواقف. فهل ينتقل نصيبُ المتوفِّين المذكورين إلى بركة ومَنْ شاركها في طبقتها، أم إلى بي خاتون وزينب ومَنْ بشاركها في طبقتها، أم إلى أُغُل ومن يشاركها في طبقتها؟.

وقد وقعت هذه الواقعة في دمشق المحروسة، واختلف فيها بعضُ العلماء بها، فقال بعضُهم: إنَّ نصيب المتوفين ينتقلُ إلى أُغُل ومَنْ يشارِكُها في طبقتها دُونَ غيرهم، واحتجَّ بأن المرادَ بأقربِ الطَّبقات أقربُ مَنْ في الطبقات، فهو بمنزلة قوله: أقرب أهل الواقف[1] إليه، وليس المراد تقديم أهل الطَّبقة التي هي أقربُ إلى طبقةٍ مِنْ أهل الطبقة التي هي أعلى منها ولا أسفل؛ لأنه لما خصَّ الإخوة والأخوات مِنْ أهل الطبقة، ولم يعتبر بقية الطبقة، لا معهم ولا بعدَهم، علمنا أنَّه لا ينظر إلى مُطْلَقِ الطَّبقة، بل إلى مَنْ هو أقربُ منها إليه، ولو قصد الصَّرف إلى مَنْ هو أقربُ طبقةً إليه، لكان أهلُ طبقته أولى، فلما عدل بعدَ الإخوة إلى أقرب الطَّبقات عَنْ طبقته، عُلِمَ أنَّ المراد أقرب الموجودين من بعدهم إليه، فكأنه قال: على إخوته، ثم الأقربُ فالأقرب إليه دُونَ بقية المستحقين.

وأيضاً فقوله: أقربُ الطَّبقات إليه، يحتمل أن يكونَ المرادُ أقربَ طبقةٍ إليه، ويحتمل أن يُراد أقرب الموجودين إليه. وهذا الثاني أولى، عملاً بقول الواقف أولا[2]: تحجب العليا السفلى أبداً، ما لم يخصَّ بصريح؛ كقوله: على أنَّ مَنْ مات منهم عَنْ ولدٍ، انتقلَ نصيبُه إلى ولده.

وقال الآخر: إنَّ نصيب المذكورين ينتقلُ إلى بركةَ ومن يشاركها في الطَّبقة؛ لأن قوله: انتقل نصيبُه إلى أقربِ الطَّبقات إليه صريحٌ في أنَّ مَنْ كان أقربَ طبقةً إلى الميت استحقَّ نصيبَه، ولا شكَّ أنَّ أهلَ الطبقة الأولى - الذين هم أولادُ الواقف - أبعدُ الطَّبقات عَنِ الميت، والطَّبقةَ الثانية أقربُ ممَّا

---

(١) في (ب): «الوقف».

(٢) في (ب): «ولا».

قبلَها إلى الميت، والطَّبقةَ الثالثة أقربُ إلى الميت مِنَ الثَّانية، وهكذا حتَّى ينتهي إلى طبقةِ الميت، وحينئذٍ فأهل الطبقة[1] المساوين له في الدرجة باعتبار عددِ الطَّبقات أوْلَى بالاستحقاق مِنْ أهلِ الطَّبقة التي فوقها؛ لأنَّ الواقف قيَّد استحقاقَ أقربِ الطَّبقات إلى الميت بكونه ممن يشاركه في استحقاق الربع. واحتمال المشاركة صدَّ عنه، إنما كان في أهل طبقته؛ لجواز أن يكون بعضُ مَنْ في طبقته محجوباً بأبيه.

وأمَّا مَنْ فوقَه مِنَ الطَّبقات، فيشاركونه لا محالة. فلو حُمِلَ على مَنْ فوقَه مِنَ الطبقات، لعرِّى التَّقييد عَنِ الفائدة.

فإن قيل: وإذا حُمِلَ على أهل طبقته، لعرِّى عن الفائدة أيضاً؛ لأنَّ أهلَ الطَّبقة همُ المتناولون مِنْ رَيْعِ الوقف، المنتسبون إلى الواقف على حدٍّ سواء، أُجيبَ بالمنع؛ فإنَّ الشيخ العلامة تقي الدين السبكي رحمه الله حكى احتمالين في المساوي في النسب إلى الواقف، [ولم يتناول من ريع الوقف لوجود أبيه مثلاً، هل هو من أهل الطبقة أم لا، فقول الواقف][2]: المشاركون له في الاستحقاق نصٌّ في إخراج مثل هذا، وبقي الاحتمالُ الآخر، فله فائدةٌ بخلافِ حملِه على المحمَلِ الأوَّلِ. وأيضاً قولَ الواقف: ثمَّ على أقرب الطبقات إليه لو حُمل على الطبقة العليا، لكان هو عينَ الكلامِ الأوَّلِ في قوله: تحجبُ الطَّبقة العليا الطَّبقة السُّفلى، فيبقى الكلام الثاني بلا فائدة، وأيضاً قد حكى بعض المتأخِّرين خلافاً[3] فيما إذا احتمل عَوْدُ الضَّمير إلى الواقف أو إلى المتوفَّى، وبتقديرِ ما ذكَرَهُ القائل الأول، يلزم أن لا يختلِفَ الحالُ، ولا يكون لهذا الخلافِ المحكيِّ فائدةٌ.

وقوله: إنَّ المرادَ بأقربِ الطَّبقات أقربُ مَنْ في الطَّبقات ممنوع؛ لأنَّ الأصلَ عَدَمُ هذا التقدير، ولو أراده، لقال: أقربُ النَّاس إليه مِنْ أهل الوقف. وما احتجَّ به لهذا التقدير ممنوع، بل قول الواقف: لإخوته

---

(١) في (ب، ح): «طبقته».

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

(٣) في (ب): «خلافه».

وأخواته، تخصيصٌ لقوله: تحجِبُ الطَّبقةُ العليا الطَّبقةَ السُّفلى أبداً.

وقوله: ومن مات عَنْ غير ولد، ولا ولد ولد، ولا إخوة ولا أخوات، عادَ إلى أقرب الطَّبقات إليه، مِنْ تمام الكلام في تخصيص قوله: تحجِبُ الطَّبقة العليا الطَّبقة السفلى، حملاً للكلام الثاني على الفائدة.

وقوله: إنَّ الاحتمالَ الثَّاني أولى، عملاً بعموم قول الواقف: تحجِبُ الطَّبقةُ العليا الطَّبقةَ السُّفلى، ما لم يحصر بصريح كقوله[1]: على أنَّ مَنْ مات عَنْ ولدٍ انتقل نصيبه إلى إخوته وأخواته، وقول القائل الأول أيضاً: إنَّ الواقف لو قصد الصرف إلى من هو أقرب طبقة إليه، كان أهل طبقته أولى، يقال له: هذا محل النِّزاع، لأن القول الثاني يقول: إن أهل الطبقة هم المستحقون لنصيبِ المتوفَّى، إذ أهلُ طبقته أقربُ الطَّبقات إليه، فتأمَّلُوا ذلك، وبيِّنُوا الصَّواب منه واضحاً.

فأجاب: الذي بحثه المفتي الأوَّل، وإن كان له اتِّجاه لما ذكر، لكن الذي بحثه الثاني أوجه، وكلُّ شيءٍ نُقضَ به تعليلُ الأول مستقيمٌ يقتضي ترجيح بحثه على بحث الأول، ويُزادُ بأنْ يُقالَ: لو كان الأمرُ على ما أجابَ به الأول، لاقتضى أنَّه لا فرق بين قوله: أقربُ الطَّبقات إلى الواقف، وبين قوله: أقربُ الطَّبقات إلى الميت. والواقع أن بينهما فرقاً؛ ففي الأول يُعتَبَرُ القُرْبُ إليه، فمهما كان إليه أقلَّ عدداً، كان أحقَّ بذلك ممَّن هو دُونَه، وفي الثاني المساوي أقربُ إلى الميت طبقةً مِنَ الطَّبقة التي تسفُل عنه، وهذا لا خفاء به، والله سبحانه أعلم.

ومما ورد عليه من دمشق: أسئلة مِنَ العلاَّمة القطبُ خاتمة المفسرين زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الكرم الصَّالحي الحنبلي، عُرف بأبي شعرة، نفعنا الله ببركاته[2].

---

(١) في (أ): «يحضر تصريح لقوله».

(٢) وقد طبعت هذه الأسئلة وأجوبتها بعنوان «الأسئلة الفائقة بالأجوبة اللائقة»، وسيأتي التصريح بعنوانها في نهاية الأجوبة.

[حديث الجسَّاسة]

كتب شيخُنا صاحبُ الترجمة إليه ما نصُّه: سألتم رضي الله عنكم، وأدام لكم التوفيق، وأرشدكم إلى سواء الطريق، عن حديث فاطمة بنت قيس في الجسَّاسة، وهل فيه علَّةٌ لأجلها لم يخرِّجْهُ البخاري، فإنه لا يقال: تركه لأجلِ الطُّول، فإنه ليس في الباب شيءٌ يُغني عنه. وأيضاً فإنَّ الصَّحابة رضي الله عنهم اختلفوا وشكُّوا في ابنِ صيَّادٍ، حتَّى بعد موت النبيِّ ﷺ، فلو سمعوا هذه الخُطبة، لما أشكل عليهم، ولا يمكن أن تكون فاطمةُ بنتُ قيسٍ رضي الله عنها سمعته وحدها، أو هو أمرٌ خاصٌّ، بل هو أمر عام. انتهى.

والجواب أن هذا السؤال تضمَّن أموراً:

أولها: لِمَ لَمْ يخرِّجْهُ البخاري، وانفرد مسلم بإخراجه؟.

فأقول: ليست له علَّة قادحة تقتضي تركَ البخاري لتخريجه، وطولُه لا يقتضي العدُولَ عنه، فإنه أخرج غيره من الطِّوال، ولم يختصرها في بعض المواضع، مع أن حاجته منها إنَّما هي ببعض الحديث، كما في حديث الإفك؛ حيث أخرجه بطوله في كتاب الشهادات في باب تعديل النساء. ومن جملة الطِّوالِ ما أكثرُه[1] مِنْ كلام الرَّاوي، لا مِنْ كلامِ الرَّسول عليه الصلاة والسلام، كما في حديث أبي سفيان رضي الله عنه في قصَّة هرقل.

والذي عندي أنَّ البخاريَّ أعرضَ عنه لما وقع بين الصَّحابةِ رضي الله عنهم في أمرِ ابنِ صيَّادٍ. ويظهر لي أنَّه رجح عنده ما رجح عندَ عمرَ وجابرٍ وغيرهما رضي الله عنهم مِنْ أنَّ ابن صياد هو الدَّجالُ، وظاهرُ حديثِ فاطمةَ بنتِ قيسٍ يأبى ذلك، فاقتصر على ما رجح عنه، وهو على ما يظهر بالاستقراءِ مِنْ صنيعه يُؤْثِرُ الأرجح، ممّا على الراجح، وهذا منه.

الأمر الثاني ممَّا يتضمَّنُه السؤال: الإشارة إلى أنَّ الصحابة رضي الله عنهم لو سمعوا الخطبة التي نقلَتْها فاطمةُ بنتُ قيس، لما شكُّوا حتى بعد موت النبي ﷺ في ابن صياد.

---

(١) في (أ): «أذكره»، تحريف.

فأقول: بل وردَ أنَّ بعضَ الصَّحابة رضي الله عنهم الذين سمعُوا الخطبةَ كما سمعتها فاطمةُ، استمرُّوا على الشَّكِّ في كَوْنِ ابنِ صيَّادٍ هو الدَّجالُ، كما سأبيِّنُه.

الأمر الثالث: الإشارة إلى أنَّ فاطمةَ بنتَ قيسٍ تفرَّدت برواية الخُطبة المذكورة، مع استبعادِ أن تكونَ سمعتها وحدَها، فما السِّرُّ في كون بقيَّةِ مَنْ سمعها معها لم يروُوها كما روتها؟

فأقول: لم تنفَرِدْ فاطمةُ بسماعها ولا بروايتها، بل جاءت القصَّةُ مرويةً عَنْ جماعةٍ مِنَ الصَّحابةِ غيرها، ودلَّ ورودُها علينا مِنْ رواية عائشة أمِّ المؤمنين وأبي هريرة وجابر وغيرهم، رضي الله عنهم، على أنَّ جماعةً آخرين روَوْهَا، وإن لم تتَّصل بنا روايتهم.

أما حديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما، فهو عند الإمام أحمد في «مسنده»، أورده في مسند فاطمة بنتِ قيس رضي الله عنها، فقال فيه: حدثنا يحيى بن سعيد ـ هو القطَّان ـ حدثنا مُجالِدٌ، عن عامر ـ هو الشعبي ـ، قال: قدِمْتُ المدينة، فأتيتُ فاطمةَ بنت قيس رضي الله عنها، فحدثتني أن زوجها طلَّقها وذكر الحديث. وفيه: فلما أردت أن أخرج، قالت: اجلس حتى أحدثك حديثاً عن رسول الله ﷺ. قالت: خرج رسول الله ﷺ يوماً من الأيام، فصلَّى صلاة الهاجرة، ثم قعد ـ يعني على المنبر ـ ففزِعَ النَّاسُ، وقال: «اجلسوا أيها الناس، فإني لم أقُمْ مقامي هذا لفزع، ولكن تميماً الداري أتاني، فأخبر خبراً منعني مِنَ القيلُولَةِ مِنَ الفرح...». الحديث بطوله. وفيه: قال عامر: فلقِيتُ المحرَّر بن أبي هريرة، فحدَّثتُه بحديثِ فاطمةَ بنتِ قيسٍ رضي الله عنها، فقال: أشهد على أبي أنه حدثني كما حدثتْ[1] فاطمة، غير أنه قال: «إنه في نحو المشرق». قال: ثمَّ لقيتُ القاسمَ بنَ محمَّدٍ، فذكرتُ له حديثَ فاطمة بنتِ قيسٍ، فقال: أشهدُ على عائشة أنها حدثتني كما حدثت[2] فاطمة، غير أنَّها قالت: «الحَرَمَانِ عليه حرام، حرم[3] مكة والمدينة».

---

(١) ساقطة من (أ).

(٢) في (ب): «حدثتك».

(٣) ساقطة من (ب، ح).

قلت: وقد أخرج أبو داود في «السنن» هذا الحديث مِنْ رواية مجاهد، لكنه اقتصر على حديث فاطمة بنتِ قيسٍ، ولم يَسُقْ لفظَه، بل أحال به على طريق أخرى عَنْ فاطمة قبله، ولم يتعرض للزيادة في آخره.

وأخرجه ابن ماجه مِنْ رواية مجالد[1] أيضاً، مقتصراً على حديث فاطمة بنت قيس.

وأخرج أبو يعلى من طريق عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ استوى على المنبر، فقال: «حدِّثني تميم»، فرأى تميماً في ناحية المسجد، فقال: «يا تميمُ، حدِّثِ النَّاس بما حدَّثتني»، فذكر الحديثَ باختصارٍ.

وهذا لا ينافي ما وقع في رواية فاطمة بنت قيس؛ لاحتمال أن يكونَ ﷺ قصَّ القصَّةَ، كما في رواية فاطمة بنت قيس، ثم رأى تميماً، فأمره أن يقُصَّ عليهم ما قصَّ عنه، تأكيداً. ويستفادُ مِنْ ذلك مشروعيةُ طلب عُلوِّ الإسناد، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما حديث جابر رضي الله عنه، فأخرجه أبو داود، وقال: حدثنا واصل بنُ عبد الأعلى، حدثنا ابنُ فُضَيل ـ هو محمد ـ عن الوليد بن عبد الله بن جُميع، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ ذاتَ يوم على المنبر: «إنَّه بينما أُنَاسٌ يسيرون في البحر، فنفِدَ طعامُهم، فرُفِعَتْ لهم جزيرةٌ، فخرجُوا يريدُونَ الخبر، فلقيتهم الجسَّاسة». فقلت لأبي سلمة: ما الجسَّاسَةُ؟ قال: امرأةٌ تجرُّ شعرَ جلدِها ورأسها، «قالت: في هذا القصر رجل». قال: فذكر الحديث، وفيه: «وسأل عن نخل بيسان[2] وعين زُغَر. قال: هو المسيح». فقال لي ابن أبي سلمة: إنَّ في هذا الحديث شيئاً ما حفظته، قال: شهد جابر[3] أنه ابنُ صيَّادٍ، فقلت: فإنه قد مات. قال: وإن مات. قلت: فإنه أسلم. قال:

---

(١) في (أ): «مجاهد»، تحريف.

(٢) في (أ): «بستان»، تحريف.

(٣) في (أ، ح): «ابن جابر»، خطأ، وانظر الحديث في سنن أبي داود برقم ٤٣٢٨.

وإن أسلم. قلت: فإنه دخل المدينة. قال: وإن دخل المدينة.

وأخرجه أبو يعلى بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح، كذا[1] قاله شيخنا الهيثمي في «الزوائد». والواقع أن السند الذي أشار إليه هو سند أبي داود بعينه، فإن أبا يعلى أخرجَ الحديثَ عن واصلِ بن عبد الأعلى، به.

الأمر الرابع في إيضاح هذا الإشكال: وهو أنَّ ابن صيَّاد على ما تضمنته الأخبار الواردة فيه وُلِدَ بالمدينة، ونشأ بِهَا، وجرت له في زمنِ النَّبيِّ ﷺ أمورٌ، منها في «الصحيحين» توجُّهُ النبي ﷺ إلى المكان الذي هو فيه، ووجدانه إياه في قطيفة[2] له فيها زمزمة، وأنَّ أُمَّه أعلمته بمجيء النَّبيِّ ﷺ، فثار، فقال النبيُّ ﷺ: «لو تركتُه بيَّن».

ومنها: التقاءُ النبي ﷺ معه[3]، وسؤاله إياه عما يرى أنَّه خبأ له الدُّخ، وغير ذلك مما تضمَّنَتْهُ الأخبارُ الدَّالةُ على وجوده في عصر النَّبيِّ ﷺ، ثمَّ بقاؤه بعدَ النبي ﷺ، وغزوه مع المسلمين وحجه واعتماره وتزوُّجه بالمدينة، ووُلِدَ له بها. وفي ذلك قصَصٌ له مع أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ومع ابن عمر رضي الله عنهما. وخرج ذلك كله في «صحيح مسلم» و«السنن»، وكان هو يتبرَّأ مِنْ ذلك إذا بلغه أنَّ النَّاس يرمُونَه باسم الدَّجَّال، ويستدِلُّ بأنَّه غيره بالأمور التي هو متَّصِفٌ بها إذ ذاك ممَّا يخالِفُ صِفَةَ الدَّجال، لكن ظهرت عليه مخايِلُ تنبىء على صِدْقِ فراستهم فيه؛ حتَّى إنه كان يرمِزَ أحياناً، ويكاد يصرِّح بأنه هو، ولذلك كان جماعة مِنَ الصَّحابة رضي الله عنهم يجزمُون بأنَّه هو كما في «الصحيحين» عن عمر وجابر رضي الله عنهما.

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: لأن أحلِفَ عشرَ مرار أنَّ ابنَ صيَّاد هو الدَّجال أحبُّ إليَّ مِنْ أن أحلِفَ أنَّه ليس به. وسنده صحيح.

---

(١) في (ب): «كما قاله».

(٢) في (أ): «وظيفة».

(٣) ساقطة من (ب).

ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: لأن أحلِفَ تسعاً أنَّ ابن صائدٍ هو الدَّجالُ، أحبُّ مِنْ أنْ أحلِفَ واحدةً أنه ليس به. أخرجه الطبراني.

وقد ثبت أنَّ أبا ذرٍّ رضي الله عنه مِنْ أصدقِ النَّاسِ لهجةً، وأنَّ عمرَ رضي الله عنه نطق الحقُّ على لسانه، فلا يُقدمان على الحلف بأنَّ ابنَ صيادٍ الدَّجالُ إلا بعدَ وُضُوحِ ذلك لهما.

ولكن توقُّف النبي ﷺ في ذلك في قوله لعمر رضي الله عنه لمَّا أراد قتله: «إنْ يكُنْ هو، فلن تُسلَّطَ عليه» يقتضي عدمَ الجزم، ولعلَّ النبي ﷺ أمر بأن لا يُفْصِحَ بحاله، فاستمر على التردُّد في تقريره تميماً على قصة الجساسة وما ذكر معها، مما يقوي التردد فيه، ومع ذلك ففي قول من قال في الحديث الذي أخرجه أبو داود كما تقدم: إنه ابن صياد، ولو أسلم ما دخل المدينة، ولو مات، إشارة إلى أن أمرَه ملتبسٌ، وأنَّه جائزٌ أن يكونَ ما ظهر، من أمره إذ ذاك لا ينافي ما يقع فيه[1] بعد خروجه في آخر الزمان، وحينئذٍ فيحتمل في طريق الجمع بين خبر تميم الدَّاري وما عُرِفَ مِنْ حال ابن صياد أنَّ الله تعالى أخرجه إلى الجزيرة المذكورة على الصِّفة المذكورة في ذلك الوقت حتى رآه تميمٌ ومَن معه، وأخبرَ النبي ﷺ بما سمع منه في ذلك؛ ليكون موعظة وتحذيراً من فتنته إذا خرج.

وفيه إشارةٌ إلى أنَّ أموره ملتبسةٌ غيرُ متَّضحة، ويحتمل أن يكون الله سبحانه وتعالى أظهرَ لأولئك مثالاً على صفته بما يؤول إليه حالُه بعد أن يتحوَّلَ مِنَ المدينة الشريفة، التي مِنْ شأنها أن تنفِي خبثَها، وأنَّه يُسْجَنُ في تلك الجزيرة إلى أن يأذن الله تعالى في خروجه في الوقت الذي يريده، ويكون ذلك مِنْ جُملة الأمور التي يستمرُّ منها خفاءُ حاله وعدم الوقوف على حقيقة أمره، لما يريد الله تعالى من الافتتان به في أول أمره وفي آخره.

---

(١) في (ب): «منه».

وقد اختلف في الوقت الذي فُقِدَ فيه، فأخرج أبو داود مِنْ طريق الأعمش عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: فقدنا[1] ابنَ صيَّادٍ يومَ الحرَّة. وسنده صحيح.

وصرح جماعةٌ بأنه مات في هذه الحدود، ولكن قد وقع لي أمرٌ يقتضي أنه لم يَمُتْ وإن كان فُقِدَ، فأخرج أبو نعيم في أوائل «تاريخ أصبهان»[2] له من طريق جعفر بن سليمان الضُبَعِي، عن شُبَيل بن عَزْرَةَ، قال: حدَّثني حسَّان بنُ عبد الرحمن، عن أبيه، قال: لمَّا افتتحنا أصبهان، كان بين عسكرنا وبين اليهوديَّة - يعني بلدة بأصبهان - فرسخٌ، فكنا نأتيها فنمتارُ منها، فأتيتُها يوماً، فإذا اليهودُ يزفُنُون ويضربُون، فأتيتُ صديقاً لي منهم، فقلت: ما شأنكم؟ أتريدون أن تنزعُوا يداً مِنْ طاعة؟ فقال: لا، ولكن ملِكنا الذي نستفتح به على العرب يدخُلُ المدينة غداً، فذكر القصَّة، وفيه أنَّه بات هناك، فلمَّا أصبح، رأى اليهود مجتمعين، وبينهم رجلٌ عليه قَبَّةٌ مِنْ رَيْحانٍ وهم حوله يزفُنون ويضربُون. قال: فنظرت، فإذا هو ابنُ صيَّادٍ، [فدخل المدينة]، فلم نره بعد. انتهى.

فإن ثبت هذا الأثر، فلعلَّه لمَّا خرج مِنَ المدينة النبوية صُحْبَةَ العسكر الواصلِ إلى أصبهان ودخلها، أخذ منها إلى المقر الذي يُحْبَسُ به إلى أن يُؤْذَنَ له في الخروج.

وقد أخرج أحمد في «مسنده» بسندٍ حسن عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ، قال: «يخرُج الدَّجَّال مِنْ يهودية أصبهان».

وأخرج الطَّبراني من حديث عمران بن حُصين رضي الله عنه، رفعه، قال: «يخرُجُ الدَّجالُ مِنْ قِبَلِ أصبهان».

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصَّواب في أمره، ونسألُ الله عزَّ وجلَّ أن يعيذَنَا مِنْ فتنته. إنه سميع بصير.

---

(١) في (أ) ومختصر السفيري: «فُقِدَ»، والمثبت من (ب) وسنن أبي داود رقم ٤٣٣٢.

(٢) ١/ ٢٢ ـ ٢٣، وما بين حاصرتين منه.

فصل

[القول في بعض أحاديث سنن أبي داود]

وسألتم رضي الله عنكم عن أحاديث في «سنن أبي داود» ظاهرُها الصِّحَّة إلى الغاية، ولم يخرِّجها الشَّيخان وليس شيءٌ يُغني عنها، ولا يركن القلب إلى أن يكون تركُها لأجل الطُّول.

وأقول في الجواب عن ذلك: إنه لا يلزَمُ مِنَ الحديث إذا كان ظاهره الصِّحَّة أن يكون في أعلى درجات الصَّحيح التي قد عُرِفَ بالاستقراء أنَّ محطَّ قَصْدِ الشَّيخين تخريجُ مثل ذلك، وأنَّه إن وقع عندهما أو عندَ أحدهما ما ظاهرُه يخالفُ ذلك، فلكلٍّ منهما في كلٍّ مِنْ ذلك عذرٌ يتعسَّر أن يُجاب عنه بقاعدةٍ كلِّيَّةٍ، بل يُجاب عَنْ كل حديثٍ طرداً وعكساً بما يليقُ به، وسيظهر بعض ذلك عند الجواب عن الأحاديث التي ذُكرت هنا مثالاً، وهي ثلاثة:

الحديث الأول مما ذكرتم: قال أبو داود: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدَّثنا حماد، عن أيوب، عن عكرمة، عن بعض أزواج النبي ﷺ أنَّه كان إذا أراد مِنَ الحائض شيئاً، ألقى على فرجها ثوباً.

فأقول: هذا الإسناد ظاهره الصِّحَّة كما قلتم، لكنه ليس على شرط البخاري، مِنْ أجلِ حمّاد، وهو ابنُ سَلَمَةَ، وليس هو ابن زيد[1]، لأنَّ موسى بنَ إسماعيل إذا روى عَنْ حمَّادٍ ولم ينسُبْه، فهو ابنُ سلمة، وإذا روى عن حماد بنِ زيدٍ، فإنَّه ينسُبُه كما قدَّره ابنُ الصَّلاح ثمَّ المِزِّيُّ ومَنْ تبِعَهُما. وحمَّادُ بنُ سلمة لم يخرِّج له البخاريُّ في الأصول، وإن أخرج له قليلاً في المتابعات، بل ومسلمٌ، وإن كان أكثرَ عنه، لكنَّه لا يخرِّجُ له في الأصول إلاَّ عَنْ نفر قليل ممَّن كان اشتُهِرَ بإتقان حديثهم، مثل ثابت البناني، وإذا أخرج له عن غيرهم، فإنَّما يُخرجُ له في المتابعات، ومن ثم يظهر[2]

---

(١) في (ب): «يزيد»، تحريف.

(٢) ساقطة من (أ).

أنه ليس على شرط مسلم أيضاً، لأنه عن أيوب، ومن أجل عكرمة، فإن مسلماً لم يخرِّج له في الأصول شيئاً، بل ولا في المتابعات إلا يسيراً.

ثم مع ذلك فلعلَّهما استغنيا عنه بحديث عائشة أيضاً: كانت إحدانا إذا كانت حائضاً، أمرها رسولُ الله ﷺ، فتأتَزِرُ بإزار، ثم يباشرُها. فإنَّ هذا الحديثَ يشتمِلُ على ما دلَّ عليه حديثُ عِكْرِمَةَ، ويزيدُ عليه، والله أعلم.

الحديث الثاني: قال أبو داود: حدثنا عبد الوهاب بن نَجْدَةَ، حدثنا بقيَّة وشعيبُ بن إسحاق، عن الأوزاعي، عن محمد بن الوليد الزَّبيدي، عن سعيدٍ المقبُري، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «إذا صلَّى أحدُكم فخلع نعليه، فلا يؤذِ بهما أحداً، وليجعلهما بين رجليه أو ليصلِّ فيهما».

فأقول: ليس هذا الحديثُ على شرط الشَّيخين ولا أحدهما، وإن كانا أخرجا لرجاله بصورة الانفراد، فلا يكونُ على شرطهما إلا إن كانا خرَّجا لهم بصورة الاجتماع.

وهذا كالحديث الذي أخرجه أبو داود مِنْ رواية همَّام عن ابن جريج، عن الزهري، عن أنسٍ في نزع الخاتم عند دخول الخلاء، فإن أبا داود قال بعد أن أخرجه: هذا حديث منكرٌ. وأخرجه النسائي، فقال: هذا حديثٌ غيرُ محفوظٍ. كذا قالا، مع أنَّ الشيخين قد أخرجا لرواته، لكن بصورة الانفراد، إلا أن رواية همَّام عن ابن جريج ليست مِنْ شرطهما، لأن همَّاماً سمع مِنَ ابنِ جُريج بالبصرة، وابن جُريج حدَّث بالبصرة بأحاديث وهم فيها.

وجزم الدارقطنيُّ وجماعةٌ بأنه وهِمَ في هذا إسناداً ومتناً، وأنَّ الحديث إنَّما هو حديثُه عن زياد بن سعد، عن الزهري، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ اتخذ خاتماً.

ومن ذلك أنَّهما أخرجا لسفيان بن حسين والزهري بطريق الانفراد، ولم يخرِّجا مِنْ رواية سُفيان بن حسين عن الزهري شيئاً؛ لأن سماعه منه ليس بمتقن.

وأخرج أبو داود والتِّرمذي والنسائي مِنْ رواية حجاج بن محمد عن ابن جريج، عن إسحاق بن أبي طلحة، عن أنسٍ في القول إذا خرج مِنْ بيته، ورجالُه رجالُ الصَّحيح، قدِ اتَّفقا على التَّخريج لجميعهم، ومع ذلك فهو معلولٌ. قال البخاري: لا أعرف لابن جُريج سماعاً مِنْ إسحاق، وقال الدارقطنيُّ: رواه عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي روّاد، وهو أثبتُ النَّاس في ابن جُريج، فقال: عنِ ابنِ جُريج حديث عن إسحاق.

وإذا تقرَّر ذلك، ففي الحديث علَّةٌ مع ذلك اقتضت ـ مع ما تقدَّم ـ أن لا يخرِّجاه، وذلك أنَّه اختُلِفَ فيه على المقبُري، ثمَّ على الأوزاعي. قال الدارقطني في «العلل»: رواه عياض بن عبد الله، عن سعيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، لم يقُل فيه: عن أبيه.

ورواه جماعة عن الأوزاعي، عن سعيد المقبُري لم يذكروا الزّبيدي، ولعل الشَّيخين استغنيا عنه بحديث سعيد بن يزيد أبي[1] مسلمة، عن أنس رضي الله عنه، قال: إنَّ النبي ﷺ كان يصلي في نعليه. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

الحديث الثالث: قال أبو داود: حدَّثنا مسدَّد، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بِشْر، عن يوسف بن ماهك، عن حكيم بن حزام رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «لا تَبِعْ ما ليس عندك».

فأقول: لم يخرجا ولا أحدهما من رواية يوسف بن ماهك عن حكيم شيئاً، ومع ذلك فقد رواه يحيى بن أبي كثير عن يعلى بن حكيم، عنْ يوسف بن ماهك، فأدخل بينه وبين حكيم رجلاً، وهو عبد الله بن عِصْمَة، ذكر ذلك المزِّيُّ في «الأطراف»، وليسَ عبدُ الله بنُ عصمة مِنْ رجالِ الشَّيخين ولا أحدهما.

وقد أخرج الإمام أحمد من طريق يحيى بن أبي كثير، عن رجل، عن يوسف بن ماهك، عن عبد الله بن عصمة، عن حكيم بن حزامٍ، حديثاً

---

(١) في (أ): «من»، خطأ.

آخر. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

[ترجمة الكسائي]

وسألتم رضي الله عنكم عن ترجمة الكسائي صاحب «قصص الأنبياء»، ولم أستحضرها ساعتي هذه.

فصل

[ترجمة التوربشتي]

وسألتم رضي الله تعالى عنكم عن ترجمة التُّوربشتي شارح «المصابيح».

وهو فضل الله بن الحسن بن حسين بن يوسف، فلم أقف مِنْ خبره على كبير أمر، إلا أنّي قد رأيتُ له ترجمةً في «الطبقات الكبرى» للقاضي تاج الدين السبكي، ولم يُفصِحْ فيه بشيء. وحاصلُه أنّه كان في حُدود الخمسين وستمائة.

وذكر لي القاضي علاء الدين بنُ خطيب النَّاصرية قاضي حلب ـ منكراً على التاج إيرادَه في «طبقات الشافعية» ـ أنّه وقف في أثناء شرحه على ما يدلُّ أنّه حنفيُّ المذهب. والله أعلم.

[بيان الحديث الحسن]

وسألتم رضي الله عنكم عن بيان الحديث الحسن، وهل له حدٌّ جامعٌ مانع، أو الأمر كما قال الذَّهبيُّ في «الموقظة»: إنّه لا مطمع في ذلك، وكلامُه قريبٌ مِنْ كلام ابن الجوزي: أنّه ما فيه ضعفٌ محتمل؟

فأقول: إن كان المرادُ بالسُّؤال عَنِ الحديث الذي يُوصَفُ بالحَسَنِ لذاته، فله حدٌ على طريق التَّعريف الذي يقتنع به الفُقهاء والمحدِّثُون، وهو الحديث المتَّصل السَّنَدِ برُواة معروفين بالصِّدق، في ضبطهم قصورٌ عَنْ ضبط رُواة الصَّحيح، ولا يكونُ الحديثُ معلولاً ولا شاذاً.

ومحصِّله أنه هو والصَّحيحُ سواءٌ إلا في تفاوُتِ الضَّبط، فراوي

الصَّحيح يُشْتَرَطُ أن يكون موصوفاً بالضَّبط الكامل، وراوي الحسن لا يُشترط أن يبلُغَ تلك الدرجة، وإن كان ليس عريًّاً عن الضبط في الجملة، ليخرج عن كونِه مغفَّلاً، وعن كونه كثيرَ الخطأ. وما عدا ذلك من الأوصاف المشترطة في الصحيح، كالصِّدق والاتصال وعدم كونه شاذاً ولا معلولاً، فلا بدَّ مِنَ اشتراط ذلك كلِّه في النوعين.

ومِنْ ثَمَّ كانت طائفةٌ مِنَ القدماء لا يفرِّقُون بين الصَّحيح والحسن، بل يسمُّون الكُلَّ صحيحاً، وإن كان بعضُها أصحَّ مِنْ بعض. وذهبت طائفة إلى التفرقة، وهو الذي استقر عليه الأمر.

والنزاع في التَّحقيق [بين الفريقين][1] لفظي، لأنَّ مَنْ يفرِّقُ بينهما تظهر ثمرةُ تفريقه فيما إذا تعارضا، فيرجِّحُ الصحيح على الحسن، ومَنْ لا يفرِّق بينهما، يسلُك هذا التَّرجيح بعينه، وإن سمى الكلَّ صحيحاً، فيكون عنده صحيحٌ وأصحُّ منه كما عند غيره حسنٌ وصحيحٌ.

وإذا وضح ذلك، فإنَّما حصلَ الإشكالُ مِنَ الحَسَنِ الذي عرَّف به التِّرمذي، وهو الحسنُ لغيره، فذلك هو في التَّحقيق الحديثُ الضَّعيف الذي يُحْتَمَلُ، لأنَّه باعتضاده بغيره حدثت (له)[2] مِنَ المجموع قوَّةٌ احتمل ذلك الضعف لأجلها، واقتضى تسميته عند الترمذي وغيره حسناً، وذلك بيِّنٌ مِنْ تعريف الترمذي، حيث قال في «العلل» التي في آخر «الجامع» ما نصُّه: وما قلنا في كتابنا: حديث حسنٌ، فإنَّما أردنا حُسْنَ إسناده عندنا كلَّ حديثٍ يُروى لا يكونُ راويه متَّهماً بالكذب، ويروى مِنْ غيرِ وجهٍ نحوه. ولا يكونُ شاذاً، فهو عندنا حسن.

فقوله: «لا يكون رواية متَّهماً بالكذب» يشمل رواية المستور والمدلِّس والمعنعن والمنقطع بين ثقتين حافظين، كالمرسل. فكل هذا إذا ورد اقتضى التوقُّف في الاحتجاج به للجهل بحال المذكور فيه أو السَّاقط؟ فإن ورد مثلُه أو معناه مِنْ طريقٍ أخرى أو أكثر، فإنها تُرجِّحُ أحدَ الاحتمالين؛ لأنَّ المستور مثلاً حيث يروي يحتملُ أن يكونَ ضبَطَ المرويَّ، ويحتمل أن لا

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

(٢) إضافة من الأسئلة الفائقة ص ٦٥.

يكون ضبطه. فإذا ورد مثلُ ما رواه أو معناه مِنْ وجه آخرَ غلبَ على الظَّنِّ أنَّه ضبط، فكلَّما كثُر المتابِعُ، قويَ الظَّنُّ، كما في أفراد التَّواتر، فإنَّ أوّلها مِنْ رواية الأفراد، ثمَّ لا يزالُ يكثُر إلى أن يُقْطعَ بصدق المرويِّ، ولا يستطيع سامِعُه أن يدفع ذلك عن نفسه.

وإذا تقرَّر ذلك، فقولُ ابنِ الجوزي ومن تبعه: الحديث الحسن ما كان فيه ضعْفٌ، كلامٌ صحيح في نفسه، لكنه ليس على طريقة التعاريف، فإنَّ هذه صفةُ الحديث الحسن الذي يُوصَفُ بالحَسَنِ إذا اعتضد بغيره، حتى لو انفرد لكان ضعيفاً، واستمرَّ عدمُ الاحتجاج به حتى إذا عضده عاضِدٌ، ارتقى فحسن، بل يمكن هنا أن يقول هو صفة الحَسَنِ مطلقاً أعمُّ من أن يكون وصف بالحَسَن لذاته أو لغيره. فالحَسَنُ لذاته إذا عارض الصَّحيحَ، كان مرجوحاً والصَّحيحُ راجحاً، فضعْفُه بالنسبة لما هو أرجَحُ منه، والحسن لغيره أصلُه ضعيفٌ، وإنما طرأ عليه الحُسْنُ بالعاضِدِ الذي عضده، فاحتُمِلَ لوجود العاضدِ، ولولا العاضِدُ لاستمرت صفةُ الضَّعف فيه كما تقدَّم، والله تعالى أعلم.

وهنا انتهى الكلام على «الأسئلة الفائقة بالأجوبة اللائقة». وأستغفر الله تعالى من خطأ وقع لي فيها أو خطل، وألتَمِسُ ممَّن وقف عليها أن يُصْلِحَ ما فيها مِنْ خلل، قاصداً بذلك الإفادة، بلَّغَهُ الله مرتبة الحسنى وزيادة، إنه على كل شيء قدير[1].

وأما الحلبيات:

فهي مِنْ أسئلة ابن الشَّيخ العلامة برهان الدين الحلبي مما يتعلَّق بالمبهمات ونحوها[2].

فمنها ما ملخَّصُه: قول المزي: «البخاري» في الجهاد: عن

---

(١) وقد طبعت هذه الأسئلة بتحقيق محمد إبراهيم حفيظ الله، ونشرتها الدار السلفية في بومباي بالهند سنة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٢) وهي المعروفة باسم «الأجوبة الواردة عن الأسئلة الوافدة». وطبعت بتصحيح عَمرو علي عمر في دار الثقافة العربية ١٤١٥هـ. وهذه السؤال ورد في ص ٦٢ - ٦٥ منها.

سليمان بن حرب، عن محمد بن طلحة بن مصرِّف، عن أبيه، عنه، به.

ظاهر أنَّ الضَّمير في «عنه» لمصعب، وقوله: «به»، أي عن والده، فيكون موصولاً، فلعلَّه كان في الأصل عن مصعب، عن سعد، فتصحّف «عن»، فصارت «بن»، فهل يحسُن هذا جواباً عَنْ قول النَّووي في «الرياض»: هذا الحديث مرسل، وقد وصله البُرقاني في «صحيحه»؟

فأجاب: بأن الذي قاله النووي صحيحٌ، والذي اقتضاه صنيعُ المِزِّي خطأ، وقد وقع له في سياقه تغيير، فإن الذي في الأصل: عن محمد بن طلحة، عن طلحة، فغيَّره بقوله: عن محمد بن طلحة، عن أبيه، وهو بالمعنى، وفيه فائدة، ولكنه توهَّم أنَّه وقع كذلك في الأصل. نعم،ـ هو في ذلك تابعٌ لأبي مسعود، فإنه قال في «الأطراف»: البخاريُّ في الجهاد: عن سليمان بن حرب، عن محمد بن طلحة، عن أبيه، لكنه لم يزِدْ على ذلك، فسلم من قوله: عنه به.

وبيان ذلك أنَّ جميع نسخ «البخاري» فيها: عن مصعب بن سعد، قال: رأى سعدٌ أن له فضلاً.... إلى آخره. فدعوى التَّصحيف بعيدة، مع توارد النسخ على اختلاف أسانيدها إلى الفربري على ذلك.

فإن قيل: يحتمل أن يكون التَّصحيفُ وقع في نسخة الفِرَبْري، رُدَّ بأنَّه وقع في رواية إبراهيم بن معقل النَّسفي الراوي عن البخاري كما وقع عند الفِرَبْري، والنسخة من رواية ابن معقل وقفت عليها، وهي في غاية الإتقان، وعليها خطُّ أبي عمر بن عبد البَرِّ.

ثم، لو سَلِمَ التَّصحيفُ، لصار هكذا: عن مُصعب، عن سعد، أنَّ سعداً. وهو وإن كان سائغاً بأن يكون مِنْ نوع التَّجريد، لكنه خلاف الظَّاهر.

وقد سبق النَّوويَ إلى دعوى الإرسال فيه الحميديُّ في «جمعه»، ومنه نقل النَّوويُّ، وهذا لفظه: قال في أفراد «البخاري»: الخامس: عن طلحة بن مصرِّف، عن مُصعب بن سعد. قال: رأى سعدٌ أنَّ له فضلاً على مَنْ دُونَه، فقال النبيُّ ﷺ: «هل تُنْصَرُون وتُرْزَقُون إلاَّ بضُعفائكم». هكذا أخرجه

البخاريُّ مرسلاً مِنْ رواية سُليمان بن حرب، وجوَّده مِسْعَرٌ، عن محمد بن طلحة، عن أبيه، قال فيه: عن مُصعب بن سعد، عن أبيه. وأخرجه البرقاني مِنْ رواية مسعر وعن غيره مسنداً. انتهى كلامُه.

وقد يُوهِمُ تفرُّدُ سُليمانَ بنِ حرب بذلك، وليس كذلك، فإنَّ الإسماعيليَّ أخرجه في «صحيحه» من رواية أحمد بن عبد الله بن يونس، ومِن رواية عاصم بن علي، كلاهما عن محمد بن طلحة عن طلحة عن مُصعب بن سعد، قال: رأى[1] سعدٌ أنَّ له فضلاً.... الحديث كما عند البخاري.

وقوله: جوَّده مِسْعَرٌ، يُوهم تفرُّدَه بوصله، وليس كذلك، فقد أخرجه الإسماعيلي من طريق معاذ بن هانىء، عن محمد بن طلحة، عن أبيه، عن مصعب بن سعد، عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما يَنْصُرُ الله هذه الأمَّةَ بضعفائهم: بدعائهم وإخلاصهم وصلاتهم». ثم ساقه من طريق أبي حاتم الرازي: حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدَّثنا أبي، عن مِسْعَر، عن طلحة بنِ مُصَرِّف، عن مُصعب بن سعدٍ، عن أبيه رضي الله عنه، أنَّه ظنَّ أنَّ له فَضْلاً على مَنْ دُونَه مِنْ أصحابِ رسُول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّما ينصُرُ الله هذه الأمَّةَ بضُعفائهم: بدعواتهم وصلاتهم وإخلاصهم».

وهكذا أخرجه أبو نُعيم في «الحلية» مِنْ رواية عُمر بن حفص، وأخرجه من رواية سهل بن عثمان، عن ابن أبي زائدة كروايةِ حفص بن غياث، ولفظه: عن محمد بن طلحة بن مصرف، عن أبيه، عن مُصعب، أنَّ النبي ﷺ قال لسعدٍ رضي الله عنه.... الحديث.

وقد بيَّنت في «المقدمة»[2] توجيه إخراج البخاري له بنظائرَ لذلك أوردتُها، يظهرُ منها أنَّ روايةَ مَنِ اشتهر بصُحبة أبيه أو قريبه أو مولاه إذا

---

(١) في (أ): «رأيت»، خطأ.

(٢) يعني مقدمة «فتح الباري» التي سماها «هدي الساري».

جاءت الرِّوايةُ عنه بأيِّ صيغةٍ كانت، حُملَت على أنَّه أخذَ ذلك عنه، كهذه، وكرواية عُروة عن عائشة رضي الله عنها، وروايةِ عِكْرِمَةَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، حيثُ لا يكونُ في السِّياق ما يقتضي أنَّه أخذ ذلك عنه صريحاً. وبالله التوفيق.

وأما المصريات:

فمِمّن كانت ترِدُ عليه الأسئلة منه مِنَ المصريين: العالم البهاء محمد ابن شيخه ووصيِّه ابنِ القطَّان[1].

وردت عليه أسئلة مِنَ الصَّعيد.

[بدعة الزيادة في الأذان]

منها: عن قول المؤذِّن في صلاته على النَّبيِّ ﷺ: يا مَنْ تذلَّل على الله، هل هو جائز وله أصلٌ في السُّنَّة، وهل يكونُ هذا مع كونه ﷺ أكثرَ النَّاس خوْفاً مِنْ ربِّه؟ وإذا لم يكن وارداً، فماذا يجبُ على المؤذن؟

فأجاب: أما اللفظ، فلم يَرِدْ في السُّنَّة، وهو مِنَ الألفاظ المبتدعة، والأوْلَى تركُ ذلك، فإن عادَ زُجِرَ مع تعزيره على جُرأته بما لم تَرِدْ به سنَّةٌ. والله أعلم.

وأسئلة من ثغر إسكندرية:

ذكر صاحبُ التَّرجمة سؤالاً منها في مُعَمَّر بالتَّشديد مِنْ «لسان الميزان»[2].

وأما القاهريات:

فمنها ما قرأتُه بخطِّ البدر الأنصاري في قول النَّووي: إنَّ إبراهيمَ بنَ يحيى الذي روى عنه الشَّافعيُّ عن عمر رضي الله عنه أنَّ

---

(١) هنا بياض في (أ) مقداره ١٩ سطراً، وفي (ب) خمسة «سطور»، وفي (ح) ثلثا صفحة.

(٢) هذه الفقرة لم ترد في (ب).

الماءَ المشمَّس يُورِثُ البرص، ضعيفٌ باتِّفاق المحدِّثين، ولم يوثِّقْهُ إلا الشَّافعي، وقول الإسنوي: إنه وثَّقه جماعةٌ غيرُ الشَّافعي، وعدّهم، ثم قال: ولو لم يوثِّقه غيرُ الشَّافعي، لكان حُجَّةً، فأيُّ القولين أرجح، وما لفظُ الحديث الذي رواه الدَّارقطني في المُشَمَّس، وعن من هو، وهل هو صحيحٌ أم لا؟

وفي قول الإسنوي في شرحه في «المنهاج»: إنَّ النبيَّ ﷺ دخل مكَّةَ يوم الفتح وعلى سيفه ذهبٌ وفضَّة. ونقلَ تحسينَه عَنِ التِّرمذي. فهل قوله: «ذهبٌ» في الحديث، أو مِنَ النَّاسخ؛ فإنَّ الشافعيَّة يقولُون بتحريم حِلْيَة آلة الحرب بالذَّهب بلا خلاف، وصحَّحُوا أيضاً تحريمَ تمويهها بذهبٍ لا يحصُل منه شيءٌ بالعرض على النَّار.

[تضعيف حديث الماء المشمس]

فأجاب بما نقلته من خطه: قول الإسنوي: «لكان حجةً»، ليس على إطلاقه وإنَّما هو مقيَّد بمن يقلِّدُ الشَّافعي، كما صرَّح به ابنُ الصَّلاح في «علوم الحديث» أنَّ الإمام الذي له أتباعٌ يقلِّدُونه فيما يذهب إليه إذا احتج براوٍ ضعَّفه غيرُه، كان ذلك الرَّاوي حُجَّةً في حقِّ من قلد ذلك الإمام.

وأمَّا لفظُ الحديث عند الشافعي، فقال: أخبرنا إبراهيمُ بنُ محمَّدٍ، أخبرني صَدَقَةُ بنُ عبد الله، عن أبي الزُّبير، عن جابر، أنَّ عمر رضي الله عنهما كان يكره الاغتسال بالماء المُشَمَّس، وقال: إنَّه يُورِثُ البَرَصَ.

وأمَّا حكم الحديث على طريقة المحدثين، فليس بصحيحٍ، لعلل:

أولها: ضَعْفُ إبراهيم. وفي قول الشَّيخ جمال الدين: إنَّه وثَّقه جماعةٌ غيرُ الشَّافعي نظر، فإنَّا لا نعرف مَنْ صرَّح بأنَّه ثقة، وإنَّما نقل الحافظُ أبو أحمد بنُ عدي عن الحافظ أبي العباس بن عقدة أنه قال له: تعلمُ أحداً أحسنَ القولَ في إبراهيم بن أبي يحيى غيرَ الشَّافعي؟ قال: نعم، حدَّثنا

أحمدُ بنُ يحيى الأوْدي، قال: قلتُ لحمدان ابن الأصبهاني: أتدينُ بحديث إبراهيم بن أبي يحيى؟ قال: نعم. قال ابنُ عُقْدة: نظرتُ في حديثه الكثير، وليس بمنكرِ الحديث. وقال ابنُ عديٍّ: هو كما قال، لم أجد في حديثه منكراً إلا عَنْ شيوخ يُحْتَملُون.

وجزم ابن عدي في ترجمة الفياضي بأنَّ إبراهيمَ ضعيفٌ، وحمدان لم يصرِّح بتوثيق إبراهيم ولا ابن عقدة، مع أنَّ ابنَ عُقدة شيعيٌّ، وإبراهيم نسبُوه إلى الرَّفض، فلا يُسْتَغْرَبُ أن يتعصَّب له[1].

---

(١) قا البصروي في «جمان الدرر»: قلت: وسقط فيه الجواب عن قوله في السؤال: وما لفظ الدارقطني الذي رواه في المشمس، وعمَّن هو، وهل هو صحيح أم لا؟
ولعلَّه حديث عائشة الواقع في «الرافعي الكبير»، وذكره المترجم في «تخريجه» لأحاديثه، حيث قال: حديث عائشة أن النبي ﷺ نهاها عن التشميس، وقال: «إنه يورث البرص». الدارقطني وابن عدي في «الكامل»، وأبو نعيم في «الطب»، والبيهقي من طريق خالد بن إسماعيل، عن هشام بن عُروة، عن أبيه، عنها، دخل عليَّ رسول الله ﷺ وقد سخنتُ ماءً في الشمس، فقال: «لا تفعلي يا حُميراء، فإنه يورث البَرَص».
وخالد، قال ابن عدي: كان يضع الحديث، وتابعه ابن وهب أبو البختري عن هشام، قال: ووهب أشدُّ من خالد. وتابعهما الهيثم بن عدي عن هشام. رواه الدارقطني. والهيثم كذَّبه يحيى بن معين.
وتابعهم محمد بن مروان السُّدِّي، وهو متروك.
أخرجه الطبراني في «الأوسط» من طريقه، وقال: لم يروه عن هشام إلا محمد بن مروان. كذا قال، فوهم.
ورواه الدارقطني في «غريب مالك» من طريق ابن وهب عن مالك عن هشام، وقال: هذا باطل عن ابن وهب وعن مالك أيضاً، ومن دون ابن وهب ضُعفاء.
واشتد إنكار البيهقي على الشيخ أبي محمد الجويني في عزوه هذا الحديث لرواية مالك. والعجب من ابن الصَّبّاغ كيف أورده في «الشامل» جازماً به، فقال: روى مالك عن هشام.
وهذا القدر هو الذي أنكره البيهقي على الشيخ أبي محمد. ورواه الدارقطني من طريق عمرو بن محمد الأعسم عن فُليح، عن الزهري، عن عُروة، عن عائشة، قالت: نهى رسول الله ﷺ أن نتوضأ بالماء المشمس أو نغتسل به، وقال: «إنه يورث البرص».
قال الدارقطني: عمرو بن محمد منكر الحديث، ولا يصح عن الزهري. وقال ابن حبان: كان يضع الحديث. =

وأمَّا الحديث الذي فيه أنَّ النبي ﷺ دخل مكة وعلى سيفه ذهب وفضة، فأخرجه التِّرمذي في الجهاد مِنْ طريق هُود بن عبد الله بن سعد، عن جده مَزْيَدَة ـ بفتح الميم وسكون الزاي وفتح المثنَّاة التحتانية ـ وهو جدُّ هودٍ لأمِّهِ، باللفظ المذكور في السؤال، وبقية الحديث: وكان قبيعةُ السَّيف فضَّة. وقال: غريب، وفي الباب عن أنس رضي الله عنه، ثم ساق حديث أنس رضي الله عنه في قبيعة السَّيف، ولم أرَ في النُّسخة المعتمدة في «جامع الترمذي» لفظة حسن، وكذا في الأصل الذي بخطِّ الكروخي، قال: «حديث غريب» فقط، ليس فيه «حسن»، والله أعلم.

[حديث: مَنْ مَلَكَ ذا رحم محرم فهو حرّ]

ومنها: ما سأله شيخنا العلامة جلال الدين المحلِّي، ونصه: المقرَّر في مذهب الشَّافعي أنَّ مَنْ ملك غيرَ أصوله وفروعه مِنَ الحواشي لا يعتق عليه، وحديث السُّنن الأربعة «من ملك ذا رحم محرم، فهو حر»، وفي رواية «عتق عليه» أجيبَ بضَعْفه من رواية ضمرة بن ربيعة عن سفيان الثوري. قال النَّسائي: لا نعلمُ أحداً روى هذا الحديث[1] عن سفيان عن ضَمرة، وهو حديثٌ منكر. وقال الترمذي: لا يُتابَعُ ضَمْرَةُ على هذا الحديث، وهو خطأ عندَ أهلِ الحديث. لكن رواه الأربعة عَنِ الحسن، عن سَمُرَة، وصحَّحه الحاكم، وقال التِّرمذي: العملُ عليه عندَ أهلِ العلم. فيحتاج في مذهب الشافعي إلى بيان مخصِّص بالأصول والفروع، فما الجواب عن ذلك؟

= ثم قال: تنبيه: وقع لمحمد بن معن الدمشقي في كلامه على «المهذب» عزو هذا الحديث عن عائشة إلى «سنن أبي داود» و«الترمذي»، وهو غلط قبيح.

انتهى كلام صاحب الترجمة في تخريج أحاديث الرافعي، وبه يحصل الجواب عمّا في السؤال.

قلت: وهو في «التلخيص الحبير» ١/ ٢٠ ـ ٢١.

(١) في (أ): «الخبر».

فأجاب بقوله، وسمعته عليه: نقل البيهقيُّ في «معرفة السُّنن والآثار» أن الشافعيَّ اعتمدَ في هذا الحكم على النَّظر، فقال: لا يثبُتُ للولدِ المِلْكُ على شيءٍ خُلِقَ منه، كما لو ملك نفسه، وعلى أنَّ الفرع بَضْعَةٌ مِنَ[1] الأصل، فلو استقر ملكه عليه، لكان كمن ملك بعضه، واستأنسوا بالحديث الصَّحيح المخرج في الصحيح من حديث المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَة، رفعه في حديث طويل، وفيه: «إنما فاطمة بَضْعة مني» [وذكروا أن منع الأصل بطريق الأوْلى، وأجابوا به عن الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة][2] رفعهُ: «لا يَجزي ولدٌ عن والدِه إلا أن يجدَه مملوكاً فيشتريه فيعتِقَه».

فإن احتجَّ به مَنْ لا يرى العِتْقَ أصلاً في الأقارب مِنَ الظَّاهرية، لكونه أضافَ العِتْقَ إلى الولد، فكان باختياره.

وحاصلُ الجواب أنَّه لما تعلَّق بابتياعه إضافة إليه، لكونه مِنَ اكتسابِه. وقال البيهقي: معناه: أن شراءه له يستلزِمُ عِتْقَه مِنْ غير إنشاء إعتاق.

وأما حديث سمرة رضي الله عنه، فهو عُمْدَةُ مَنْ قال بظاهر الخبر المذكور، وهو «من ملك ذا رحم محرم، فهو حرّ»، وروي بلفظ آخر كما في السؤال وبتشديد «محرم» وتخفيفه. أخرجوه مِنْ رواية حمَّاد بن سلمة، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة رضي الله عنه، وأعلُّوه بعلل:

أحدها: الاختلاف في سماع الحسن من سَمُرَة، والجمهور أنه لم يسمع منه إلا حديث العقيقة.

ثانيها: أنَّ قتادة مدلِّسٌ، فتوقف التصحيح على سماعه له مِنَ الحسن.

ثالثها: أنَّه انفرد عنه بوصله حمَّاد بنُ سلمَةَ، وكان مع ذلك يشكُّ فيه، حيث قال في رواية أبي داود: بالسَّند عَنِ الحسن، عن سَمُرَة فيما يحسِبُ حماد.

---

(١) في (أ): «عن».

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

رابعها: أنه خالف حماداً في وصله مَنْ هو أحفظ منه عَنْ قتادة، وهو سعيدُ بنُ أبي عَرُوبَةَ، فقال: عن قتادة، عن الحسن قولَه. وقال مرَّة أخرى: عن قتادة، عن عمر رضي الله عنه قوله.

قال أبو داود: سعيدٌ أحفظُ مِنْ حمَّاد. ووافق سعيداً هشامٌ الدَّسْتُوائيُّ عن قتادة، عن الحسن وجابر بن زيد، قالا: فذكره موقوفاً عليهما، وهشامٌ مِنْ حُفَّاظ أصحاب قتادة.

خامسها: الاختلاف فيه على حمَّاد، فرواه كثيرون عنه كما تقدم عن قتادة، عن الحسن، عن سَمُرة. وخالفهم عبدُ الرحمن بنُ مهدي، وهو مِنْ أكابر الحُفَّاظ والنُّقَّاد، فقال: عن حماد، عن مَطَر الورَّاق، عَنِ الحكم بن عُتَيْبة، عن إبراهيمَ النَّخعي، عن عُمر رضي الله عنه من قوله منقطعاً. وعن إبراهيم، عن الأسود، عن عمر رضي الله عنه موصولاً موقوفاً عليه. وقال عَقِبه: قال إبراهيم: لا يعتِقُ إلا الوالد والولد. أورده البيهقي مِنْ طريقه. وهذا تخصيصٌ للعموم، لا يقولُه إبراهيم النَّخعي، وهو فقيهُ الكوفة في زمانه، إلا عن أصل.

ومما يتمسك به للمذهب اتِّفاقُ أئمَّة الاجتهاد ـ إلاَّ مَنْ شذَّ مِنَ الظَّاهرية ـ على عِتْقِ الأصل والفرع، واختلاف الأقل منهم فيه، والاختلافُ الأكثرُ في الحواشي.

فعلى تقدير صحَّة الخبر، فقد عُمِلَ به، إلا أنَّ الجمهور لم يقولوا بعمومه، والشَّافعي منهم، وهو مِنْ باب تخصيص الخبرِ بالقياس.

وقد أطبق علماءُ الحديث النُّقَّاد منهم على القدح في حديث سَمُرَة رضي الله عنه من جهة تفرُّد حماد به، ومُخالفة مَنْ هو أحفظُ منه له في وصله، فلا يُلتَفَتُ إلى تساهُلِ الحاكم في تصحيحه ولا إلى قول من مال[1] إلى تصحيحه، أو جزم به كابنِ حَزْمٍ وأبي الحسن بنِ القطان والضِّياء المقدسي والقرطُبيِّ في «المفهم».

---

(١) في (أ): «قول مالك»، خطأ.

وأمَّا قول التِّرمذي: والعملُ عليه عندَ أهلِ العلم، فهو محمولٌ على أنَّهم عمِلُوا به في الجُملة، لكن منهم مَنْ قال بعمومه، ومنهم من خصَّصه.

وأما الحديث الذي تفرد به ضَمْرَةُ، فهو مِنْ مسند ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه الترمذي وابن ماجه مِنْ طريق ضَمْرَةَ بنِ ربيعة، عن سفيانَ الثَّوري، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً.

قال النَّسائي: لا نعرِفُ أحداً روى هذا الحديث عن سفيان غيرَ ضَمْرَةَ، وهو حديثٌ منكر. وقال الترمذي: هو خطأ عندَ أهلِ الحديث، تفرد به ضَمْرَةُ. وقال البيهقي: لو كان هذا محفوظاً، لكن كالأخذ باليد، لكنهم أطبقُوا على أنَّ ضمرَةَ غلِطَ فيه، وتفرَّد به عن الثوري، وكأنه دخل له حديثٌ في حديث، فإنه جاء عنه: عن الثوري، عن ابن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: نهى النبيُّ ﷺ عن بيع الولاء وعن هبته، [وقال: «مَنْ ملك ذا رحم محرم، فهو حر». وخالفه حفَّاظُ أصحاب الثَّوري، فرَوَوْه عنه إلى قوله: «وعن هبَته»][1]، ولم يذكروا ما بعده، فحكَمَ الحفَّاظُ على ضَمْرَةَ بالوهم فيه.

وأمَّا مَنْ صحَّحه، فمشى على ظاهر السَّند، ولم يلتفت إلى علَّته، ولا يقع في ذلك إلا مَنْ لم يتبحَّر مِنَ اصطلاح أئمَّة أهلِ الفنِّ، فقد تقرَّر أنهم لقُوَّة ملكَتِهم فيه كالصَّيرفي في نقدِ الدَّرهم. وهذا إنَّما هو فيما لم يُبرهِنُوا على سبب علَّته، وأمَّا ما برهَنُوا عليه، كهذا الحديث، فلا التفاتَ لِمَنْ خالفهم. وما زالَ الشَّافعيُّ في تعليل الأحاديث يحيل بذلك على أهل العلم بالحديث. حيث يقول: لا يُثبته أهلُ العلم بالحديث. والله الهادي للصواب.

[قلت: وعندي من أسئلة المحلي أيضاً عدَّةٌ، أجابه عنها بما أفردته في محلٍّ آخر][2].

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

[حديث فضل الصلاة في المسجد النبوي]

ومنها: أنه سئل عن الجمع بين قوله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا بألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»، وما بالمسجد النَّبويِّ مِنَ الحُجَر الذي جعل علامة لقدره على عهده ﷺ، وتخصيص النَّووي فيما نُقِلَ عنه هذا الفضل بمن صلى داخل الحجر، وبين ما يُروى عنه ﷺ مِنْ قوله: «لو زيدَ فيه إلى صنعاء اليمن، فهو مسجدي» بعد تبيين صحَّةِ كلٍّ ذلك، وهل تبقى الصَّلاةُ في بقية حرم المدينة مما زاده الخلفاء مضاعفةً أم لا؟

فأجاب: نعم، الحديث الأول مخرَّج في «البخاري» و«مسلم» مِنْ حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والمنقولُ عَنِ الشَّيخ محيي الدين النووي رحمةُ الله تعالى عليه موجودٌ في «شرح المهذَّب» و«شرح صحيح مسلم»، فإنَّه قال فيه بعد أن ذكرَ الحديثَ وما يتعلق به ما نصه: واعلم أنَّ هذه الفضيلة ـ يعني المضاعفة ـ مختصَّةٌ بنفس مسجده الذي كان في زمانه دون ما زيد فيه، فينبغي أن يحرِصَ المصلِّي على ذلك، ويتفطَّن لما ذكرناه.

وأما الحديث المتعلق بالزِّيادة، فليس له أصل مِنْ كلام النَّبي ﷺ، وإنما نُقِلَ شيءٌ مِنْ ذلك عن عُمَرَ رضي الله عنه أنه قال حين زاد في المسجد النبوي، وكذا نقله بلفظه ابنُ النَّجار في «أخبار المدينة» مرفوعاً عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد خُولف الشَّيخُ محيي الدِّين النَّوويُّ فيما ذكره مِنْ عدم المضاعفة في زيادة المسجد، مع أنَّ لها حكمَ المسجد، وعُمْدَتُه ما وقع في الصحيح: «في مسجدي هذا».

وأما قول السائل: في بقية حرم المدينة، فإن أراد به المسجد المحوَّط[1] الآن، فالجواب ظاهر، لأنه ـ على ما ذكر الشيخ محيي الدين ـ لا يتعدَّى الموضع الأول، وعلى رأي غيره يتعدَّى.

---

(١) في (ب) وجمان الدرر: «المحفوظ» وكذا هي في مختصر السفيري، وكتب في هامشه «المحوط ن».

وإن أراد ما يحرُمُ به صيدُه مِنَ المدينة على رأي مَنْ ذهب إلى ذلك، فالمُضاعَفَةُ مختصَّةٌ بالمسجد النبوي، إما مع الزيادة أو مع الاختصاص. وأمَّا ما عدا ذلك، فلا خلافَ في عدم مضاعفة الصَّلاة فيه، وهذا بخلاف مكَّة، فإنَّه وقع الاختلافُ: هل تختصُّ المضاعَفَةُ بالكعبة وما حولها، أو تزيدُ إلى المطاف أو تزيدُ إلى جميعِ المسجدِ المُحَوَّطِ الآن، أو تزيد بدخول الجدران[1]، أو تمتد إلى جميع مكة، أو إلى جميع الحرم. وفي تحرير ذلك ونقله طُولٌ، وبقية السُّؤال يُعرَفُ جوابُه ممَّا تقدَّم. والله أعلم بالصواب.

[حكم لبس الأحمر]

ومنها أنه سئل عن لُبس الأحمر مِنَ الصُّوف والكتَّان والجُوخ: أحرامٌ أم مكروهٌ؟ وإذا كُرِهَ، فما السَّبب في كراهته، وهل يعزَّرُ مَنْ قال: إنَّه حرامٌ؟

فأجاب: لا يحرُمُ لُبْسُ الأحمر، وإنَّما الخلاف في الكراهية بين العلماء فيه مشهور، فلبسه خلاف الأولى عند من يعتقدُ أن لا كراهية فيه للخروج مِنَ الخلاف.

والقائلُ بتحريمه ينظر فيه، فإن كان مِنْ أهل العلم، سُئِلَ عَنْ مستنده فيه، وأُزيلتْ شبهتُه، وإن كان بخلاف ذلك فإنه يؤدَّبُ بما يليق به، لإقدامه على القَوْلِ بما لا عِلْمَ له به والحالة هذه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

[زنة خاتم النبي ﷺ]

ومنها أنه سئل عن زنَة خاتمه ﷺ. وإذا عُلِمَتْ، فهل تجوزُ الزِّيادَةُ عليها، وهل تحرم الزيادة على المثقال للحديث الوارد فيه؟

فأجاب: هذه المسألة لم أرَ مَنْ تعرَّض لها مِنَ الأئمة الشافعية إلا

---

(١) في (ب): «الجدار»، وفي (ح): «الجدُر».

صاحب «القوت»، فإنه قال: لم يتعرَّضُوا لمقدار الخاتم المباح، ولعلهم اكتفوا بالعرف، فما[1] خرج عنه كان إسرافاً كما قالوا في خلخال المرأة. قال: ولكن الصواب الضبط بما نصَّ عليه الحديثُ، وهو ما أخرجه أبو داود وصحَّحهُ ابنُ حِبَّان عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ قال للابس خاتم الحديد: «ما لي أرى عليك حِلْيَةَ أهل النَّار»؟ فطرحه، وقال: يا رسول الله، مِنْ أيِّ شيء أتخذُه؟ قال ﷺ: «اتَّخِذْهُ مِنْ ورِقٍ ولا تِتمَّه مثقالاً». انتهى.

ونسْبَةُ الحديثِ إلى أبي هريرة رضي الله عنه سهوٌ، فهو في الكتابين المذكورين من حديث بُريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

وأخرجه أيضاً النَّسائي والتِّرمذي، وقال: غريب. وأخرجه أيضاً أحمد بن حنبل وأبو يعلى في «مسنديهما»، وأورده[2] الحافظ الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة مما ليس في الصحيحين»، ورجاله رجال الصَّحيح، إلا عبد الله بن مسلم، المعروف بأبي طيبة، فهو محدِّثٌ مشهور، وتصحيحُ ابن حبان لحديثه دالٌّ على قَبُوله. فأقلُّ أحواله أن يكونَ مِنْ درجة الحسن.

وقوله: إنَّهم لم يتعرَّضُوا له إلا ما استنبطه مِنْ مسألة الخلخال، فيه نظر، فإنَّه يُؤخَذُ مِنْ كلام بعضهم اعتبارُه بما دلَّ عليه هذا الحديث، وذلك أنَّ الفُوراني قال: يُكْرَهُ الخاتمُ مِنْ حديدٍ أو شَبَهٍ، لحديثٍ ورد فيه. انتهى.

والحديثُ المذكور هو المراد، فإنَّ فيه ذكر الحديد والشَّبَه. فإذا احتج به لكراهة الحديد مِنْ جهة ما ذُكِرَ، لزمه الاحتجاجُ به لمنع أن يبلُغ به مثقالاً لصريح النَّهي فيه. وقد جزم بعضُ مَنْ أدركناه مِنَ الشُّيوخ بأنَّ الحديثَ المذكور إن ثبت، وجبَ الضَّبط به. وقد بيّنت أنه صالحٌ للحجة، فليُضْبَط به، والله الهادي للصواب.

---

(١) في (ب): «كما».

(٢) في (أ): «ورواه».

[حديث بريدة في خاتم الحديد]

وكُتِبَ إليه مرة أخرى وقد سُئِلَ عن الحديث المشار إليه: أهو صحيحٌ أم حسنٌ أم غيرُ ذلك؟ وإذا كان صحيحاً، فهل هو محمولٌ على ظاهره أو مؤوَّلٌ؟ وإذا كان على ظاهره، فهل هو المذهب أم لا؟

فأجاب بما نقلته مِنْ خطِّه أيضاً: الحديثُ المذكور حَسَنٌ يُحتَجُّ به، وهو صحيحٌ على طريقة مَنْ لا يفرِّقُ بين الصَّحيح والحسن، بل يُسمِّي الكلَّ صحيحاً، كأبي حاتم بن حبان.

وأمَّا الحكمُ الشَّرعي، ففي ثلاثة مواضع:

أحدها: كراهةُ اتِّخاذ الخاتم من شبهٍ ـ وهو بفتح الشِّين المعجمة والباء الموحَّدة ـ صنف مِنَ النُّحاس يشبه لون بعض الذهب، ويشبهه أيضاً في أنه لا يتصدأ. وهذا لا أعرفُ التَّصريح بكراهته إلا في هذا الحديث، وليس في سياقه ما يقتضي التحريم.

والحكمُ الثاني: في خاتم الحديد والقول فيه كالأول، ويزداد هذا أنَّه ثبت في حديث المرأة التي عرضت نفسها «التمِسْ ولو خاتماً مِن حديد»، ففيه إشعارٌ بجواز اتِّخاذ خاتَمِ الحديد، مع أنه ليس فيه تصريحٌ بكراهته.

والحكم الثالث: اتخاذُ الخاتم مِنْ فضة بشرطه في الوزن المذكور، وجواز خاتم الفضَّة للرجال لا نزاع فيه، وأمَّا شرط الوزن، فقال بمقتضاه جماعةٌ مِنَ العلماء، ومن الشافعية أبو سعد المتولِّي وغيرُه. والله أعلم.

[حديث الظالم عَدْلُ الله في الأرض]

ومنها أنه سئل عن قولهم: «الظَّالم عدل الله في الأرض»: هل ورد، وهل لفظه «عبد» أو «عدل»؟ وأن بعضهم أنكره بلفظ «عدل»، واستشكل الجَمْعُ بين الوصفين.

فقال: هذا الحديث لا أستحضره، ومعناه دائرٌ على الألسنة، وعلى

تقدير وجوده، فلا إشكال فيه، بل الرِّواية بلفظ «عدل الله» أظهرُ في المعنى مِنَ الرِّواية بلفظ «عبد الله».

وأما قولُ القائل: كيف يجوزُ وصفُه بالظُّلم، ويُنْسَبُ إلى أنه عَدْلٌ مِنَ الله تعالى؟

فجوابه: أنَّ المراد بالعدل هنا ما يقابل الفَضْلَ، والعدلُ أن يعامَلَ كلُّ أحدٍ بفعله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، والفضل أن يعفُوَ مثلاً عَنِ المُسيء وهذا على طريق أهل السُّنَّةِ، بخلاف المعتزلة، فإنَّهم يُوجِبُون عُقوبة المُسيء، ويدَّعُون أنَّ ذلك هو العدلُ، ومِنْ ثم سمَّوْا أنفسهم أهل العدل والعدلية.

وإلى ما صار إليه أهلُ السُّنَّةِ يشير قوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢] أي: لا تُمهِلِ الظَّالم ولا تتجاوز عنه، بل عجِّل عقوبته، لكن الله يُمهل مَنْ يشاءُ ويتجاوز عمَّن يشاء، ويعطي من يشاء، لا يُسأل عما يفعل.

وهذا الذي فتح الله به من الجواب عن هذا الإشكال، وربنا الرحمن، وهو المستعان[1].

[قلت: ويقرُب مِنْ هذا معنى السُّؤال حديث «إنَّ الله يؤيِّدُ هذا الدِّين بالرَّجل الفاجر».

وفي ترجمة مالك بن دينار من «الحلية» أنَّه قال: قرأتُ في «الزَّبور»: إنِّي لأنتقم مِنَ المُنافق بالمنافق، ثم أنتقمُ مِنَ المنافقين جميعاً. ونظيرُ ذلك في كتاب الله عز وجل ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

وأخرج الطَّبراني في «الأوسط» في [ترجمة][2] جعفر بن محمد بن

---

(١) أورد المصنف جواب صاحب الترجمة عن هذا الحديث في «المقاصد الحسنة» ص ٤٤٨.

(٢) من «المقاصد الحسنة».

ماجد مِنْ طريق الحجَّاج بن أرطاة، عن محمد بن المُنكَدِر، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يقولُ: أنتَقِمُ ممن أُبغض بمَن أبغض، ثمَّ أُصَيِّرُ كلاً إلى النار».

وهو في الجزء الرابع عشر مِنَ «المجالسة» للدِّينوري مِنْ طريق الحجاج بن أرطاة عن محمد بن المنكدر، قال: يقول الله عز وجل: أنتصر لِمَنْ[1] أبغض ممن أبغض، ثمَّ أُصَيِّر كلاً إلى النار][2].

[حديث لا يدخل الجنة ولد زنا]

ومنها: أنه سُئِلَ عن حديث «لا يدخُلُ الجنَّةَ ولدُ زِنا ولا ولدُه ولا ولدُ ولدِه». هل هو صحيحٌ؟ وما معناه؟.

فأجاب: ليس هذا الحديث بهذا اللَّفظ صحيحاً، وورد في حديث «لا يدخل ولدُ زنا الجنَّة». فسره العلماء ـ على تقدير صحته ـ بأنَّ معناه إذا عمل بمثل عمل أبويه، واتفقوا أنه لا يُحْمَلُ على ظاهره، والله أعلم.

[حديث من كان ذا مال ولم يحج]

ومنها: أنه سئل عن حديث «من كان ذا مال، ولم يحُجَّ هذا البيت، إن شاء يموتُ يهودياً أو إن شاء يموتُ نصرانياً» لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

فأجاب: نعم، هذا الحديث ورد عن النَّبي ﷺ وسندهُ ضعيفٌ، أخرجه التِّرمذي في «جامعه» والبيهقي في «سننه» وله طرق.

وحمله أهلُ العلم ـ على تقدير ثُبوته ـ على مَنْ لم يعتقد وجوبَه. وعن

---

(١) في (أ): «بمن».

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب)، وزاده المصنف في هامش (ح).

بعضهم أنه ورد على سبيل التَّغليظ والتَّنفير والتَّحريض على المُبادرة إلى قضاء الفرض، ولا يُرادُ به أنَّ الذي يؤخِّرُ الفرضَ[1] يموتُ يهودياً أو نصرانياً.

وعن بعضهم أنه على سبيل التَّمثيل، لأنَّ اليهودي والنَّصراني لا يحجُّ، فمن مات ولم يحج، كان كاليهوديِّ والنصرانيِّ.

[المفاضلة بين عائشة وفاطمة رضي الله عنهما]

ومنها: ما قرأته بخطه بعد أن قرىء عليه وأنا أسمع ما نصه: سألتم ـ أعزكم الله تعالى بعزِّه ـ عَنِ السُّؤال المشهور في التفضيل بين أُمَّي المؤمنين خديجة وعائشة رضي الله عنهما، وعن السؤال الثاني في التَّفضيل بين عائشة وفاطمة الزهراء ابنة النبي ﷺ ورضي عنهما.

والجواب على سبيل الاختصار عن الأول بعد تقديم أنَّ للعلماء في ذلك أقوالاً ثالثها الوقف عَنِ الجواب في السؤالين، وهو أسلَم.

وقد احتجَّ كلٌّ مِنَ الفريقين لقوله بأدلَّةٍ نقليَّةٍ ونظريَّةٍ، فرأيتُ الاقتصارَ على طرفٍ كافٍ مِنْ أدلَّة أهلِ السُّؤال الثاني، فأقول:

حاصلُ ما استدل به مَنْ فضَّل الزهراء رضي الله عنها نقليٌّ ونظري، فمن النقلي ما أخرجه أحمد وغيره وصحَّحه ابن حبان وغيرُه مِنْ حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضلُ نساءِ أهلِ الجنَّة خديجةُ بنتُ خويلد وفاطمة بنتُ محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم». وهذا صريح في الأفضلية وفي.....[2].

ومنَ النظري: أنها بَضْعَةٌ لرسول الله ﷺ.

ومِنَ النَّقلي لمَنِ استدلَّ بتفضيل أمِّ المؤمنين حديث «فضلُ عائشة على النِّساءِ كفضلِ الثَّريد على غيره مِنَ الطعام». وهو في الصحيح.

---

(١) في (ح): «الحج».

(٢) بياض في الأصول. وفي هامش مختصر السفيري ما نصه: هكذا رأيت هذا البياض في المنقول منها، وكأنه: في تفضيل خديجة على عائشة.

لكن يطرُقه احتمالُ الجمع بأن يكون ذلك بالنِّسبة لمن لم يصرِّح بأفضليتها منهن، فيكون المراد بقوله: «على النِّساء»، أي مِنْ عدا الأربعة، وذلك جائزٌ في طريق الجمع.

ومن النظري، كثرةُ ما نُقل عنها مِنَ الحديث، فحصل الانتفاعُ به في الأحكام الشَّرعيَّة، وتلقَّوه بالقبُول، واحتجُّوا به، ووافقها على كثيرٍ منه كثيرٌ مِنَ الصَّحابة رضي الله عنهم، وانفردت منه بأشياء كثيرةٍ يلزَمُ منه تكثيرُ أجرها، لأنَّ مَنْ علم علماً فله أجرُهُ وأجرُ مَنْ عمل به إلى يوم القيامة. ولا يخفى أنَّ كثرة الأجر يُوجبُ التفضيل.

واعترض على ما استدلَّ به للزهراء رضي الله عنها أنَّ أخواتها زينبَ ورقيَّة وأمَّ كلثوم رضي الله عنهن يشاركنها في الصِّفة المذكورة، لأن كلاً منهن بَضْعَةٌ منه ﷺ، وإنَّمَا يفيد التَّفضيلَ بأمرٍ يختصُّ به المفضَّلُ على غيره.

وأجاب مَنْ فضَّلَ الزَّهراء رضي الله عنها بأنها امتازت عن أخواتها بأنهنَّ مِتْنَ في حياته ﷺ، فكنَّ في صحيفته، ومات النبي ﷺ في حياة الزَّهراء، فكان في صحيفتها، ولا يُقدَّرُ قدرُ ذلك، فقد جاء عنه ﷺ أنَّ المسلمين لم يصابوا مثل مصابهم، فمن وقع له ذلك وصبر واحتسب، حصل له مِنَ الأجرِ بقدر مُصابه، والمصابُ به لا يُقَدَّرُ قدرُه، فانفردت الزَّهراءُ رضي الله عنها دُون سائر بناته، فامتازت بذلك بأن بشَّرها في مرض موته بأنَّها سيِّدةُ نساءِ أهلِ الجنَّة، أي: مِنْ أهلِ هذه الأمَّة المحمدية، وبأنها أولُ أهلِه لُحوقاً به.

وقدِ انضافَ إلى فاطمةَ رضي الله عنها مِنْ هذا الجنس ما امتازت به على أمهات المؤمنين اللاتي مات النبيُّ ﷺ وهنَّ موجودات، لأن مصيبتهن به في صحائفهنَّ، وذلك أنَّها أُصيبت أولاً بأمِّها خديجة رضي الله عنها، والمصابُ بها عظيمٌ جداً، لأنَّها أفضلُ أمَّهات المؤمنين، لأنها أولُ مَنْ أسلمَ مطلقاً وأوَّلُ مَنْ نصرَ دين الإسلام مِنَ النِّساء، فلها مِنْ كلِّ مَنْ شاركها في شيءٍ مِنْ ذلك بعد ذلك مِنَ الأجر مثلُ ما لهُ. ويُعْرَفُ بذلك أنَّ الذي يتحصَّلُ لها مِنَ الأجور لا يعرف، ويدخُلُ في عموم مَنْ جاء بعدها عائشة

وغيرُها مِنْ أمّهات المؤمنين، فمهما فُرِضَ لعائشة رضي الله عنها مِنَ الأجر يكونُ لخديجة رضي الله عنها نظيرُه، فلا يحصُلُ لامرأةٍ مِنْ هذه الأمة كفضل خديجةَ رضي الله عنها.

وقد أصيبت فاطمةُ رضي الله عنها بها، لكنَّه شاركها في ذلك أخواتها، ثم سكنت فاطمةُ إلى أخواتها رضي الله عنهن وأكبرهن زينب، فماتت فثكلَتها فاطمةُ، وكذا ماتت رقيَّةُ وأمُّ كلثوم رضي الله عنهما، فكُنَّ جميعاً في صحيفةِ فاطمةَ رضي الله عنها.

ثم مع فقدها مَنْ كانت تُسَرُّ به مِنْ أمّها وأخواتها، ثكلَت والدها عليه الصلاة والسلام، فلم يبق بعده مِنْ ذلك النوع ما تُسَرُّ به، فلذلك كمِدَتْ ولم تَعِشْ بعده ﷺ إلا ستَّةَ أشهرٍ على الصَّحيح.

فإذا عُرِفَ قدرُ ما حصل لها مِنْ ذلك، عُرِفَ أنَّه لا يقدر قدره، فما يشاركها غيرُها فيما حصل لها مِنَ الأجُور عن ذلك. فلذلك اختصت بما اختصت به.

ثمَّ إنَّ ما لم يحصُل بها مِنَ الانتفاع بالعلم لم يكن مِنْ تقصيرها، بل لسُرعة انتقالها بعده ﷺ، وجاز أنَّها لو عاشت مثلاً، لانتشر عنها مِنْ ذلك قدْر ما انتشر عَنْ غيرها، والله أعلم.

[هل أذَّن الرسول ﷺ]

ومنها أنه سئل: هل صحَّ أنه ﷺ أذَّن في بعض أسفاره؟

فأجاب: وقع في «التِّرمذي» ذلك، لكن أخرجه أحمدُ في «المسند» مِنَ الطَّريق الذي أخرجه التِّرمذي، فقال فيه: فأمرَ بلالاً رضي الله عنه فأذَّنَ، فظهر بذلك أنَّ مَنْ أطلقَ أنَّه أذَّنَ تجوَّزَ في ذلك، كما يقال: أعطى الخليفةُ فلاناً كذا وكذا، والذي يباشر العطيَّة هو الخازن مثلاً، فيكون معنى «أذن»: أمر بالأذان[1].

---

(١) قال السفيري في مختصره: قلت: قال شيخُنا الجلال السيوطي في «شرحه» على =

[المراد بالأحرف السبعة]

ومنها: ما المراد بالأحرف السبعة في قوله ﷺ: «إنَّ هذا القرآن أُنزِلَ على سبعة أحرف» هل هي القراءات السَّبعُ المشهورة أو غيرها؟

وما المراد بالقراءة الشَّاذَّة إذا أطلقت: هل هو ما وراء العشرة والسبعة. وإذا ثبت ذلك، فما حكم من قرأ بها في الصلاة أو خارجها. وهل يحرم إقراؤُها ويسُوغُ لوليِّ الأمرِ المنعُ مِنْ قراءتها والإقراء بها؟ وهل إذا وردت روايةٌ عَنْ شيخٍ مِنَ المشايخِ السَّبعة مِنْ غير طريق «الشاطبية» و«التيسير» و«العنوان» يجوزُ القراءة به. وما يجبُ على الطَّاعن في شيءٍ مِنَ القراءات السَّبع كالإمالة ونحوها؟

أجاب: قد صنَّف العلاَّمة شيخُ الفُقهاء والقرَّاء أبو شامة الدِّمشقي في هذه المسألة تصنيفاً بليغاً سماه «الوجيز في علوم تتعلق بالكتاب العزيز»، أتقن الكلام على هذه المسألة، وأظهر جهلَ مَنْ يظُنُّ أنَّ المراد بالأحرف السَّبعة في الحديث القراءات السبعة التي إذا أُطلقت في هذه الأعصار، كان المرادُ بها قراءة ابنِ كثيرٍ ونافعٍ وابنِ عامرٍ وعاصمٍ وأبي عمروٍ وحمزة والكِسَائيِّ، وهي التي دوَّنها أبو بكر بن مُجاهد على رأس الثلاثمائة، وتبِعَه الدَّانيُّ في «التيسير»، ونظمها الشَّاطبي في قصيدته المشهورة.

وحاصل ما حرَّره: أنَّ هذه القراءات المنسوبة إلى هؤلاء الأئمَّةِ السَّبعة لا تخرُج عن المصحف العثماني الذي استقرَّت عليه آراءُ الصَّحابة في زمن

= «البخاري»، بعد أن قال: كثر السؤال: هل باشر النبي ﷺ الأذان بنفسه؟ وقد أجاب السهيلي والنووي بأنه أذَّن مرَّة في سفرة، أخرجه الترمذي.

وبعد أن نقل كلام صاحب الترجمة المذكور هنا، وأنه أوَّلَ «أذَّن» بأمره بالأذان ما نصه:

قلت: قد ظفرت بحديث مرسل أخرجه سعيد بن منصور في «سننه»: حدثنا أبو معاوية، حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، عن ابن أبي مُليكة، قال: أذَّن رسول الله ﷺ مرَّة، فقال: حي على الفلاح. وهذه رواية لا تقبل التأويل. انتهى. وفي هذا ترجيح لما قاله السهيليُّ والنووي من أنه باشر الأذان مرَّة بنفسه.

عثمانَ رضي الله عنه، فأرسل إلى كلِّ أُفق بمصحف، وأمرهم بالاقتصار مِنَ القراءات التي كانوا تلقَّوْها عَنِ النبي ﷺ وعن أصحابه على ما تضمَّنه المصحف المذكور.

ووقع في بعض المصاحف المذكورة اختلافٌ كثير بالزِّيادة الخفيفة والنَّقص اليسير مثل «من» في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ في أواخر سورة براءة[1]، فإنها في المصحف المكي ثابتةٌ، وليست ثابتةً في المدني ولا الشَّامي ولا غيرهما، ولم يكن في المصاحف المذكورة نقط، ولا شكل، فقرأ أهل كل مصر بما وافق مصحفهم واقتصروا عليه، وهو في الأصل حرف واحدٌ مِنَ الأحرف السَّبعة التي جرى ذكرُها في الحديث الصَّحيح. وأمَّا السِّتَّة الأخرى فمهما وافق الحرفَ المذكورَ منها فهي منه، ومهما خالفه بتغيير النَّقط أو الشَّكل أو الزِّيادة أو النَّقص، فهو الشَّاذُّ اصطلاحاً، وقد يقع فيه ما هُو في نفس الأمر غيرُ شاذٍّ، لكنه من جهة الاقتصار على المصحف العثماني خفيَ أمرُه، فسُمِّيَ شاذّاً، مع أنَّ كثيراً مِنَ القراءات التي لا تُنْسَبُ للأئمَّةِ السَّبعة المتقدِّم ذكرُهم غيرُ شاذٍّ، لأنَّ الذي استقرَّ عليه الأمرُ أن ضابطَ المشهور ما وافق رسمَ المصحف العثماني، وصحَّ سندُه إلى إمام مشهور مِنْ أئمَّة القراءة، ووافق اللِّسانَ العربيَّ لُغة وإعراباً. ولا يشترط كونُه أفصحَ، بل يكفي كونُه فصيحاً.

ولا يرتابُ العارف بالقراءات في قراءة أبي جعفر بن القعقاع ويعقوب وغيرهما مِنْ هذا الجنس الشيء الكثير، فهذا تحقيق الأمر في ذلك.

ومهما خالفَ الضَّابط المذكور، فهو مِنَ الشَّاذِّ، سواءٌ نُسِبَ إلى إمام منَ الأئمة السَّبعة المذكورين أم إلى غيرهم. وأمَّا القراءة بالشَّاذِّ، فلها حالان:

الأولى: في الصلاة، ولها حالان:

أحدهما: تحريمُ القراءة بها، والثاني: صحة الصلاة.

---

(١) الآية رقم ١٠٠.

فأمَّا التحريمُ، فيأتي بيانُه في خارج الصَّلاة.

وأمَّا الصِّحَّة، فضابطُها أن لا يختلَّ المعنى ولا يتغيَّرَ رسمُ المصحف بالزيادة والنقص.

والشرط الثاني: يختصُّ بالفاتحة عند مَنْ يشترط قراءتها في القيام، سواءٌ كان في كلِّ الصَّلاة أم في بعضها.

الثاني: خارج الصلاة، ولها حالان:

الأول: أن يكونَ في مقام التَّعليم، لقصد ضَبْطِ ذلك وتحمُّلِه عن الأشياخ، لِمَا في ذلك مِنَ الإعانة على معرفة إعرابه، فيجوز. وعلى هذا يُحْمَلُ عَمَلُ الأئمةِ شرقاً وغرباً في تصانيفهم في التَّفسير وغيره، وفي الاحتجاج بذلك في الأحكام الشرعية عند مَنْ يقولُ به.

والثاني: القراءة بها على أنها قرآن، فهذا لا يجوزُ، وعليه ينزِلُ كلامُ الأئمة في منعه مِنَ الفقهاء والأصوليين.

وأمَّا مَنْعُ وليِّ الأمر مِنْ ذلك، فعلى التَّفصيل المذكور بأن يُقالَ مثلاً: يجوز بشرط كذا، ولا يجوز إلا بشرط كذا كما قدَّمتُه.

وإذا وردت روايةٌ عَنْ إمام مِنَ الأئمَّة اتَّصلت القراءةُ بها، ودُوِّنت في كتب بعض الأئمة الذين دوَّنوا القراءاتِ المشهورة غير الكتب الثلاثة، ككتاب ابن مُجاهد الذي هو أصل «التيسير»، و«الإقناع» لأبي جعفر بن الباذِش، وقد وصفه أبو حيان في مقدمة «تفسيره» بأنه أحسنُ المجموعات في القراءات السبع، و«المصباح» لأبي الكرم، وهو في القراءات العشر، وغيرها مِنَ التَّصانيف، وهي كثيرةٌ ومعروفةٌ عند أهل هذا الفن.

وأمَّا مَنْ طعن في الإمالة ونحوها، فإنَّها مسألةُ خلافٍ مشهور. وممَّن جزم بمنع التَّواتر فيها: إمامُ العربية والقراءات أبو عمرو بن الحاجب، كما صرَّح به في «المختصر الأصلي»، ولكن [الأكثر على خلاف ذلك، ولم يطعن أحدٌ في أصل الإمالة ولا الهمز ولا غيرهما، وإنما طعنوا في][1]

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

الإفراط في كلٍّ من ذلك، والذي ينكر ذلك مِنْ غيرِ أهل العلم بالعربية والقراءة يُمْنَعُ ويُرْدَعُ، فطريقُ مثله أن يوافِقَ الجمهور ولا يخالِفَهم، ولا يتابعُ مَنْ شذَّ منهم عن جماعتهم[1].

وأمَّا مَنْ كان مِنْ أهل العلم بذلك، ووضح له دليلُ المسألة، ورجح عنده مُسْتَنَدُها، فلا يتوجه عليه شيءٌ مِنْ ذلك، لكن إن انتصبَ لترجيح ذلك، وحمل النَّاس عليه، فإنَّه يُمْنَعُ، لأنَّ متابعة السَّوادِ الأعظم أولى مِنْ متابعة مَنِ انفرد، والله أعلم.

وسئل أيضاً في القراءة بالشاذِّ: هل تحرُم، كما جزم به النوويُّ في كتبه والسبكيُّ في صفة الصلاة من «شرح المنهاج» وابن الصلاح في «فتاويه»، وكما نقل ابنُ عبد البرِّ الإجماع عليه، ونقل تحريم الصَّلاة خلف مَنْ يصلِّي بها، كما نقل ابنُ عبد البر الإجماع عليه، وهل يُعزَّرُ فاعِلُ ذلك، ويجب على الحاكم منعه أم لا، وهل الشَّاذُّ ما زاد على السبع كما جزم به النَّووي في «التبيان»، وهو ظاهر كلام ابن عطية في «تفسيره»، أو ما زاد على العشر كما صحَّحه التاجُ السُّبكي في «جمع الجوامع»، وجزم به ابن الجزري في «منجده»؟

فقال: نعم، تحرُم القراءة بالشَّواذِّ، وفي الصَّلاة أشدُّ، ولا نعرف خلافاً عن أئمة الشَّافعية في تفسير الشَّاذِّ أنَّه ما زاد على العشر، بل منهم مَنْ ضَيَّق، فقال: ما زاد على السَّبع، وهو إطلاقُ الأكثر منهم، ولا ينبغي للحاكم، خصوصاً إذا كان قاضي الشَّرعِ، أن يترُكَ مَنْ يجعل ذلك ديدنه، بل يمنعُه بما يليقُ به، فإن أصرَّ فيما هو أشدُّ مِنْ ذلك، كما فعل السَّلفُ بالإمام أبي بكر بن شنبوذ، مع جلالته، فإنَّ الاسترسال في ذلك غيرُ مرضيٍّ، ويُثابُ أولياء الأمور ـ أيدهم الله ـ على ذلك صيانةً لكتابِ الله عز وجل، والله أعلم.

وكذا كتب مِنَ الشافعية البدر بن الأمانة والونائي والقاياتي والبلقيني،

---

(١) في (أ): «عن جماعته».

ومن الحنفية العيني وابن الديري، ومِنَ المالكية الشهابُ بنُ تقي، حسبما نبَّه عليه الشيخُ أبو القاسم النُّويري في «القول الجاذ لِمَنْ قرأ بالشَّاذِّ» مِنْ تصانيفه، رحمة الله عليهم أجمعين.

[رواية الحسن البصري عن علي]

ومنها: أنه سئل عن قول الحافظ تقي الدين محمد بن الحسن اللخمي ابن الصيرفي: مَنْ قال من الأئمة: إن الحسن لم يَلْقَ علياً، أو لم يثبت له سماع منه، فهو مشكل، ولم يَقُمْ عليه دليلٌ ظاهرٌ، وهو معارَضٌ بما رواه الحافظُ أبو يعلى، قال: حدَّثنا أبو عامر حَوْثَرَةُ بن أشرس العدوي، أخبرني عُقبةُ بن أبي الصَّهباء الباهلي، سمعتُ الحسنَ يقول: سمعتُ عليّاً رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ أُمَّتي مَثَلُ المطر، لا يُدرَى أوله خيرٌ أو آخره. إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، طوبى للغرباء»، فهو نصٌّ صريحٌ في سماعه منه، ورواتُه ثقاةٌ، متَّصلٌ بالإخبار والتحديث والسماع. حوثرةُ وثَّقه أحمد، وهو معروف بالرواية عَنْ عُقبةَ، وعُقبةُ وثَّقه أحمد وابن حبان وابنُ معين، انتهى. هل هو صحيح أم لا؟

فأجاب بما نقلتُه مِنْ خطه: هذا البحث الذي أبداه الصَّيرفيُّ لا يستقيم على قواعِدِ أئمَّةِ الحديث، وإنما يستقيم على قواعد بعضِ أهل الأصول والفقه، لأنَّ مِنْ قاعدة أئمة الحديث عندَ اختلافِ الرُّواة في التَّنافي، تقديمَ قولِ الأكثر والأحفظ والأعرف بالشَّيخ الذي وقع الاختلافُ عليه، بأن يكون طويلَ المُلازمة له، إمَّا لقرابته منه، لكونه ولدَه أو أخاه أو مِنْ عصابته أو ذوي رحمه، أو لكونه مِنْ جيرانه، إلى غير ذلك. ونشأ لهم ذلك من اشتراطهم في الصَّحيح وفي الحسن أن لا يكون شاذّاً بعد أن يعرِفُوا الشُّذوذَ الذي يشترط نفيه هنا أن يخالف الراوي في روايته مَنْ هو أرجحُ عندَ مَنْ يَعتبِرُ الجمع بين الروايتين، بخلافِ الفقيه والأصولي الذي أشرت إليه، فإنَّ مِنْ قاعدته تقديمَ مَنْ معه زيادة، فإذا أثبت الراوي عن شيخه شيئاً، فنفاه مَنْ هو أحفظُ منه أو أكثرُ عدداً أو أكثرُ ملازمةً، قالوا: المثبِتُ مُقدّم على النافي، فقيل: ومِنْ ثَمَّ قال ابن دقيق العيد: إن كثيراً مِنَ العلل التي يرُدُّ بها

أهلُ الحديث لا يردُ بها الفقيهُ والأصوليُّ الحديث. واحترز بقوله «كثيراً» عن مَنْ وافقَ المحدِّث في بعض ذلك. وقد نصَّ الشافعي على موافقة أهلِ الحديث في تفسير الشَّاذِّ وفي تقديم الأحفظِ، فقال: ليس الشَّاذُّ أن يروي الثقةُ شيئاً، فينفرد به. الشاذُّ أن يروي شيئاً فيخالِفَ فيه مَنْ هو أرجحُ منه. هذا معنى كلامه.

وقال في خبرٍ احتجَّ به عليه بعضُ أصحاب مالك، لأنَّ مالكاً رواه على وفقِ ما ذهبوا إليه، فقال له الشافعي: خالفه ستةٌ أو سبعةٌ لقيتُهم متَّفقين على خلافِ ما روى مالك، والعدد الكثير أولى بالحفظ مِنَ الواحد، وقرَّره بعضُ أصحابه بأنَّ ردَّ قولِ الجماعة بقولِ الواحد بعيدٌ، مع أن تطرُّقَ السَّهو إلى الواحد أقربُ مِنْ تطرُّقِه إلى العدد الكثير، ومِنْ ثمَّ اشترط في قبول شهادة المرأة أن يُضم إليها أخرى ليتعاونا على ضبط ما يشهدان به، لأنَّ تطرُّقَ السَّهو إلى المرأة أكثرُ مِنْ تطرُّقه إلى الرجل لنقصها.

وقد وافق بعضُ أهلِ الأصول والفقه هذه القاعدة في بعض الصُّوَرِ، وهي ما إذا اتحد مجلس التحديث، كما لو سمع جماعةٌ مِنْ شيخٍ في مجلسٍ واحدٍ حديثاً، ثم خرجوا مِنْ عنده، فحدثوا بما سمعوه منه، فخالفهم واحدٌ منهم، فأتى بزيادةٍ تُنافي ما اتَّفق عليه الجماعةُ، فإنَّ روايتهم تقدَّمُ على روايته للعلَّة التي تقدَّمت.

فإذا تقرَّرَ[1] هذا، فالذين جزموا بأنَّ الحسنَ البصريَّ لم يسمع مِنْ عليٍّ لما ثبت عندهم مِنْ أنَّ الحَسَنَ لمَّا كان منشؤُه بالمدينة النبوية حتى قُتِلَ عثمانُ رضي الله عنه، وله يومئذٍ أربعة عشر عاماً، لم ينقل عنه أنَّه طلب العلم، ولا تشاغل بسماع الحديث، فلما استخلف عليٌّ رضي الله عنه، وخرج مِنَ المدينة إلى العراق بعد ثلاثة أشهر أو نحوها، استمرَّ الحسنُ بالمدينة، ولم يرجع عليٌّ رضي الله عنه إليها، بل استمرَّ مشتغلاً بحربِ الذين خالفوه إلى أن قُتِلَ عليٌّ رضي الله عنه بعد أربع سنين وثمانية أشهر مِنْ أوَّلِ خلافته، فتوجَّه في

(١) في (ح): «تفرَّد».

ذلك الوقت الحسنُ إلى البصرة، فسكنها واستمرَّ إلى أن مات، إلا أنه حجَّ في أثناء ذلك، وخرج إلى خراسان في خلافة معاوية رضي الله عنه كاتباً للربيع بن زياد الحارثي حين استخلفه عبد الله بن عامر على خراسان، وكان أميرَها لمعاوية رضي الله عنه. ثم رجع الحسنُ إلى البصرة، فأقام بها مشتغلاً بالعبادة والقصص على النَّاس وتعليمهم الأحكام الشَّرعية، ووَلِيَ القضاء في خلال ذلك في خلافة عمرَ بن عبد العزيز رضي الله عنه مدَّة يسيرة بالبصرة، ثم ترك ذلك، وأقبل على شأنه حتَّى مات.

ومِنْ حجَّتهم في أنَّه في خلافة عُثمان رضي الله عنه لم يكن تصدَّى للاشتغال بالسماع ثم التحديث: أنَّ الجُمهورَ أطبقوا على أنه لم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه، مع أنه في تلك المدَّة كان أبو هريرة رضي الله عنه فيها وفيما بعدها قد تصدّى للتحديث، حتى انتهت إليه رحلةُ طُلاّب الحديث لتفرُّده عن أقرانه، لكثرة حديثه وطُولِ عُمره، فلو كان الحسنُ يتشاغل بطلب الحديث، لحصل له عن أبي هريرة رضي الله عنه الشَّيءُ الكثيرُ، لإقامتهما بالمدينة تلك المدة.

وعلى تقدير التنزُّل، لا يلزَمُ مِنْ صحة سماعه من عليٍّ رضي الله عنه لهذا الحديث أنْ يكونَ جميعُ ما نُقِلَ عنه عَنْ علي رضي الله عنه مسموعاً له مِنْ عليٍّ رضي الله عنه؛ لأنَّه اشتهر عنه أنه كان يرسِلُ عَنْ مَنْ عاصرَه، سواءً اجتمع به أم لا.

ومَنْ هذا سبيلُه كان ما يرويه بالعَنْعَنَةِ عن مَنْ عاصره أو اجتمع به [إمّا مرسلاً][1]، وإما مدلساً. وكذا القولُ في كلِّ مَنِ اختُلِفَ فيه ممَّن روى عنه، هل سمع منه أم لا، كأبي هريرة رضي الله عنه، والعلم عند الله تعالى.

[خرقة التصوف]

ومنها أنه سئل عن حديث الخرقة، وما لذلك مِنَ الطُّرق، فقال: إنَّ ذلك ما لم أتشاغل به قطُّ، لتحقُّق بُطلان كلِّ ما ورد في ذلك.

---

(١) ساقطة من (أ).

[الشيخ عبد القادر الكيلاني]

ومنها أنه سئل عما قاله الحافظ ابن رجب في «طبقات الحنابلة» أنه قد جمع أبو الحسن المُقرىء الشَّطنوفي المصري في أخبار الشَّيخ - [يعني عبد القادر الكيلاني][1] - ومناقبه ثلاث مجلدات، [وهي المسماة بالبهجة][2]، وقد رأيتُ بعضَ هذا الكتاب، ولا يطيبُ على قلبي أن أعتمِدَ على شيء ممَّا فيه، فأنقلَ منه، إلا ما كان مشهوراً معروفاً مِنْ غيره، وذلك لكثرة ما فيه مِنَ الرِّواية عن المجهول، وفيه مِنَ الشُّطح والطَّامَّات والدَّعاوى والكلامِ الباطلِ ما لا يُحصى، ولا يجوزُ نسبة مثل ذلك إلى الشيخ عبد القادر.

قال: ثمَّ وجدتُ الكمالَ جعفر الأدفوي ذكر أنَّ الشطنوفي نفسه كان متَّهماً فيما يحكيه في هذا الكتاب بعينه. انتهى.

وعن معنى قول الشيخ: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله.

فأجاب بما نصُّه: أما ما يتعلَّق بالبهجة، فقد طالعتُ أكثرها، فما رأيتُ الأمرَ كما ذكره الحافظُ ابن رجبٍ على إطلاقه، بل هي مشتملة على أقسام:

القسم الأول: ما لا منابذةَ لقاعدةِ الشَّريعة فيه بحسب الظَّاهر، بل جائزٌ شرعاً وعقلاً، وهذا معظم الكتاب، فإنَّ ظُهورَ الخوارق على البشر واقعةٌ في الوجود، ولا ينكِرُها إلا معانِدٌ.

القسم الثاني: منابِذٌ لقوانين الشَّريعة في الظَّاهر، فإنْ أمكن حملُه بالتَّأويلِ على أمرٍ شائع فذاك، وإلاَّ فينبغي في اجتنابه وتحسين الظَّنِّ بقائله يحتاجُ إلى أن يدَّعي أنَّ ذلك صَدَرَ في حال غَيْبَةٍ له مِنْ غير اختيار.

والقسم الثالث: ما تردَّد بين الأمرين، فهذا ينبغي الجَزْمُ بحمله على المحمَلِ الصَّحيح ولو بالتأويل، بخلاف الذي قبله، فإنَّه يجوزُ أن يكون غير ثابتٍ.

---

(١)(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

ولا شكَّ أنه مَنْ ليست له بصيرةٌ بنقد الرواة[1] ثمَّ قصد الإكثار، فإنَّه يصير حاطِبَ ليلٍ يجمع الغثَّ والسَّمينَ وهو لا يدري، وهذا حال جامع «البهجة».

وقد ذكر أئمتنا لما يظهر مِنَ الخوارق ضابطاً يتميز به المقبولُ مِنَ المردود، فقالوا: إن كان الواقعُ ذلك له أو منه على المنهاج المستقيم، فهي كرامةٌ، كالشَّيخ عبد القادر، فقد قال شيخ الإسلام عز الدين بنُ عبد السلام: ما وصلت إلينا كرامةُ أحدٍ بطريق التَّواتُرِ مثلما وصلت إلينا كراماتُ الشَّيخ عبد القادر. روينا هذا الكلام عنه بمعناه بسندٍ صحيح عن الحافظ شرف الدين علي بن محمد اليونيني أنَّه سمع ابنَ عبد السلام يقوله. وفي رواية للذهبي عنه، قيل له: مع ما عُرِفَ مِنَ اعتقاده ـ يعني من المسائل التي تُخالِفُ فيها الحنابلةُ، والشيخُ منهم ـ الأشاعرةَ، وابنُ عبد السلام منهم، فقال: نعم، إذ لازمُ المذهب ليس بلازم، وإن كانت الواقعة منه أوَّلَه على الوجه المباين للشَّريعة المطهَّرة، فليست فيها دلالة على الولاية ولا كرامة، فهذا هو الحدُّ الفارقُ بين الكرامة الدالَّة على الولاية والخارق الذي لا يدلُّ عليها، بل ربما دلَّ على ضدِّها كما يظهرُ في كثيرٍ مِنْ أحوال المبتدعة المتمسكين بما يُباين الأمور الشرعية، فإنها أحوالٌ شيطانيَّة لا يغتر بها إلاَّ الجَهَلَةُ، وربَّما ظهرت مِنْ أُناس في حال غَيْبَتِهم وذهولِهم، وهو على قسمين:

مَنْ كان قبلَ ذلك على المَنْهَج القويم، فتلك كرامةٌ، ولكن لا يُقتدى بأقوال من هذا سبيلُه ولا بأفعاله، بل يعذر على ما يصدُر منه، لكونه في حال غَيْبَةِ عقله الذي هو مناطُ التَّكليف. والأوْلَى منعُ جَهَلَةِ العامَّة مِنْ ملازمة مثل هذا، لئلا يظنُّوا أنَّ الذي يصدُر منه في حال غيبته هو الحق فيقتدوا به، ومِنْ هُنا ضلَّ كثيرٌ منهم، وبالله التوفيق.

وإذا عرف ذلك، فالشيخُ عبد القادر لم يكن مِنْ هؤلاء، بل كان

---

(١) في (أ): «الرواية».

حاضِرَ الحِسِّ، يتمسَّكُ بقوانين الشَّرع ويدعو إليها، وينفر من مخالفتها، ويشغل الناسَ فيها مع تمسُّكه بالعبادة والمجاهدة، ومزج ذلك بمخالطة الشاغل غالباً عنها، كالأزواج والأولاد. ومَنْ كان هذا سبيلُه، كان أكملَ مِنْ غيره، لأنَّها صفةُ صاحبِ الشَّريعة. ومن هنا قال تلك الكلمة المشهورة، لأنَّه لا يعرف في عصره مَنْ كان يساويه في الجمع بين هذه الكمالات.

وإذا تقرَّر هذا، فلا يضرُّ ما وقع في هذه «البهجة» ممَّا نُسِبَ إليه، لأنَّه إن كان على قانون الشريعة، فنسبتُه إليه جائزة، وما عدا ذلك، إن كان ثابتاً عنه، حمل على أنه صدر عنه في حال غَيْبَةٍ ما، وإن كانت أحواله الغالبة، لم يكن له فيها غيبة. وإن لم يكن ثابتاً، فالعُهْدَة على ناقله، والغرضُ تعظيمُ شأنه، وهو بلا شك يستحقُّ التعظيم. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ومنها: هل ورد عن الشيخ عبد القادر أنَّه حضر السَّماعَ الذي اتَّخذه الفُقراء بالدُّفوف والمواصيل وغيرها من الآلات، أو أمر بحضوره أو قال فيه شيئاً بإباحةٍ أو تحريمٍ؟

فأجاب: أمَّا الشَّيخ عبدُ القادر، فالذي وصل إلينا مِنْ أخباره الصَّحيحة أنه كان فقيهاً زاهداً عابداً، يتكلَّم على الناس ويرغِّبُهم في الزهد والتوبة، ويحذرهم من العقوبة على المعصية، فكان يتوب على يديه مِنَ الخلق مَنْ لا يُحصى كثرةً، وله كرامات مستفيضةٌ لم تُنْقَلْ لنا عَنْ أحدٍ مِنْ أهل عصره، ولا مِنْ بعدِه أكثر ممَّا نُقِلَ عنه، ولا أعرف عنه في مسألة السماع بهذه الآلات شيئاً.

[حديث ازهد في الدنيا يحبك الله]

ومنها أنه سئل عن حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: جاء رجلٌ إلى النَّبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، دُلَّني على عمل إذا عملته أحبَّني الله تعالى وأحبني الناس. قال ﷺ: «ازهد في الدنيا...» الحديث. هل هو حسنٌ كما قاله النووي، بل قال: أسانيده حسنة، أو ضعيفٌ كما

قاله ابنُ رجب[1]، محتجّاً بأنَّ فيه خالد بن عمرو القرشي؟

فأجاب: أمَّا قولُ الشَّيخ: إنه حديث حسنٌ، فلعلَّه اعتضدَ عنده بطُرقه الموصولة والمُنقطعة، لأنَّ مخارجها مختلفة، ولأنه أيضاً مِنْ فضائلِ الأعمال، ولكثرة شواهد الركن الأول في الكتاب والسنة وأقوال السلف، وكذا الركن الثاني، ويزداد بشاهدِ الحسن والتجربة.

وأما قولُه: بأسانيدَ حسنةٍ، ففيه نظر، لأن ظاهره أنَّ كلَّ إسنادٍ منها على انفراده حَسَنٌ، وليس كذلك، لأنَّه ما مِنْ إسناد منها إلا وفيه رواةٌ لا يُوصَفُ حديثُ كلٍّ منهم بالحسن مع الانفراد، فيُحْمَل قوله: على أن كلَّ واحد منها يُوصَفُ بالحسن لا لدلالته[2]، بل باعتبار الصُّورة المجموعة [التي حملت كلامهُ أولاً عليها، وهذه عناية به، وإلا فإنه هو لم يلتزم هذه الطريقة][3]، في حديث «مَنْ حفِظَ على أمَّتي أربعين حديثاً».

وقد أجاد ابنُ رجب في جَمْعِ طُرقه، وفاته أنَّ الحاكم أخرج الحديث من طريق خالد بن عمرو الذي أخرجه ابنُ ماجه من طريقه، وقال: صحيحُ الإسناد، وتعقَّبه الذهبي في «تلخيص المستدرك»، فقال: خالدُ بن عمرو وضَّاع.

ومما تعقب به كلام ابن رجب: ما نقله عن ابن عدي وأقرَّه أن زافر بن سليمان رواه عن محمد بن عيينة، عن أبي حازم، عن ابن عمر رضي الله عنهما، فإنَّ فيه تساهلاً، لأن الحديث الذي رواه [من طريق][4] زافر غير الحديث المسؤول عنه، وقد بيَّن ذلك الحاكمُ، فأخرج في «المستدرك» أيضاً من طريق زافر، عن محمد، عن أبي حازم، وقال مرَّة: عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقال مرَّةً: عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: «جاء جبريلُ عليه السلام إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، عِشْ

---

(١) في جامع العلوم والحكم ٢/ ١٧٤، بتحقيقي.

(٢) في (ح): «لذاته».

(٣) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

(٤) ساقط من (ب).

ما شئتَ فإنَّك ميِّتٌ، وأحبب من شئت[1] فإنَّك مفارِقُه، واعمل ما شئت فإنك مَجْزِيٌّ به. ثم قال: يا محمد، شَرَفُ المؤمن قيامُ الليل، وعِزُّه استغناؤه عَنِ النَّاس». وقال: صحيح الإسناد. كذا قال: ولم يتعقَّبه الذهبي، فغفَل عنه، فإنَّ سنده ضعيف، والله أعلم.

ومنها أنه سئل عن كيفية الخطوة الواحدة وهيئتها التي ذكر الفقهاءُ أنَّها إذا توالت ثلاثاً أبطلتِ الصَّلاة، هل هي مجرَّدُ نقلِ القدمِ الواحد مِنْ محلٍّ لمحلٍّ آخر، إما أمامه أو خلفه أو عن يمينه أو شماله، أو هي نقل كلا القدمين واحدةً بعد أخرى، وتُعَدُّ هذه خطوةً واحدةً؟

وعن قوله تعالى ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]، هل الولد مِنْ سَعْيِ أبويه، ويدخل في الآية الشريفة، أو هو مختَصٌّ بالأب دون الأم، أم كيف الحال؟ وإذا كان الأمرُ كما ذكر ولا ينفع الإنسان إلا ما كان من سعيه، فما قولُكم في صدقة الأجنبيِّ ودعائه وفعلِه الخيرَ عَنِ الميّت.

[هيئة الخطوة المفسدة للصلاة]

فأجاب: أما الخطوة الواحدة، فحقيقتُها نقلُ القدم من مكانها إلى مكانٍ آخر، ثم نقل القدم الأخرى إلى محاذاة أختها، ولا تُشْتَرَطُ المحاذاةُ، بل لو انتقلت إلى دون الأخرى أو فوقها لم تخرُج عَنْ كونها خطوةً، إلا إذا أراد النَّقلَ إلى ما يسمَّى خطوة، فإنها تصير خطوتين.

[تفسير قوله تعالى: وأن ليس للإنسان إلا ما سعى]

وأما تفسير الآية، فاختلفوا فيه على أقوال:

أحدها: أن الحكم المذكورَ منسوخٌ، والنَّاسخ قوله تعالى في الذين آمنوا ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١].

---

(١) في (ب): «أحببت».

ثانيها: أنَّ هذا إنما كان لقول إبراهيم وموسى، وأمَّا هذه الأمَّةُ، فلهم سعيهم سعي غيرهم، بدليل حديث التي سألت عن حجِّ الصبي، فقال: «ولك أجرٌ»، وللحديث الآخر: إنَّ أمِّي ماتت، فهل لها أجرٌ إن تصدَّقتُ عنها؟ قال: «نعم، ولكِ أجرٌ»، والحديثان صحيحان.

ثالثها: المراد بالإنسان: الكافر، فإنه يُثابُ بما عمل مِنْ خيرٍ في الدُّنيا ولا يلحقه من ثوابُ غيره شيء.

رابعها: نزلت في خاصٍّ مِنَ النَّاس، وهو عبد الله بن أُبَيٍّ في إعطاء النبي ﷺ (ولده)[1] قميصه ليكفنه فيه، فكان ذلك في مقابلة أنَّه كسا العبَّاسَ عمَّ النبيِّ ﷺ قميصاً.

خامسها: ليس للآدمي إلاَّ ما سعى مِنْ طريق العَدْلِ، وأمَّا مِنْ طريق الفَضْلِ، فيعطيه الله تعالى مِنْ ذلك ما شاء الله.

سادسها: أن اللام بمعنى على، فلا يؤاخَذُ بجريرةِ غيرِه، ويلحقُه ثوابُ سَعْيِ غيره بشرطه.

سابعها: الآية على ظاهرها، لكن السَّعيَ تارةً بنفسه وتارةً بغيره، فهو السَّببُ في ذلك، كأن يسعى في إقامة أمر الدِّين، فيحبُّه أهلُ الدِّين، فيدعون له، فيحصُلُ له سببُ المحبَّة، وهو ما سعى فيها بالإحياء له، وإنَّما حصل له بواسطة.

ثامنها: معنى (سعى): (نوى).

وأرجحُها فيما يظهر لي خامسها، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

[توثيق الإمام أبي حنيفة]

ومنها ما سئل عمَّا ذكره النَّسائي في «الضُّعفاء والمتروكين» عن أبي حنيفة رضي الله عنه مِنْ أنَّه ليس يقوى في الحديث، وهو كثيرُ الغلط

---

(١) ساقطة من (ب).

والخطأ على قِلَّة روايته، هل هو صحيحٌ، وهل وافقه على هذا أحدٌ مِنْ أئمة المحدِّثين أم لا؟

فأجاب بما قرأتُه مِنْ خطِّه: النَّسائي مِنْ أئمة الحديث، والذي قاله إنَّما هو بحسب ما ظهرَ له وأدَّاه إليه اجتهادُه، وليس كلُّ أحدٍ يُؤْخَذُ بجميع قوله. وقد وافقَ النَّسائيَّ على مطلق القول في الإمام جماعةٌ مِنَ المحدِّثين، واستوعبَ الخطيبُ في ترجمته مِنْ «تاريخه» أقاويلَهم، وفيها ما يُقْبَلُ وما يُرَدُّ.

وقد اعتُذِرَ عَنِ الإمام بأنَّه كان يرى أنَّه لا يحدث إلا بما حفظه منذُ سمعه إلى أنْ أدَّاه، فلهذا قلَّتِ الرِّواية عنه، وصارت روايته قليلةً بالنسبة لذلك، وإلا فهو في نفس الأمر كثير الرواية.

وفي الجملة، تَرْكُ الخَوْضِ في مثل هذا أولى، فإنَّ الإمامَ وأمثالَه ممَّن قفزوا القَنْطَرَة، فما صار يُؤَثِّرُ في أحدٍ منهم قولُ أحدٍ، بل هم في الدرجة التي رفعهم الله تعالى إليها من كونهم متبوعين مقتدى بهم، فليُعتَمَدْ هذا، والله ولي التوفيق.

ومنها ما سئل عن معنى قوله تعالى: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

وهل كان له ﷺ عَذَبَةٌ؟ فإنه نُقِلَ عَنِ المجد الشِّيرازي في كتابه «منح الباري في شرح البخاري» أنَّه كان للنبيِّ ﷺ عَذَبَةٌ طويلةٌ نازلةٌ بين كتفيه، وتارةً على كتفه، وأنَّه ما فارق العَذَبَة قط. ونُقِلَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «خالفُوا اليهود، ولا تُصَمِّمُوا، فإنَّ تصميم العمائم مِنْ زيِّ أهل الكتاب»، ونقل أيضاً أنه قال: «أعوذ بالله مِنْ عمامةٍ صمَّاء»، فهل هذا صحيح أم لا؟

[معنى قوله تعالى ﴿مُسَوِّمِينَ﴾]

فأجاب: أما معنى قوله تعالى: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ فمعلَّمين على الأرجح. قال الماوردي: قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو بكسر الواو، أي أنهم سَوَّمُوا خيلَهم بعلامةٍ، وقرأ الباقون بفتحها، أي أنها سائمة.

وعلى الأول، فاختُلِفَ في التَّسويم على قولين:

أحدهما: أنها كانت بالصُّوف في نواصي الخيل وأذنابها. قاله ابن عباس وجماعة.

والثاني: أنَّها عمائمُ صُفْرٌ، ونقل القرطبي أنَّها كانت مرخاةً بين أكتافِهم.

وروى الطَّبري من حديث أبي أُسَيْد السَّاعدي رضي الله عنه، وكان بدرياً، قال: خرجت الملائكةُ يومَ بدرٍ في عمائمَ صُفْرٍ طرحوها بين أكتافهم. وإسناده حسن. ثم قال: فالعلامة هي العمائم الصُّفْرُ المرخاة بين الكتفين، فثبتت مشروعية العذبة بذلك.

وأما ما نقله الشيخ مجد الدين فقوله: طويلة وبين كتفيه ونازلة على كتفه، لم أره، لكن في «الطبراني»، وهو في «المختارة» للضياء القدسي من طريقه، عن عبد الله بن بُسْرٍ رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه إلى خيبر، فعمَّمَه بعمامةٍ سوداء، ثم أرسلها مِنْ ورائه، أو قال: على كتفه. إسناده حسن.

وأما قوله: ما فارق العذبةَ قط، يرده ما قال صاحبُ «الهدي» أنَّه كان تارةً يعتَّمُ بعذبةٍ وتارةً بغيرِ عذَبَةٍ.

وأمَّا حديثُ «لا تصمموا» و«عمامة صماء»، فلم أقف لهما على أصل.

واعلم أن مَنْ فعلَ العذبةَ اقتداءً بالنَّبيِّ ﷺ كان مأجوراً، ومَنْ فعلها تكبُّراً ومشيخةً فهو حرامٌ، والله أعلم.

[السيدة نفيسة بنت الحسن والإمام الشافعي]

ومنها أنَّه سُئِلَ عَنْ صحَّة ما يُحكى من أنَّ السيدة المشهورة نفيسة ابنة

الحسن رضي الله عنها صنعت وليمةً دعت الإمام الشافعي إليها فحضرها، وأنَّها دخلت مصرَ قبل دُخول الشَّافعي إليها، وأنَّها في هذا القبر من حين وفاتها سنة ثمان ومائتين إلى هلمَّ جرا.

فأجاب ما نصه: حضُور الإمام الوليمة عندها لا أعرفه، بل ورد أنَّ الشافعي لما مات مروا بجنازته عليها، فصلَّت عليه، ولم يثبُت هذا أيضاً.

وأما كونها قُبِرَت إلى آخره، فهو المشهورُ، لكن ذَكَرَ بعضُ أهلِ المعرفة أن خُصوصَ هذا القبر الذي يُزارُ ليس هو قبرها، لكنها دُفِنَتْ في تلك البقعة بالاتفاق، وما زال قبرُها مقصوداً بالزيارة والتبرك به، حتى اشتهر عَنْ نقلِ بعض العلماء أنَّ المصريين كانوا يُسَمُّونَ الدُّعاء عندها الترياقَ المجرَّبَ! وقد غلا في ذلك بعضُ العوامِّ، بل كلّهم، حتى إنَّ بعضهم يقعُ في الكفر وهو لا يشعُرُ، والله المستعان.

[ترجمة السيدة نفيسة]

وقد قرأت بخط صاحب الترجمة ترجمتها، ونص ذلك:

نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب. كان لأبيها الحسنِ من الولد: القاسم ومحمد وعبد الله ويحيى وأم كلثوم ونفيسة. أمُّهم زينب أم سلمة ابنة الحسن بن الحسن بن علي. وعلي وإبراهيم وزيد أمهم أم ولد، وإسماعيل وإسحاق أمُّهما أمُّ ولدٍ أخرى.

وتزوجت نفيسةُ قريبها إسحاق بن جعفرِ الصَّادق بن محمد بن علي بن الحُسين بن علي، فولدت منه القاسم وأم كلثوم، وقَدِمَ بها مصر، فنزلت بالممصوصة التي تُعرف الآن بالمصاصة، وبجانبها قومٌ مِنْ أهل الذمة لهم بنت مُقْعَدةٌ، فدخلوا إلى السيدة نفيسة، ثم ذهبوا لحاجة لهم وتركوا البنت عندها، فتوضأت نفيسةُ وصبَّت مِنْ فضل وضوئها على البنت، فقامت في الحال تسعى على قدمَيْها، ولم تكن مشت قطُّ، فلمَّا جاء أهلُها ورأوْا ابنتَهم على تلك الحالة سألوها، فأخبرتهم ما صنعت الستُّ نفيسةُ، فأسلموا أجمعونَ على يدها، وشاع هذا الخبرُ بمصرَ، فقصدوها للتبرك والزيارة، واشتهر أمرُها.

ويقال: إنَّ النيل توقَّف، فأرسلت بقناعها وأمرتهم أن يلقُوه في النيل ويحضروه إليها، فزاد في الحال إلى أن وفَّى الغرض وزيادة.

ولما قدم الشافعي مصر، وُصِفَتْ له، فتوجه هو وعبد الله بن عبد الحكم لزيارتها، وسألاها الدعاء، فلما مات أمرتهم أن يحضروا بجنازته إليها، فصلَّت عليه.

وكراماتُها كثيرةٌ جداً، وقد اشتهر أمرُها في الآفاق، حتى إن أهلَ الحجاز يغبِطُون أهلَ مصر بوجودها عندهم.

وماتت في رمضان سنة ثمان ومائتين. ويقال: إنَّها حفرت قبرَها، وقرأت فيه ستَّة آلاف ختمة، وآخر ما قرأت فيه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وخرجت روحُها فيه. انتهى.

[قبر الحسين]

ومنها أنه سئل عن المكان المنسوب لدفن الحسين رضي الله عنه بالقاهرة، أهو كذلك؟

فقال: الحسينُ عليه السلام ليس مدفوناً في هذا المكان الذي بالقاهرة بالاتفاق، وإنما رأسُه فيما ذكر بعضُ المصريين، ونفاه بعضهم.

[بدع القرّاء]

ومنها أنه سئل عن مَنْ قرأ شيئاً مِنَ القرآن، وقال في دعائه: اللهمَّ اجعل ثواب ما قرأته، أو مثل ثواب ما قرأته زيادة في شرف سيدنا رسول الله ﷺ، فما معنى الزيادة مع كماله؟

فأجاب: هذا مخترع من متأخري القراء، لا أعرف لهم سلفاً فيه، ولكن ليس هو بمحال كما تخيَّله السَّائل، فقد ورد في رؤية الكعبة: «اللهم زد هذا البيتَ تشريفاً وتعظيماً...» إلى آخره. فلعلَّ المخترع المذكور قاسه على ذلك، وكأنَّه لحظ أنَّ معنى طلب الزيادة أن يتقبَّل قراءته فيثيبه عليها. وإذا أُثيبَ أحدٌ مِنَ الأمَّة على فِعْلِ طاعةٍ مِنَ الطاعات، كان للذي علَّمَه نظيرُ

أجره، وللمعلّم الأول ـ وهو الشّارع ﷺ ـ نظيرُ جميعِ ذلك. فهذا معنى الزيادة في شرفه، وإن كان شرفه مستقراً حاصلاً.

وإذا عرف هذا، عرف أنَّ معنى قول الداعي: اجعل مثلَ ثوابِ تقبُّلِ هذه القراءة، ليحصُل مثلُ ذلك للنبي ﷺ.

وأما قولُه: اجعل ثواب ذلك، بغير لفظ «مثل»، فله أصلٌ، وهو الحديث المرويُّ عن أُبَيِّ بن كعب، ففيه: أَجْعَلُ لك صلاتي كلَّها؟ قال ﷺ: «إذاً تُكفى همَّك». وقد قيل: إنَّ المراد بالصلاة هُنا الدُّعاء، وقيل: الصلاةُ حقيقةً، والمرادُ: نفسُ ثوابِها، أو: مثلُ ثوابها. والله أعلم.

[حكم الغلط في النسخ]

ومنها أنه سُئِلَ عن ناسخٍ متحفظٍ مِنَ الغلط له مخالطةٌ بالفقهاء، غير أنَّه لم يقرأ العربية، فهل يحرُم عليه التلفظ بالحديث أو نسخه أم لا؟

فأجاب: لا يحرُم عليه ذلك، ولا يُشتَرَطُ على النَّاسخ أن يعرِفَ النَّحو، بل إذا كان ينقُلُ ما يجده مِنْ غيرِ زيادةٍ ولا نُقصان، جاز له ذلك، ولو قدر أنَّه غلط في بعض الأحيان، لم يُؤاخَذْ بذلك، لأنَّ النسيان جائزٌ على كلِّ إنسان، والله المستعان.

وقد صرح العلماء بمشروعية المقابلة بعد النسخ والتحريض عليها، لجواز وقُوع السَّهو، ولو كان النَّاسخ يعرف العربية، فليس بمعصومٍ مِنَ الخطأ، وإن كان العارفُ أولى مِنْ غيرِ العارف، والله أعلم.

[الاعتراض على القاضي عياض]

ومنها أنه سئل عن مَنِ اعترضَ على القاضي عياض، حيث قال في «الشفا»: (وأما تواضُعه ﷺ على عُلوِّ منصبه، فكان أشَدَّ النَّاس تواضعاً وأقلَّهم كِبْراً). فإنَّه ﷺ مُنْتَفٍ عنه الكِبْرُ أصلاً ورأساً. وصار هذا المعترِضُ يتتبَّعُ نُسَخَ «الشفا» فيمحو ذلك منها. أهو مصيب؟

فأجاب: الاعتراضُ باطلٌ، لأنَّ العُلماء قد تكلَّموا على الحديث الذي

رواه النسائي عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يكثر الذِّكْرَ ويقلُّ اللَّغْوَ. الحديث. فقالوا: قول الراوي: يُقِلُّ اللَّغْوَ، أي: لا يلغو أصلاً.

قال ابن الأثير في «النهاية» مادة (قلل): ومنه الحديث أنه كان يقلُّ اللَّغْوَ، أي لا يلغو أصلاً، وهذه اللفظة قد تُستَعْمَلُ في نفي الشَّيء، كقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤١].

فالمعنى في كلام القاضي حينئذٍ: أنَّه كان قليلَ الكِبْرِ، أي لا يقعُ منه أصلاً، كما قيل ذلك في الحديث، وليس في ذكره ذلك بأفعلَ التَّفضيل ما يقتضي مشاركة الناس في الكبر، لأن أفعلَ التَّفضيل قد تخرُج عَنِ المشاركة كما في قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]، [ولا خيريَّة في مستقرٍّ النار ولا حُسْنَ في مقيلها][1].

وقد وقع مثل ذلك في الحديث المتَّفق عليه مِنْ حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: استأذن عمرُ رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وعنده نِسْوَةٌ... الحديث. وفيه: «أنت أقطُّ وأغلظُ». فقال النَّووي في «شرح مسلم»: قال العلماء: ليست لفظة أفعل هنا للمفاضلة، بل هي بمعنى: قط غليظ. ثم نقل عَنِ القاضي عياض، قال: قد صحَّ حملُها على المفاضلة، وأنَّ القدر الذي منها في النَّبيِّ ﷺ هو ما كان في إغلاظه على الكافرين والمنافقين، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣ والتحريم: ٩]، وكما كان يُغْلِظُ عليهم ويغضَبُ عند انتهاك حرمات الله. انتهى.

فحينئذٍ قولُ القاضي: (وأقلَّهم كبراً)، بمعنى انتفى الكِبْرِ عنه البَتَّةَ، كما تقدَّم، وقد يُؤوَّلُ على شدَّته على الكُفَّارِ والمنافقين كما في الذي قبله، لأنَّ تواضُعَه ورأفتَه ورحمَتَه كانت بالمؤمنين، كما في قوله تعالى ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

وقوله في «الصحيح»: «إنَّه في التَّوراة ليس بفظٍّ ولا غليظ»، معناه: على المؤمنين، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، فمعنى ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، أي: عاطفين عليه. ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي متكبرين عليه، يغازونهم ويعادونهم.

ولا يجوز إتلاف نسخ «الشفا»، والله أعلم.

قلت: وقد استدرك القاضي عز الدين الحنبلي على هذا الجواب في موضعين:

أحدهما: عند قوله: ولا خيريَّة في مستقرِّ النار ولا حُسْنَ في مقيلها، فقال: إذا كانت الأعرافُ منزلةً لا عِقابَ فيها، فأفعلُ في قوله: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] على بابها.

ثانيهما: عند قوله: وقد يُؤوَّلُ على شدَّته على الكفار والمنافقين. فقال: تأويلُه الغلظة بكونها على الكفار فيه شيء، وذلك أنَّ غلظة النبي ﷺ على الكفَّار كانت أشدَّ مِنْ عمرَ بلا شكٍّ ولا ريب. انتهى.

وكذا كانت تَرِدُ عليه الأسئلةُ مِنْ بلاد المغرب. وممَّن كان يكاتبُه في ذلك محدِّثُ تونس أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن القمَّاح، كما استفدتُ ذلك من ترجمته من «الإنباء» في سنة سبع وثلاثين وثمانمائة، حيثُ قال صاحب الترجمة: وكاتبني مراراً بمكاتبات تدلُّ على شدَّةِ عنايته بذلك، يعني بالحديث، ولكن بقدر طاقته في البلاد.

وكذا وَرَدَتْ عليه أسئلةٌ كثيرة مِنْ ثَغْرِ الإسكندرية نظماً ونثراً مِنْ شيخ القرَّاءِ الشهاب أحمدَ بن محمَّد بن عمر بن هاشم الصَّنهاجي، وذكر لي ولدُه أنَّ عنده مِنْ ذلك جملةً.

وأمَّا ما قصدته مِنْ إيراد شرذمَةٍ مِنْ كلامه في العلوم بتنويعها، ونُبذَةٍ مِنَ اختياراته التي ترجَّحَ عنده الدَّليل فيها[1]، فلم يتيسر لي الآن كثيرُ أمر

---

(١) من قوله: «في النظم المسؤول عنه» ص ٨٨٠ من هذا الجزء إلى هنا سقط من مخطوطة (ط)، حيث ضاعت أوراقها، والله المستعان.

أثبته فيه، لغيبة كتبي واشتغالي بما يضيقُ الوقتُ عن الانتقال لغيره ممَّا لو شرحتُ الأمرَ فيه لطال، لكنِّي أقول:

أمَّا كلامُه في العلوم، فقد أسلفتُ التَّنبيه على متانَةِ كلامِه في التَّفسير، ومزيدِ حُسْنِ نظره فيه، وأنَّ بعضَ طلبته كتبَ عنه شيئاً مِنْ ذلك، ويُؤخَذُ ممَّا سلف كلامه في فنِّ القراءات، مع أنه كتب بخطِّه في وقتٍ على سبيل التواضُع ما نصُّه: وبضاعتي في هذا الفنِّ مُزْجَاة. وقرَّرتُ أنَّ الإجماع قد انعقد على تقدُّمه في فُنونِ الأثر، وانفراده بذلك جملة وتفصيلاً.

[شروط العمل بالحديث الضعيف]

ومِنْ فوائده التي كتبها لي بخطِّه بعد تقرير ذلك بلفظه: إنَّ شرائط العمل بالضعيف ثلاثة:

الأول: متَّفَقٌ عليه أن يكون الضَّعف[1] غيرَ شديدٍ، فيخرج مَنِ انفرد مِنَ الكذَّابين والمتَّهمين بالكذب ومن فحش غلطه.

الثاني: أن يكون مندرجاً تحت أصلٍ عامٍ، فيخرج ما يخترع، بحيث لا يكون له أصلٌ أصلاً.

الثالث: أن لا يعتقد عند العمل به ثُبوته، لئلاَّ يُنسَبَ إلى النَّبيِّ ﷺ ما لم يقُلْهُ.

والأخيران عنِ ابنِ عبد السَّلام وعن صاحبه ابن دقيق العيد، والأول نقلَ العلائيُّ الاتِّفاق عليه.

وأما الفقه:

فقد بيَّنَّا أنه كان فقيه النَّفس، وكتبنا جملةً مِنْ كلامه فيه اغتناءً عن إيرادِ شيء هنا.

وقد قرىء عليه مرَّةً في «شرح الحاوي» لشيخه ابن الملقن تقسيماً،

---

(١) في (ب، ط): «الضعيف».

فكان فيه أمراً عجباً، وكذا قرأ عليه الشيخُ شهابُ الدِّين بن أسد في «العجالة» «شرح المنهاج» لشيخه ابن الملقِّن أيضاً.

ومن قبل ذلك قسم «المنهاج» بالمدرسة المنكوتمرية، وكان أحدَ القُرَّاء فيه الشريف النقيب جلال الدين الجرواني.

[ورأيت القاضي برهان الدين بن ظهيرة المكي يرجِّحُ دروسه الفقهية التي أخذها عنه سنة خمسين على دروس غيره ممَّن أخذ عنه، خصوصاً إذا طالع. وهذا لا يتوقَّفُ فيه إلا مَنْ لم يُكْثِرْ مِنْ مخالطته، أو غلب عليه الهوى، «فحبُّك الشَّيءَ يُعمي ويُصِمُّ»][1].

وأما أصول الفقه:

ففيما كتبه على «جمع الجوامع» مَقْنَعٌ عن إثبات شيء منه هُنا، ولوفور جلالته فيه، التمس منه صاحبُنا الشيخُ شهاب الدين البيجوري قراءة شيءٍ مِنْ كتبه عليه، فقال له على سبيل التواضع أيضاً: قُصارى أمري أن أتفرغ للقيام بما يُقال إنَّني أعرفُه، وهو الحديث.

ثم إنَّه كان يحكي عَنْ بعضهم أنَّه كان يقرأ على العلاَّمة عز الدين ابن جماعة في فُنون الحديث، وعلى العلاَّمة الحافظ وليِّ الدين ابن العراقي في أُصول الفقه، وكان يقال[2]: لو عكس لكان أولى.

قلت: ونحوه قراءة الشيخ سيف الدين الحنفي لشرح «ألفية»[3] العراقي على القاضي محب الدين البغدادي الحنبلي، وتركُه أخذه له عَنْ صاحب الترجمة، بل وعن فقيه مذهبه السراج قارىء الهداية، فإنَّه كان يُقرئه أيضاً. هذا مع كون المحبِّ لم يأخُذْه عَنْ مؤلفه. وكذا التمس منه الشهاب المذكور قراءة شرحه للأبيات العروضية، وما علمتُ هل قرأ أم لا؟

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٢) في (ط): «يقول».

(٣) في (أ): «الفقه»، خطأ.

وأما أصول الدين:

فتعلم كلامه فيه مِنْ كتاب الإيمان والتوحيد من «فتح الباري» له، وتقريره لمذهب السُّنة أحسنَ تقريرٍ، والرد على مخالفيها، وفي أواخر الأجوبة[1] المنظومة من الفصل الخامس، وكذا في مسألة الظَّالم عدلُ الله مِنَ الأجوبة القاهرية من الفصل السابع شيء منه.

وكذا يعلم مِنْ «فتح الباري» كلامه في اللُّغة والنَّحو وسائر ما تقدَّم، مع أنَّ في آخرِ مسألةٍ مِنَ الأجوبة القاهرية التعرُّضُ لشيء مِنَ العربية.

وقرأت بخطه: قال أبو حامد بن السبكي: حديث «من أكلَ البصل والثُّوم والكُرَّاثَ، فلا يقربنَّ مسجدنا»، فيه استعمالُ الواو بمعنى «أو»، وهو عزيزُ المثال، فقال شيخنا: وجدت له مثالاً، وهو الحديث الذي أخرجه أبو يعلى وابن السُّنِّي مِنْ طريق عبد الملك بن زُرارة، عَنْ أنس، رفعه: «ما أنعم الله على عبد نِعْمَةً في أهلٍ ومالٍ وولدٍ، فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. . . .» الحديث. انتهى.

[ولما أُنْشدتْ بينَ يديه أبياتَ القُطْبِ بن عبد القوي المكيِّ التي امتدحه بها، وفيها: (تمنَّي عنان الأعوجي)، سأل مَنْ عنده عن الأعوجي: ما هو فسكتوا بأجمعهم، بل صرَّحُوا بعدم معرفته، فقال: هو اسم فرس. انتهى.

وهو كذلك. قال في «الصحاح»: وأعوج: اسم فرس كان لبني هلال، يُنسب إليه الأعوجيات بنات أعوج. قال أبو عبيدة: كان أعوج لكندة، فأخذته بنو سُليم في بعض أيامهم، فصار إلى بني هلال، وليس في العرب فحلٌ أشهرَ ولا أكثرَ نسلاً منه. وقال الأصمعي في كتاب «الفرس»: أعوجُ كان لبني آكل المُرار، ثم صار لبني هلال بن عامر][2].

بل جلُّ العلوم المتعارفة يُؤخذ من «فتح الباري» كلامه فيها، وتعرف

---

(١) في (ط): «الأسئلة».

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب)، وأضافه المصنف بخطه في هامش (ح).

جلالته في سائرها، وكذا يعرفُ ذلك مَنْ نظر في «تذكرته» التي غاب عنِّي الآن ما التقطتُه منها.

[تعقبه على النووي في الأذكار]

وقد رأيتُ فيما رأيتُه بمكَّةَ مِنْ أجزاء «تذكرته الأدبية» المؤرخة بعدَ التِّسعين وسبعمائة مواضع استشكلها من كلام شيخ الإسلام النَّووي، ولا أدري أهي مبتكرةٌ له، أو اتَّبع فيها والده، أحببتُ إيرادها، وإن كان في «فتح الباري» قد بيَّن أكثرها، فقال:

قال النَّوويُّ رحمه الله في «الأذكار»: باب جواز دُعاء الإنسان على مَنْ ظلم المسلمين أو ظلمه وحده، وذكر أحاديث صحيحة كدُعائه، ﷺ على قُريشٍ وعلى مُضَرَ وغيرهم. وحكى في باب اللعن عَنِ الغزالي أنَّه قال: وفي الدُّعاء على الإنسان بالشَّرِّ حتى على الظَّالم، مثل: لا أصحَّ الله جسمه، ولا سلمه الله، وكلُّ ذلك مذمومٌ.

قال شيخنا: ولم يتعقب النووي رحمه الله هذا، مع أنَّ ظاهره التَّناقُضُ مع ما قدمه.

فإن قيل: تلك الأحاديث في حقِّ الكافرين، ولعلَّ الغزالي أراد الظالم المسلم.

قلت: قد صحَّ الحديث الذي فيه: «لا استطعت»، وأنَّه صحابي اسمُه بشر. كذا ذكره النووي، وقال: ففيه دليلٌ على جواز الدُّعاء على مَنْ خالف الحكْمَ الشَّرعيَّ.

قال شيخنا: فكيف يجمع بين كلامه؟

وقال في «شرح صحيح مسلم» في خُروج النبي ﷺ إلى البقيع ليلاً، إلى أن قالت عائشة رضي الله عنها: قلت: كيف أقول يا رسول الله؟ قال ﷺ: «قولي: السلامُ على أهلِ الدِّيار مِنَ المؤمنين والمسلمين»، فقال: قال الخطَّابي وغيره: فيه أنَّ السَّلامَ على الأموات والأحياءِ سواءٌ في تقديم السَّلام على قوله: «عليكم»، بخلاف ما كانت الجاهليَّةُ عليه مِنْ قولهم:

(عليك سلام الله قيسَ بنَ عاصم). انتهى.

قال شيخنا: وقد قال في باب السلام: لو قال المبتدىء: عليكم السلام، هل يكره؟ نعم، فقد صحَّ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا تقُلْ: عليكَ السَّلامُ، فإنَّ عليك السَّلامُ تحيةُ الموتى». فهذا يقتضي: أن لا يستوي الأحياء والأموات، أو يجاب عن الحديث المذكور.

وقال أيضاً ـ يعني النووي ـ: قال الواحديُّ: وأمَّا المشتغلُ بقراءة القرآن، فالأولى أن لا يُسَلَّمَ عليه، فإن سُلِّمَ، كفاه الرَّدُّ بالإشارة. قال: والظَّاهر أنه يُسَلِّمُ، ويجبُ الرَّدُّ نطقاً. ثم قال: وإذا كان مشتغلاً بالدُّعاء، مستغرقاً فيه، مُجْتَمِعَ القلبِ، فالأظهرُ عندي أنه يُكرَهُ السَّلام عليه؛ لأنَّه يتنكَّدُ به، ويشقُّ عليه أكثر مِنْ مشقَّة الأكل.

قال شيخنا: فإذا كان القارىءُ بهذه الصِّفَةِ، كان حكمُه حكمَه، وإلاَّ فما الفرقُ، وهلاَّ حَمَلَ كلام الواحديِّ على مَنْ هو بهذه الصِّفة التي ذكرها في الدَّاعي؟ بل كلام الواحدي أقرب، فإنه قال: الأولى أنْ يَرُدَّ، وقال هو: يكره. فما العُذْرُ عنه؟

وقال أيضاً في قول عائشة رضي الله عنها: لو علم النبيُّ ﷺ ما أحدثَ النِّساءُ لمنعهُنَّ. قال: يعني مِنَ الزِّينة والطِّيبِ والثِّيابِ الحَسَنَة ونحوها[1].

قال شيخنا: المنع من المذكورات كان مُقَرَّراً في السُّنَّةِ قبلَ قولها هذا، والأحاديثُ الصَّحيحةُ في ذلك معلومةٌ ظاهرة، وقد ورد في بعض طرقه: «كما مُنِعَتْ نساءُ بني إسرائيل»، فالظَّاهر أنَّها أرادت المنعَ مِنْ إتيان المساجد. وقد قال أصحابُنا: لا يُسَنُّ لها حضورُ الجماعة إلا أنْ تكونَ عجوزاً لا تشتهى، وكذا قولهم في الجمعة، ولم يُعلِّلُوا ذلك بطِيبٍ ولا غيره، ويستدلُّونَ في الشُّروحات بحديثِ عائشةَ هذا.

وقال أيضاً في قوله: «كان يُسْمِعُنا الآية أحياناً» فعلَه لبيانِ جوازِ الجَهْرِ

---

(١) جاء في هامش (ح) ما نصه: يظهر من أول هذا الكلام أنه فهم إلى قوله: يعني من الزينة إلخ، متعلق بقوله لمنعهن. وليس كذلك، بل هو متعلق بقوله: ما أحدث النساء. وقوله: لمنعهن، أي: من المساجد، كما هو في آخر الكلام. فافهم. والضمير حينئذ في «هن» للنساء.

في الصَّلاة السِّرِّيَّة، وأن الإسرارَ ليسَ بواجبٍ وللبيان، أو لعله سبق لسانه للاستغراق في التَّدبُّر.

قال شيخنا: إنَّه خلافُ الظَّاهر، فإن كان يفعل، يقتضي تجدُّدَ الفعل والمفعول لبيان الجواز يكتفي فيه بمرَّةٍ أو مرَّاتٍ،وهذا فحواه المواظَبَةُ.

وقال في قوله ﷺ: «يدخُلُ الجنَّة مِنْ أمَّتي سبعون ألفاً بغير حساب»، وفسَّره بأنهم «الذين لا يرقُون ولا يَسْتَرْقُون ولا يَكْتُوون وعلى ربهم يتوكلون»، وحكى فيه أقوالَ السَّلَفِ، ثم قال: وأما تداويه، فلتبيين الجواز.

فقال شيخنا: هو كالذي قبله.

وقال أيضاً في باب تكنية الكافر: إنَّه إذ لم يخَفْ فتنة، لا يكنيه، وذكر قصَّة هرقل، وأنه ﷺ كتب إليه، ولم يُكَنِّه، ولا لقَّبه بملك الروم، ولأنَّا مأمورون بالإغلاظ لهم، فلا نُلِينُ لهم عبارة، ولا نُرَقِّقُ لهم قولاً.

وقال: فرع: إذا كتبت إلى مشرك كتاباً؛ وكتبت فيه سلاماً ونحوه، فينبغي أن يكتُبَ ما رويناه، فذكر القصة، وقال: عظيم الروم.

قال شيخنا: فهذا ظاهره التناقض؛ فالحديث واحدٌ، والاستدلالُ مختلفٌ، فما وجهُ الجَمْعِ بين كلاميه؟!

وقال أيضاً في قوله ﷺ: «إنَّ الملائكة لا يدخُلون بيتاً فيه كلبٌ ولا صورة» بعد أن حكى الخلاف في المُمْتَهَنِ وغيره، وما له ظلٌّ وغيره، وأنَّها تمتَنِعُ عقوبةً لفاعلِ ذلك، فإنَّهم ملائكةٌ ينزِلُونَ بالرَّحمة والاستغفار، أو لكثرة أكلِ الكلب النَّجاساتِ، أو لأنَّ منها ما هو شيطان.

ثم قال: وهل يمنعون مِنَ المُحرَّم فقط، أو منه ومِنْ غيره؟ قال الخطابي: مِنَ المحرَّم فقط. فإذا كانتِ الصُّورةُ ممتهنةً، أو الكلبُ لصيدٍ أو زرعٍ أو ماشيةٍ، فلا.

قال: وذكر القاضي عياضٌ نحو ما قاله الخطَّابيُّ، والأظهرُ أنَّه عامٌ في كلِّ كلبٍ وكلِّ صورة، وأنهم يمتنعون مِنَ الجميع، لإطلاق الأحاديث، لأنَّ الجَرْوَ الذي كان في بيت النبي ﷺ تحتَ السَّريرِ كان فيه عُذْرٌ ظاهر، فإنَّه

لم يَعْلَمْ به، ومع هذا مُنِعَ جبريل عليه السلام من دُخول البيت، وعلَّل بالجرو. فلو كان العذرُ مِنْ وُجود الصُّورة والكلب لا يمنعهم، لم يمتنع جبريل.

قال شيخنا: لا ينطبق هذا الاستدلالُ على كلامهما، أمَّا الصُّورة، فلم يتعرَّض لها، وأمَّا الجرْوُ، فإنهما استُثْنيا ما يجوز اقتناؤُه، والجَرْوُ المذكور لم يثبت أنَّه بالصِّفَةِ المذكورة، فَعَدَمُ العلم لم يُزِلِ الامتناعَ.

وقال أيضاً في الكلام على حديث «جُعِلَ في قبرِ النَّبيِّ ﷺ قطيفة حمراء»:

نص الشافعيُّ وجميعُ أصحابنا وغيرُهم مِنَ العلماء على كراهة وَضْعِ قطيفة أو مُضَرِيَّة أو مخدَّة ونحو ذلك تحت الميت في القبر، وشذَّ عنهم البغويُّ مِنْ أصحابنا، فقال في كتاب «التهذيب» بذلك لهذا الحديث: والصَّواب كراهتُه، كما قال الجمهور، وأجابوا عن الحديثِ بأنَّ شُقْران انفردَ بذلك، ولم يوافقه غيره من الصحابة، ولا علموا ذلك، وإنما فعله شُقْران كراهة أن يلبَسَها أحدٌ بعدَ النبي ﷺ، لأنه كان يلبَسُها ويفترِشُها، فلم تَطِبْ نفسُ شُقرانَ أن يتبذَّلها أحدٌ بعده، وخالفه غيرُه، فروى البيهقيُّ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه كره أن يُجْعَلَ تحتَ الميت ثوبٌ في قبره.

قال شيخنا: قولهم في الجواب: إنَّ شُقران انفرد بذلك، ولم تعلم به الصَّحابة خلافُ الظَّاهر، وكيف يستقيمُ ذلك مع ما عُلِمَ مِنْ توفُّرِ دواعيهم على حُضور دفنه، فيبعدُ أن لا يعلَمَ أحدٌ منهم بإحضارِ شُقران القطيفة، وجعلِها تحتَه في قبره. وهذا أمر حِسِّيٌّ، وكيف يُظَنُّ أنَّ النبيَّ ﷺ يُقِرُّ على أمر مكروه في الشرع، مع نُورِ بصائرِ الصَّحابة وائتلاف كلمتهم على المواراة، فإنهم أخَّرُوا دفنه حتى انتظمت الكلمةُ وصحَّتِ الإمامة، فترجَّح ما قالَهُ صاحبُ «التَّهذيب».

وقال أيضاً في باب الوفاء بالوعد بعد أن ذكر أدلَّته من الكتاب والسنة كقول الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ الآية [الصف: ٣]، وقوله عليه

السلام: «آية المنافق ثلاث» الحديث. ورواه مسلم «وإن صام وصلَّى وزَعَمَ أنَّه مؤمن».

فقال: اختلفُوا في وجوبه، فذهب الشافعيُّ وأبو حنيفة والجمهورُ إلى أنَّه مُسْتَحَب، وليس واجباً، فلو تركه فاته الفضلُ، وارتكب كراهةَ تَنْزيهٍ، ولكن لا يأثَمُ، وذهب جماعةٌ إلى أنه واجبٌ. قال ابن عبد البَرِّ: أجَلُّ مَنْ قال بوجوبه عمرُ بنُ عبد العزيز.

قال شيخنا: لم يذكر جواباً عن الآيات والأحاديث، لا سيما آية «الصف»، وحديث «آية المنافق» كما تقدم. والدِّلالة للوجوبِ فيها قويَّةٌ، فكيف حملوه على كراهية التنزيه، مع هذا الزَّجْرِ الشَّديد الذي لم يَرِدْ مثلُه إلاَّ في المحرَّمات الشَّديدة التحريم؟

الأدب:

وحكيتُ مِنْ تضلُّعه بفنِّ الأدب ما يفوقُ الوصفَ، [وأنَّه ـ كما في أوائل الباب الثاني ـ لم يكن يسمعُ شعراً إلا ويعرِفُ مِنْ أين أخذه النَّاظم، حتَّى إنَّه كتب مقابلَ مقطوعٍ أدرجه البشتكيُّ ـ وناهيك به في فنِّ الأدب ـ في نظم نفسه أنَّه لغيره، بل ونبَّه أنَّه رآه البشتكيُّ نفسه معزواً لمَنْ أفادَ أنه له، كما بيَّنتُ ذلك هناك][1].

وكانت له تشبيهاتٌ بديعةٌ؛ منها: أنَّه رأى ضَوْءَ القنديل مرَّة قد ضَعُفَ، ولم يجِدْ به علَّةً سوى انخناق الفتيلة[2] بالزَّيت، فأخذَ قلماً، ومصَّ بفيه يسيراً مِنَ الماء، فأضاءَ جدّاً، فقال: شبَّهتُ هذا بالآدمي عند إخراجِ الدَّمِ بالفصد ونحوِه وحصُول الخفَّة له غالباً.

قلت: ومِنْ نظم الشَّرف عبد الوهاب بن فضل الله أخي محيي الدين:

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب)، وأضافه المصنف بخطه في هامش (ح).

(٢) في (أ): «القنديل».

لـم يـروّع لـه الـجـنـانُ جـنـانـاً قـد أصـاب الـحـديدَ مِـنْهُ الـحـديدا
مثل ما تنقصُ المصابيحَ بالبطِّ فـيـزداد فـي الـضِّـيـاءِ وَقُـودَا

وأنشد مرَّةً قولَ القائل:

عـافـتِ الـمـاءَ فـي الـشِّـتـاء فـقُـلـنـا بـرِّديـه تُـصـادِفـيـه سَـخِـيـنـا[1]

أنشده بإدغام اللام في الراء، فاستصعب ذلك بعضُ الحاضرين، فقال: مَنْ يقرأ سورة (والمطففين) يعرِفُ هذا، فبادر بعضُ الفُضلاء مِمَّنْ حضر، وقال: مَنْ يعرِفُ الفَكَّ يعرف هذا، وأشار إلى قوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [المطففين: ١٤].

وأنشد[2] بعضُ الفضلاء بحضرةِ صاحبِ التَّرجمة:

يـا عـالـمـاً قَـدْ حـلَّ إقـلـيـدسـا لـم يُـخْـطِـهِ شَـكْـلٌ مِـنَ أشـكـالِـهِ
فـأيُّ شـيءٍ نِـصْـفُـهُ عُـشْـرُهُ ونـصـفـه الـثـانـي[3] تِـسْـعَـةُ أعـشـارِهِ

فجالت أفكار الطَّلبة في ذلك، فبادر منشِدُها بقوله: هذا كتابُ الله عز وجل؛ لأنَّ عُشْرَه ستةُ أحزاب، ونصفَه عدداً سبعةٌ وخمسون سورةً، وذلك عدُّ سُوَرِهِ مِنَ المجادلة إلى آخره الذي هو ستَّة أحزاب، وأردف ذلك بقوله: هذا لا يُوجَدُ في غير القرآن.

فقال صاحب الترجمة: قد وجدت اسماً يتصور فيه مثل ذلك، وهو الفرس، فحارتِ الأفكارُ في معنى هذا، فقال بعضهم: لعلَّ مولانا شيخ الإسلام أراد اسم الفرس بغير اسمه العربي، [فأجابه بأنَّك فهمتَها، وذلك لأن اسم الفرس][4] بالتركي (أ ط)، وهو حرفان، وبحساب الجُمَّل عشرة،

---

(١) انظر معيد النعم للسبكي ص ٩٨.
(٢) من هنا إلى قوله: «فأحسن إذا شئت واستأنس» لم يرد في (ب).
(٣) ساقطة من (ط).
(٤) ما بين حاصرتين من (ط).

فنصفها بالعد عُشْرُها بالحساب.

ونقل عن عبد الله بن المعتز أنَّه قال: أجمعُ بيتٍ قاله العربُ:

أمُسْتَوْحِشٌ أنْتَ مِمَّا أسأتَ ... فأحْسِنْ إذا شِئْتَ واسْتَأنِسِ

ومن فوائده مما قرأته بخطه، قال: ضاع مني كُرَّاسٌ، فتعبت في التَّفتيش عليه بين الكتب والكراريس، فألهمني الله تعالى أن قلت: يا سميعُ يا بصيرُ[1]، بِقُدرتك على كلِّ شيءٍ، وبعلمِكَ كل شيءٍ، دُلَّني على هذا الكُرَّاس، فوجدُته في الحال. انتهى.

وأفاد رحمه الله أنَّ في «نشوان المحاضرة» للتَّنُوخي، قال: حدثني إبراهيم بنُ أحمد الطَّبري، حدثنا جعفر الخُلْدِيُّ، قال: ودَّعْتُ العُتْبي الصُّوفي، فقلت: زَوِّدْني شيئاً، فقال: إن ضاع منك شيءٌ، فقل: يا جامِعَ النَّاس ليوم لا ريبَ فيه، إنَّ الله لا يُخْلِفُ الميعاد، اجمع بيني وبينَ كذا، فإنَّه مُجَرَّبٌ، وذكر أنه جرَّب ذلك في قصةٍ طويلة.

قلت[2]: وكذا قال النَّووي في «بستان العارفين» أنَّه جربه، فوجده نافعاً سبباً لوجُود الضَّالَّةِ عَنْ قُرْبٍ غالباً. وحكى عن شيخه أبي البقاء نحوَ ذلك.

وفي كرامات الأولياء مِنْ[3] «رسالة القشيري»، قال: كان لجعفر الخُلدي فصٌّ، فوقع يوماً في دجلة، وكان يحفظُ دعاءً مجرَّباً لردِّ الضَّالة، فدعا به، فوجده في وسط أوراقٍ كان يتصفَّحُها.

قال القشيري: سمعتُ أبا حاتم السِّجستانيَّ يقول: سمعتُ أبا نصرٍ السَّرَّاجَ يقول: إنَّ ذلك الدعاء: يا جَامِعَ النَّاسِ ليومٍ لا ريبَ فيه، اجمع عليَّ ضالَّتي.

---

(١) في (ح): «يا عليم».

(٢) في هامش (ح) بخط المصنف ما نصه: ثم بلغ الشيخ عز الدين نفع الله به قراءة علي في ٢٢ والجماعة سماعاً.

(٣) في (أ): «عن».

ومن كلامه في شرح كلمات التَّصوُّف:

قولهم: الصوفية لا يجتمعون عَنْ موعد، ولا يتفرَّقُون عَنْ مشُورة.

إشارة إلى أنَّ قلُوبهم مجتمعة، فمن أراد الاجتماع بالآخر، لا يحتاج إلى موعد، بل يحصُلُ له الاجتماعُ بمجرَّدِ الإرادةِ والاحتياج إليه.

وقولهم: الصُّوفيُّ لا يجاوزُ همَّهُ قدمَه.

معناه أنه قَصَر الهمَّ على ما يتعلَّقُ بأمرِ الدِّين، فلا اهتمامَ له بأمرِ الدُّنيا، فهمُّه مقصورٌ على نفسه.

وقولهم: ما اتَّخذَ الله مِنْ وليٍّ جاهلٍ، ولو اتَّخذه لعلَّمَهُ.

معناه: ـ وليس هو حديث ـ إنَّ الوليَّ لا يكونُ جاهلاً بالله تعالى، والجهلُ بالله هو الجهلُ المُرْدي المهلك، وأمَّا الجهلُ ببعضِ المسائل، بحيثُ لا يكونُ الشَّخصُ محتاجاً إليها في جميع أحواله، بل إذا اضطرَّ إليها لم يُقْدِمْ عليها حتَّى يسألَ عنها أهلَ العلم بها، فليس المراد هنا.

وقولهم: السَّفر يُمَزِّقُ الأديان.

المراد به إدامة السَّفر، ومعنى تمزيق الدين: أنَّ فيه إخلالاً بكثيرٍ مِنَ العبادات والتوجُّهات، وهذا يؤيِّدُ قولَ مَنْ قال أيضاً: السفر عدوُّ الدِّين، وذلك بسببِ كثرةِ الحركة والإعياء، وكثرة الاختلاط والتَّخليط في المآكل المجتمعة مِنْ أجناسٍ متفرِّقة في أماكنَ مختلفةٍ باختيار وبغيرِ اختيارٍ.

قلت: وقد قال أبو المعالي جعفر بن حيدر العلوي فيما رواه السِّلَفِيُّ في «معجم السفر»: الصوفي إذا سافر، فقدِ اختارَ الخرابَ على العمران، يعني التَّعبَ على الراحة، لكن الكنوز قد تُوجَدُ في الخرابات، ولا يوصل إلى الفوائد إلاَّ بتعبِ النَّاس، لا بالراحة.

وقولهم: وجدنا إخوان زماننا مثلَ مَرَقةِ الطَّباخ، طيِّبة الرَّائحة، لا طعمَ لها.

المراد بتشبيه مودَّتِهم بما ذُكِرَ: أنَّها في الغالبِ تكونُ في الظَّاهر، لا في الباطن.

وقول أبي[1] القاسم الجنيد: مَنْ لم يحفظِ القرآنَ ويكتُبِ الحديثَ، لا يُقتدى به في هذا العلم.

لأنه مضبوطٌ بالكتاب والسُّنَّة.

وقوله أيضاً: كنَّا لا نعبأ بالصُّوفي إذا دَخَلَ الطَّريق بغيرِ علم.

معناه: من[2] لم يتأدب بآدابِ الكتَاب والسُّنَّة، لا يُقتدى به في طريق الصوفية.

[اختياراته:]

وأما اختياراته، فأعرفُ منها الآن أنَّه كان يُسْفِرُ بصلاة الصُّبح، ويُسِرُّ القنوت مع تخفيفه جداً، [ويقنُت في الوتر][3]، ويتوقَّفُ في اشتراط استحضار النِّيَّةِ بين الهمزة والرَّاء في قول المصلي: الله أكبر، إلى غير ذلك ممَّا لو تُتُبِّع «شرح البخاري»، لوجد فيه منها الكثير. على أنَّه بلغني أنَّ بعضَ أصحابنا مِنْ طلبته كتب عنه شيئاً مِنْ ذلك، وفي «شرح البخاري» مزيدُ كفايةٍ منها.

ولما صلَّى على شيخ الإسلام المحبِّ بنِ نصر الله البغدادي الحنبلي وسبق، فجلس عند القبر ليشهد الدَّفنَ، وجِيءَ بالنَّعش قام إلى الجنازة، فإما أن يكون وافق النَّووي في اختياره استحبابَ القيام للجنازة، وتعقُّبَه دعوى النسخ، وكذا قول المتولي، أو[4] يكون قيامُه لما انضم إليه مِنْ كونه عالماً، وأنَّه لا يرى القيامَ مُطلقاً.

وقد سئل عن مَنْ تشاغلَ بالعبادة ونحوِها حتَّى نَسِيَ ما كان يحفظه مِنَ القرآن.

---

(١) في (أ): «أبو»، خطأ.

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب، ط).

(٤) في (ط): «أن».

فأجاب: بأنَّه قد وَرَدَ في الحديث الوعيدُ في حقِّ مَنْ قرأ القرآن، بل آيةً منه ثمَّ نَسِيَ ذلك، وظاهرُه يقتضي التَّحريم، فيجبُ على مَنْ وقع له ذلك أن يُبادِرَ إلى حفظِ ما نَسِيَ قليلاً قليلاً إن شَقَّ عليه الكَثْرَةُ.

قلت[1]: ونسيان القرآن معدود في الكبائر. قال الرَّافعي: وللتَّوقُّفِ مجالٌ، يعني في ذلك، أي: إذا لم يكن عَنْ إهمالٍ وقصدٍ لذلك، ولكن استأنس النَّوويُّ رحمه الله بذلك بالحديث الوارد في الوعيد، وقال: إنَّه تكلَّم فيه الترمذيُّ، أي: من جهة رواية عبد المطلب بن عبد الله بن حَنْطَب، فإنه لم يسمع مِنْ أنس ولا مِنْ غيره مِنَ الصَّحابة إلا قوله: حدثني مَنْ شهِدَ خُطبةَ النَّبيِّ ﷺ. وقد حمل الشيخ شهاب الدين أبو شامة المقدسيُّ الأحاديثَ في ذمِّ نِسيان القرآن على ترك العمل، فإنَّ النِّسيان هو التَّركُ، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه: ١١٥] قال: وللقرآن حالتان، أحدهما: الشفاعة لمن قرأه ولم يَنْسَ العملَ به. الثانية: الشِكَاية لمن تركه تهاوناً به ولم يعمل بما فيه.

قال: ولا يبعُدُ أن يكونَ مَنْ تهاون به حتَّى نسي تلاوته كذلك.

وألحقَ بالدُّعاء والصَّدَقَةِ في وصول ثوابهما للميت الأضحية لعدم الفارق. والمصحَّحُ في مذهب الشافعي أنَّ الأضحيةَ لا تَصِلُ.

وحكى لي بعضُ أصحابنا أن صاحب الترجمة أشار إليه بأن يأخذ مصحفاً[2] كان معه، فاعتذر بأنه على غير وضوء، فقال: أنا أرى أنَّك إذا تناولته بِكُمِّكَ أو بحائلٍ مع استحضار التَّعظيم، لا حرج عليك، أو نحو هذا. قال صاحبنا: فامتنعتُ مِنْ تناوله منه، واستحييتُ مِنْ مخالفته.

قلت: وقد روى الحافظُ الخطيب في ترجمة محمد بن كُزدي مما رواه محمد[3] عن أبي بكر المرُّوذي، قال: كان أبو عبد الله أحمد بن حنبل

---

(١) من هنا إلى قوله: «حتى نسي تلاوته كذلك» ورد في هامش (ب) بخط المصنف.

(٢) في الأصول: «مصحف»، وهي هكذا بخط المؤلف في (ح).

(٣) في (أ): «أحمد»، خطأ.

ربَّما قرأ في المصحف وهو على غيرِ طهارَةٍ فلا يمسُّه، ولكن يأخذُ بيده عُوداً أو شيئاً يُصَفِّحُ به الورق.

واختار وجوب الجَلْد أو الرَّجم على المأنوثِ، كالذي يُجامعه، لصحة الدليل به، والمفتَى به عند الشَّافعية الاقتصارُ على الحدِّ الزاجر له عَنْ ذلك، والله أعلم.

obeikandl.com